شؤون فلسطينية

٩٩

شباط (فبراير) ١٩٨٠

شؤون فلسطينية

٩٩ شباط (فبراير) ١٩٨٠

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة اراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

المحتويات

الصفحة

٣	روز مصلح	الصناعة في الضفة الغربية ١٩٦٧ ـ ١٩٧٩ ، وضع المؤسسات والعمال والأجور .
٣٣	فيصل حوراني	منظمة التحرير الفلسطينية والاتجاه نحو التسوية .
٦٧	محمود اللبدي	التضامن العالمي والانفتاح الاوروبي على القضية الفلسطينية .
٨٤	رياض منصور	الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة ، دوافع الهجرة والواقع الديموغرافي .
١٠٧	حسام الخطيب	الحوار البرلماني العربي ـ الاوروبي .
١٢٢	سهيل عامر	الدعاية الصهيونية واليهود السوفيات

الصفحة

١٣٦ تقارير ١ ـ **الصورة الفلسطينية في وسائل الاعلام الكندية وأثرها السياسي** ، اسماعيل زايد . ٢ ـ **أحداث افغانستان وانحسار الغرب عن اسيا**، أحمد شاهين .

١٤٨ مراجعات [نبيل أيوب بدران] **التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني** ، ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ ، سمير أيوب .

١٥٥ شهريات ١ ـ **المقاومة الفلسطينية** ، صابر موسى ، ٢ ـ **المناطق المحتلة** محمد عبد الرحمن ، ٣ ـ **اسرائيليات** ، حنة شاهين . ٤ ـ **قضايا دولية** ، سمير كرم . **قضايا عسكرية** ، محمود عزمي .

الغلاف للعالمي **ايروين**

المدير العام : صبري جريس ✻ **رئيس التحرير : محمود درويش**

سكرتير التحرير : فيصل حوراني

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني ، (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ـ لبنان ، ص . ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير والتوزيع ٣٥١٢٦٠ ، برقيا : مرابحاث ، بيروت .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل . ل . في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل . ل . في سائر الأقطار العربية ، ١٠٠ ل . ل . في اوروبا ، ١٢٥ ل . ل . في بقية بلدان العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل . ل . في جميع الدول غير العربية .

روز مصلح

الصناعة في الضفة الغربية ١٩٦٧ - ١٩٧٩
وضع المؤسسات والعمال والاجور

مقدمة

أدت نكبة سنة ١٩٤٨ الى تحول حوالى نصف سكان الضفة الغربية الى معدمين ، نتيجة فقدان مصدر عملهم . كما أدى لجوء نحو خمسي لاجئي فلسطين (٢٠٤ الاف نسمة) الى الضفة الغربية في ذلك العام ، الى تردي مستوى المعيشة وتدهوره ، ونجم عن ذلك بطالة شملت ما يزيد على ٩٠ ألف شخص ، مما ولد هجرة لم تتوقف منذ ذلك الوقت حتى الآن .

وقد ساهم ضم الضفة الغربية سنة ١٩٥٠ ، الى شرقي الأردن ، في مزيد من تشويه أوضاعها ، فسياسة التمييز الاقليمي بين الضفتين ، التي انتهجها النظام الأردني ، وعدم تحقيق أي نوع من الترابط والتكامل بينهما ، برغم عملية الدمج هذه ؛ أديا الى اضعاف البنية الاقتصادية للضفة الغربية ، لا سيما القطاعات المنتجة . ففي مجال الصناعة تم تشجيع انشاء المشاريع الصناعية في الضفة الشرقية ، وتدعيمها من قبل الحكومة الاردنية ، في مقابل وضع العراقيل أمام استثمار رؤوس الأموال الكبيرة في الضفة الغربية . وقد كان الاقتصاد الأردني ، في حد ذاته ، ضعيفاً ومحدوداً ولا يملك امكانية تطوره بحكم ارتباطه بالامبريالية . فلم يكن في شرق الأردن ، مثلا ، صناعات وطنية مهمة ، قبل ضم الضفة الغربية عام ١٩٥٠ ، سوى ٢٧ شركة صناعية ، بلغ مجموع رؤوس اموالها ١,٠١٩,٩٠٠ دينار اردني ، وتضم ١٥٣ مصنعاً ، يعمل فيها ١١٧١ عاملا[١] . وظل تطور الصناعة في الضفتين محكوماً بهذا الضعف مع الحفاظ على التمايز بينهما .فقد ازداد مثلا عدد المؤسسات الصناعية، التي تضم ٤ عمال فأكثر في فترة تسع سنوات ، بمقدار ١١٣ مؤسسة في الضفة الشرقية ، في مقابل ٢٣ مؤسسة في الضفة الغربية . فبينما كان العدد سنة ١٩٥٤ يعادل ١٧١ مؤسسة فقط في الأولى ، كانت هناك ٢٥٤ مؤسسة في الثانية . أما في سنة ١٩٦٣ ، فقد أصبح عدد هذه المؤسسات في الضفة الشرقية يفوق مثيلاتها في الضفة الغربية ، حيث بلغت في الأولى ٢٨٤ مؤسسة ، في مقابل ٢٧٧ مؤسسة في الثانية[٢] . كما تضاعف تقريبا عدد العاملين في مؤسسات الضفة الشرقية في نهاية الفترة المذكورة ، في حين ظل على حاله في الضفة الغربية . فبعد أن كان العدد في الضفة

الشرقية ٤٥١٢ عاملا، في مقابل ٣٥٦٢ عاملا في الضفة الغربية ، في سنة ١٩٥٤ ، وصل في سنة ١٩٦٣ الى ٨٤٤٥ عاملا في الأولى و ٣٥٩٥ عاملا في الثانية(٣) .

وفي سنة ١٩٦٥ بلغ مجموع المؤسسات الصناعية في الضفة الغربية ٢٧١٦ مؤسسة ، في مقابل ٣١٢٢ مؤسسة في الضفة الشرقية . وبالرغم من زيادة عدد المؤسسات في الأولى عن الثانية ، فان متوسط العمالة في الضفة الشرقية ، ظل يزيد عنه في الضفة الغربية . فبينما بلغ مجموع العمال في الأولى ١٩,٩١٣ عاملا : أي ما متوسطه ٦,٤٪ ،كان في الضفة الغربية ١٧,١٠١ عاملا: اي ما متوسطه ٤,٦٪(٤) .

وتظهر السياسة الاقليمية، بوضوح ، في توجيه استثمار رؤوس الأموال في الضفة الشرقية . فعلى سبيل المثال ، كانت هناك ، من بين ١٤ شركة صناعية مساهمة دعمتها الحكومة ، شركة صناعية واحدة فقط في الضفة الغربية ، هي شركة مصانع الزيوت النباتية*

ولم ينشأ في الضفة الغربية حتى سنة ١٩٦٧ الا القليل من الصناعات الكبيرة المهمة، من حيث رأس المال وعدد العمال ، ويبين الجدول رقم ١ اهم المؤسسات التي تجاوز رأسمالها ١٠,٠٠٠ دينار وزاد عدد عمالها عن ١٥ عاملا .

الجدول رقم ١

اهم الشركات الصناعية في الضفة الغربية حتى سنة ١٩٦٧

الشركة	المنطقة	رأس المال دينار اردني	عدد العمال
شركة مصانع الزيوت النباتية	نابلس	٥٠٠,٠٠٠	٢٠٠(٦)
شركة معامل سلفانا	رام الله	١٠٠,٠٠٠	١٠٠(٧)
شركة مصانع الجبشة	بيت حنينا	١٠٠,٠٠٠	٣٥(٨)
شركة سجائر القدس	العيزرية	٢٠٠,٠٠٠(٩)	١٠٠(١٠)
شركة الصناعات الزراعية	الخليل	٨٠,٠٠٠(١١)	٢٠
شركة البلاستيك الاردنية	بيت ساحور	٨٠,٠٠٠	٣٠٠(١٢)
شركة بلاستيك الشرق	القدس	٤٥,٠٠٠	٦٢(١٣)
شركة معامل السراير الوطني	بيت لحم	٥٠,٠٠٠	١٠٠(١٤)
شركة التقدم لصناعة القبانات	الخليل	١٠,٠٠٠	١٥(١٥)
شركة رباح للموبيليا	رام الله	٨٠,٠٠٠	٨٠
شركة مصانع التنك	نابلس	—	٤٠

ويشير تدني مستوى الاجور والرواتب في الضفة الغربية مقارنة بتلك المعمول بها في الضفة الشرقية الى ضآلة حجم الاستثمارات في الاولى بالنسبة للثانية. فقد بلغت، مثلا رواتب المستخدمين

---

* تأسست هذه الشركة في نابلس برأسمال قدره ١٠٠,٠٠٠ دينار اردني ، ساهمت الحكومة بنسبة ٣٠٪ منه، ثم ارتفع رأسمال الشركة الى ٥٠٠,٠٠٠ دينار ، فزادت نسبة مساهمة الحكومة الى ٤٠٪ .

واجورهم في الضفة الشرقية سنة ١٩٦٥ ، حوالى ٣ أضعاف تلك التي دفعت في الضفة الغربية ، حيث بلغت قيمتها ٣,٨٢٣,١٠٠ ديناراً في الأولى مقابل ١,٤٤٢,١ ديناراً في الثانية[١٦] . هذا بالرغم من زيادة عدد المؤسسات في الضفة الغربية عنها في الشرقية كما مر سابقا . كما يتضح تركيز الصناعات الكبيرة في الضفة الشرقية لدى مقارنة الموجودات الثابتة ، والانتاج القائم والقيمة المضافة للمؤسسات الصناعية في الضفتين ، اذ كانت في الضفة الشرقية تعادل نحو ثلاثة أضعاف ما هو قائم في الضفة الغربية في سنة ١٩٦٥ . ففي الضفة الشرقية بلغت قيمة الموجودات الثابتة ١٥,٣ مليون دينار اما الانتاج القائم فكان ٢٨,٩ مليون دينار ، في حين بلغت القيمة المضافة ١١,٩ مليون دينار بمقابل ٤,٥ ، ٩,٤ ، ٤,٣ مليون دينار للضفة الغربية على التوالي[١٧] .

وقد ظل العجز في الميزان التجاري للضفة الغربية يتجه دوما لصالح الضفة الشرقية ، خاصة من المنتوجات الصناعية التي كانت تشكل غالبية الواردات . حيث بلغت نسبتها في العام ١٩٦٦ ما يعادل ٩٠٪ من قيمة الواردات[١٨] . والجدير بالذكر أن نسبة التجارة بين الضفتين كانت متدنية وذلك لانعدام قيام وحدة حقيقية بينهما .

ولقد نتج عن ضعف اقتصاد الضفة الغربية ، وخاصة قطاع الصناعة ، هجرة مستمرة للطاقة البشرية ، مما ادى الى استنزاف كبير للقوى الشابة . فبدلا من تضاعف السكان في نهاية فترة الالحاق الهاشمي ، لم يزد العدد في أيار سنة ١٩٦٧ عن ٨٠٣,٦٠٠ نسمة مع العلم أنه بلغ ٧٤٢,٢٨٩ نسمة في سنة ١٩٥٢[١٩] .

العمالة والاستخدام في القطاع الصناعي في ظل الاحتلال الاسرائيلي

على هذه الأرضية من التبعية والعجز في البنية الاقتصادية ، جاءت نتائج حرب العام ١٩٦٧ لتضاعف من وتيرة الهجرة التي بدأت منذ الالحاق الهاشمي للضفة الغربية . ويقدر عدد الذين نزحوا في الأشهر الاربعة الأولى من الاحتلال باكثر من ٢٠٠,٠٠٠ نسمة . اذ بلغ عدد السكان في أيلول سنة ١٩٦٧ ، ٥٩٥,٠٠٠ نسمة . وفي نهاية العام ١٩٦٨ انخفض الى ٥٨٤,١٠٠ نسمة[٢٠]. ويشير الجدول رقم ٢ الى استمرارية النزوح من الضفة الغربية ، حيث لا تتناسب الزيادة السنوية للسكان مع الزيادة الطبيعية خاصة في السنوات الاخيرة .

الجدول رقم ٢

التطور السكاني في الضفة الغربية للفترة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٨[٢١] (بالألف)

السنة	السكان في بداية العام	السكان في نهاية العام	الزيادة الطبيعية	الزيادة السنوية
١٩٦٧	٥٩٥,٩	٥٨٥,٧	٣,٠	١,٧
١٩٦٨	٥٨٥,٧	٥٨١,٧	١١,٧	٠,٧
١٩٦٩	٥٨١,٧	٥٩٥,٢	١٢,٣	٢,٣
١٩٧٠	٥٩٥,٢	٦٠٣,٩	١٣,٧	١,٥
١٩٧١	٦٠٣,٩	٦١٧,٣	١٥,٩	٢,٢
١٩٧٢	٦١٧,٣	٦٢٩,٠	١٦,٨	١,٩

١٩٧٣	٦٢٩,٠	٦٤٦,٢	١٦,٩	٢,٧
١٩٧٤	٦٤٦,٢	٦٦١,٦	١٨,١	٢,٤
١٩٧٥	٦٦١,٦	٦٦٥,١	١٨,٦	٠,٥
١٩٧٦	٦٦٥,١	٦٧٠,٩	٢٠,٣	٠,٩
١٩٧٧	٦٧٠,٩	٦٨١,٢	٢٠,٥	١,٥
١٩٧٨	٦٨١,٢	٦٨٤,٤	٢٠,٢	—

ويبين الجدول رقم ٣ أن الهجرة تشمل الذكور خاصة في سن العمل . حيث يزيد عدد الذكور على الاناث حتى سن ٢٤ . ولكن بعد ذلك ، يحصل انخفاض تدريجي في عدد الذكور يبلغ أقصاه في فئات العمر ٣٠ ــ ٥٤ سنة ، وهذه هي فترة العمل . ويقل بعد ذلك الفارق بين الجنسين ، حتى يتساوى عدد الذكور مع عدد الاناث في الفترة ما بعد ٦٥ سنة .

وقد ترك هذا الوضع أثراً واضحاً على القوة العاملة في الضفة الغربية . فبعد ان كانت نسبتها تعادل ٣٦,٧ من مجموع عدد السكان فوق سن ١٤ ، في سنة ١٩٧٠ ، اصبحت في سنة ١٩٧٨ تعادل ٣٤٪ . ويوضح الجدول رقم ٤ أن معظم النقص الذي حصل في عدد السكان منذ سنة ١٩٧٤ كان ممن هم في سن العمل ، مقابل زيادة في عدد السكان الذين هم فوق سن ١٤ .

الجدول رقم ٣

توزع السكان في الضفة الغربية حسب فئات العمر والجنس
للعام ١٩٧٧(٢٢)

فئة العمر	المجموع بالالف	٪	ذكور بالالف	٪	اناث بالالف	٪
١٥ ــ ١٩	٨٧,٥	١٠٠	٤٦,٣	٥٣	٤١,٢	٤٧
٢٠ ــ ٢٤	٦٠,٦	١٠٠	٣١,٧	٥٢	٢٩	٤٨
٢٥ ــ ٢٩	٣٥,٤	١٠٠	١٧,١	٤٨	١٨,٢	٥٢
٣٠ ــ ٣٤	٢٧,٥	١٠٠	١١,٨	٤٣	١٥,٧	٥٧
٣٥ ــ ٣٩	٢٥,٧	١٠٠	١٠,٦	٤١	١٥,١	٥٩
٤٠ ــ ٤٤	٢٤,٦	١٠٠	١٠,٣	٤٢	١٤,٣	٥٨
٤٥ ــ ٤٩	٢٤,٤	١٠٠	١٠,٣	٤٢	١٤,٢	٥٨
٥٠ ــ ٥٤	٢٠,٧	١٠٠	٩,٠	٤٣	١١,٧	٥٧
٥٥ ــ ٥٩	١٥,٤	١٠٠	٧,١	٤٥	٨,٣	٥٥
٦٠ ــ ٦٤	١١,٤	١٠٠	٥,٤	٤٧	٦,١	٥٣
٦٥ ــ ٦٩	٩,٥	١٠٠	٤,٨	٥٠	٤,٨	٥٠

الجدول رقم ٤

تطور القوة العاملة في الضفة الغربية
منذ العام ١٩٦٨ وحتى العام ١٩٧٨[٢٣]

السنة	مجموع السكان فوق سن ١٤ (بالألف)	مجموع القوة العاملة (بالألف)	النسبة المئوية للقوة العاملة من مجموع السكان فوق سن ١٤
١٩٦٨	٣٠٨,٦	٩٣,٠	٣٠,١٪
١٩٦٩	٣١٣,٧	١١٤,٦	٣٦,٥
١٩٧٠	٣٢٢,٩	١١٨,٤	٣٦,٧
١٩٧١	٣٣٠,٠	١١٩,٧	٣٦,٣
١٩٧٢	٣٣٦,٦	١٢٦,٦	٣٧,٦
١٩٧٣	٣٤١,٦	١٢٧,٧	٣٧,٤
١٩٧٤	٣٥٥,٢	١٣٩,٠	٣٩,١
١٩٧٥	٣٦٦,٩	١٣٣,٩	٣٦,٥
١٩٧٦	٣٧١,٠	١٣١,٣	٣٥,٤
١٩٧٧	٣٧٩,٤	١٢٨,٨	٣٣,٩
١٩٧٨	٣٨٩,٨	١٣٢,٩	٣٤,٠

وكان قطاع الصناعة قد تعرض ايضا الى نقص كبير في عدد العاملين بعد الاحتلال مباشرة ، فقد توقف الكثير من المصانع نتيجة للشلل العام الذي اصاب مرافق الحياةالاقتصادية ، بالاضافة الى عدم توفر المواد الخام الضرورية للصناعة ، بسبب تعثر امكانية الاستيراد من الخارج . ونتيجة لذلك ، عانى حوالى ثلث العاملين من بطالة كاملة . فحسب التقدير الأردني ، كان من المفروض ان يصل عدد العمال في هذا القطاع الى ١٧,٠٣٢ عاملا في العام ١٩٦٨[٢٤] . بينما يشير الاحصاء الاسرائيلي الى ان عدد العاملين في هذا القطاع لم يتجاوز في ذلك العام ١١,٢٠٠ عامل[٢٥] . أما العاملون بأجر فقد بلغ عددهم ٧٣٠٠ عامل[٢٦] . واذا ما اخذ بعين الاعتبار ان الارقام الاسرائيلية لا تتضمن مدينة القدس ، يكون هناك حوالى ٤٠٠٠ عاطل عن العمل في قطاع الصناعة ، كان اكثر من نصفهم عاملا بأجر . وقد ساعد هذا الوضع السلطات الاسرائيلية على محاولة تشكيل النشاط الصناعي في الضفة الغربية بما يتناسب واحتياجاتها ، فأقامت مراكز للتأهيل المهني في كافة انحاء مدن الضفة ، بهدف تدريب العمال العرب لاستثمارهم كطاقة بشرية رخيصة في مشاريعها .

وما أن مر عامان ، حتى بدأت مصانع الضفة الغربية تعود الى وضع شبيه بالذي كانت عليه قبل الاحتلال . حيث بلغ مجموع العاملين فيها في العام ١٩٦٩ ، بغير مدينة القدس ، ١٥,٢٠٠ عامل . اما المستخدمون فقد وصل عددهم الى ٨٨٠٠ عامل[٢٧] . ولذلك فان التقدير الأردني للعام ١٩٦٨ ، هو أقرب الى تقديرات عام ١٩٦٩ . وسوف نعتمد هذا التقدير كأساس لرصد تطور الصناعة في ظل الاحتلال ، باعتبار ان التغير الذي حصل ، بدأ بعد سنة

١٩٦٩ . وسوف نشير الى التقدير الأردني باعتباره الوضع القائم في بداية الاحتلال .

بقيت نسبة العاملين في قطاع الصناعة ، من اجمالي القوة العاملة ، منذ العام ١٩٧٠ وحتى العام ١٩٧٧ ، ثابتة تقريبا ، كما يبين الجدول رقم ٥ . ولذلك فان الزيادة في مجموع القوة العاملة التي يظهرها الجدول ، هي مجموع العاملين من الضفة الغربية في اسرائيل بالاضافة الى العاطلين عن العمل .

الجدول رقم٥

توزع العاملين من الضفة الغربية

للسنوات ١٩٧٠ ـ ١٩٧٧ (بالألف)[٢٨]

السنة	مجموع القوة العاملة	في الضفة الغربية	نسبة العاملين في الصناعة من العاملين في الضفة	العاملون في اسرائيل
١٩٧٠	١١٨,٤	٩٩,٨	١٤,٦	١٤,٧
١٩٧١	١١٩,٧	٩١,٢	١٤,٧	٢٥,٦
١٩٧٢	١٢٦,٦	٩٠,٣	١٤,٦	٣٤,٩
١٩٧٣	١٢٧,٧	٨٧,٨	١٦,٤	٣٨,٦
١٩٧٤	١٣٩,٠	٩٥,٠	١٥,١	٤٢,٤
١٩٧٥	١٣٣,٩	٩١,٩	١٥,٨	٤٠,٤
١٩٧٦	١٣١,٣	٩٢,٦	١٤,٩	٣٧,١
١٩٧٧	١٢٨,٨	٩١,٩	١٥,١	٣٥,٥
١٩٧٨	١٣٢,٩	٩٨,٩	—	٣٧,٠

ورغم ثبات هذه النسبة تقريباً ، فان النقص واضح في مجموع العاملين في الصناعة ، خاصة بعد ١٩٧٣ . وهذا لا يتناسب مع حجم الارتفاع الحاصل في عدد العاملين من الضفة الغربية في اسرائيل . ومنذ ١٩٧٦ ، انخفض عدد العاملين في الصناعة بشكل واضح ، من غير أن يرافق ذلك زيادة في عدد العاملين من الضفة الغربية في اسرائيل ، مما يشير الى وجود هجرة اضطرارية في تلك الفترة . ورغم تحفظنا على الأرقام الاسرائيلية ، من حيث أنها اقل مما هي في الواقع[٢٩] ، الا انها تعطي صورة عن استمرارية الهجرة التي بدأت منذ الحاق الضفة الغربية بالنظام الهاشمي. ويبين الجدول رقم٥ ان عدد العاملين في الصناعةفي الضفةالغربية ظل تقريبا دون تغيير حتى ١٩٧٣ ، ، حيث بلغ ١٤,٣٩٩ عاملا ، بعد ان كان ١٤,٦٢٩ عاملا في ١٩٧٠ . ورغم ان العدد ارتفع في العام ١٩٧٥ الى حوالى ١٦,٠٠٠ عامل ، فانه ما لبث ان انخفض في العام ١٩٧٧ ، الى ١٣,٨٧٧ عاملا . وهذا الرقم أقل مما هو حقيقة ، حيث حصل تطور بسيط في عدد الشركات ، وان لم تحصل زيادة مهمة في عدد العاملين داخل المصانع ، الا انه لم يحصل انخفاض ، كما يشير الرقم المذكور اعلاه . فقد كان عدد الشركات الصناعية المنشأة قبل الاحتلال ، ٥٦ شركة ، وأصبح عددها في العام ١٩٧٨ ، من غير مدينة القدس ، ٨٠ شركة"[٣٠]" . الا ان الطابع الحرفي ظل هو الغالب على قطاع الصناعة كما يتبين

من المقارنة بين الجدولين ٦ و ٧ . وقد كان عدد المؤسسات في الضفة الغربية في بداية الاحتلال ٢٩٩٩ مؤسسة تضم ١٧.٣٢ عاملا ، يعمل حوالي ٦٠٪ منهم باجر . ويبين الجدول رقم ٧ ، ان هذه النسبة لم تتغير تقريبا في العام ١٩٧٧ . كما يتضح من الجدول رقم ٨ ، ان ٩٢,٧٪ من المؤسسات في فرع الصناعة التحويلية يستخدم أقل من ١٠ عمال . وهذا يعني ان هناك ١٨٨ مؤسسة تضم ١٠ عمال فأكثر في هذا الفرع للعام ١٩٧٨ . وهذا يزيد بمقدار ٣٨ مؤسسة عما كان عليه الوضع في العام ١٩٦٩ ، حيث بلغ مجموع مثل هذه المؤسسات في الفرع المذكور ، كما يبين الجدول رقم ٩ ، ما يعادل ١٥٥ مؤسسة ، باعتبار ان فرع الكسارات يضم ٨٥ مؤسسة . ولا يزيد عدد المؤسسات التي تضم ١٠٠ عامل فأكثر عن ٧ ، مما يدل على الطابع الحرفي للصناعة . ويفضل اصحاب المصانع استخدام عدد قليل من العمال ، حتى لا يشملهم قانون العمل الأردني الذي لا يزال ساري المفعول في الضفة الغربية ، وينطبق فقط على المؤسسات التي تستخدم ٥ عمال فأكثر[٣١] .

الجدول رقم ٦

توزيع المؤسسات والعاملين في فروع الصناعة المختلفة في العام ١٩٦٩

نوع الصناعة	عدد المؤسسات[٣٢]	عدد العمال[٣٣]	عدد المستخدمين[٣٤]
الكسارات	١١٠	١٧٢٥	١٦٦٢
المواد الغذائية	١٠٥٠	٥٠١٣	٢٩٨٣
المشروبات	٥	١٢٦	١٠١
التبغ والسجائر	٢	٢٢٢	٢١٥
النسيج والتريكو	٥٣	٦٨٥	٤٨٢
الملابس والخياطة	٤٢١	١٤٦٥	٢٨٢
الاحذية	٤٦٣	٩٤٤	٩٦٤
الخشب والفلين	١٩	١٨٠	٨٢
الاثاث والمفروشات	٧٤٦	١٨٩٢	٧٠٨
الورق ومنتجاته	٧	١٠١	٨٧
الطباعة والنشر	٣٨	٤٧٢	٢٤٠
الجلود ومنتجاتها	٣٥	٧٣	٤١
منتجات المطاط	٢٤	٥٣	٣٥
المنتجات الكيماوية	٤٢	٨٥٢	٦٩٥
المنتجات غير المعدنية	٣٢	٥٣٣	٥١١
المنتجات المعدنية	٤٩٥	١٤٩٣	٧٣٤
آلات غير كهربائية	١	١٦	٩
آلات وأدوات كهربائية	٩٣	١٣٣	٩٥
معدات نقل	٢٠٢	٤٣٦	٢١٥
متنوعة	١٧١	٦١٨	٢٢٧
مجموع	٣٩٩٩	١٧٠٣٢	١٠٣٧٥

الجدول رقم ٧

توزع العاملين في فروع الصناعة التحويلية
للعام ١٩٧٧ «٣٥»

نوع الصناعة	عدد العمال	عدد المستخدمين
مواد غذائية ومشروبات ودخان	١٤٣٧	١٠٣٩
ملابس ونسيج وخياطة	٢٢٠٨	١٥٠٢
جلود ومنتجاتها	٦٩٦	٢٥٥
خشب ومنتجاته	١١٦٠	٤٣٧
مطاط وبلاستيك ومواد كيماوية	٦٨٨	٦١٦
منتجات غير معدنية	٦٦٣	٤٤٩
منتجات معدنية	١٣١٤	٦٠٢
منتجات صناعية اخرى	٨٩٨	٥٥٠
مجموع	٩٠٦٤	٥٤٥٠

ورغم ان الجدول رقم ٨ يشير الى أن مجموع المؤسسات الصناعية في الضفة الغربية يعادل ٢٥٨٧ مؤسسة ، أي بنقص يعادل ١٤١٢ مؤسسة عنه في بداية الاحتلال ، فان هذا النقص ناتج اساسا عن عدم تضمين منشآت فرع المقالع والكسارات بالاضافة الى تغييب مؤسسات مدينة القدس . فمن اصل ٢٥٨٧ منشأة صناعية في الضفة الغربية ، يوجد ٢٩,٨٪ كراجات ومحلات حدادة ، و١٦,٧٪ محلات نجارة ، و ١٣,٩٪ خياطة وتريكو ، و ١٤,٣٪ معامل بلاط ومناشر حجر ، و ١٢,٢٪ محلات لصناعة الاحذية والمنتجات الجلدية ، و ١٣,١ مؤسسات من أنواع أخرى(٣٦) .

الجدول رقم ٨

توزع المؤسسات الصناعية في الضفة الغربية بحسب
حجم طاقتها العمالية للعام ١٩٧٨(٣٧)

عدد العمال في المؤسسة	عدد المؤسسات الصناعية	النسبة المئوية
١ ــ ٩	٢٣٩٩	٪٩٢,٧
١٠ ــ ١٩	١١٤	٪٤,٤
٢٠ ــ ٤٥	٦٠	٪٢,٣
٥٠ ــ ٩٩	٧	٪٠,٣
١٠٠ ــ وما فوق	٧	٪٠,٣
المجموع	٢٥٨٧	٪١٠٠,٠

الكسارات والمقالع : استوعب هذا الفرع اكثر من ١٠٪ من مجموع العاملين قبل العام ١٩٦٧ ، لكنه تراجع الى النصف تقريباً بعد الاحتلال مباشرة(٣٨) . الا أنه ما لبث ان عاد الى ما كان عليه في فترة قصيرة . وقد حصل تطور واضح في عدد العاملين في هذا الفرع ، فبعد ان كان العدد في بداية الاحتلال يعادل ١٧٢٥ عاملا ، كما يبين الجدول رقم ٦ ، اصبح في العام ١٩٧٧ ، ٤٨١٣ عاملا(٣٩) . اي حوالى ٣٥٪ من مجموع العاملين في الصناعة . وترتفع نسبة العاملين بأجر ، كما يرتفع متوسط العمالة في هذا الفرع ، حيث يضم اكثر من ثلث المؤسسات التي تشغل ١٠ عمال فأكثر ، كما يبين الجدول رقم ٩ ، وتعتبر هذه الصناعة الاستخراجية من الصناعات المهمة في الضفة الغربية حيث تتوفر محاجر ضخمة ، خاصة في بيت لحم ، والخليل ، وبطا ،وبيت فجار ، ورام الله ، وقباطية ، وجماعين . ويعود السبب في ازدهارها ، الى نمو حركة البناء في الضفة الغربية وفي اسرائيل ، بالاضافة الى توفر امكانية تصدير حجر البناء للخارج .

ويمكن لهذا الفرع ان يتطور وان ينمو ، خاصة وأنه بالاضافة الى توفر المادة الخام في الضفة الغربية ، فان هذه الصناعة الاستخراجية في اسرائيل تعتبر من أقل الفروع استخداماً للقوة العاملة ، حيث لا يتجاوز عدد العاملين فيه عن ٥٠٠٠ عامل يتوزعون على أقل من ٦٠ مؤسسة .

الجدول رقم ٩

توزع العاملين في المؤسسات التي تضم ١٠ عمال فأكثر
في بداية الاحتلال(٤٠) ١٩٦٩

	عدد المؤسسات	عدد العاملين
الكسارات	٨٥	١٥٦٢
المواد الغذائية	٣١	٧٦٣
المشروبات	٤	١٢٦
التبغ والسجائر	٣	٢٢٩
النسيج والتريكو	١٩	٥١١
الملابس والخياطة	٥	٦٢
الاحذية	٨	١٢٦
الاثاث والمفروشات	١٠	٢١٥
الورق ومنتجاته	٢	٦٨
الطباعة والنشر	١٨	٣٧٠
المنتجات الكيماوية	١٩	٧٤٨
المنتجات غير المعدنية	١٤	١٩٨
المنتجات المعدنية	١٣	٢٤٩
معدات نقل	٢	٩٨
متنوعة	٢	١٢٠
مجموع	٢٣٥	٥٤٤٥

المواد الغذائية والمشروبات والدخان : يتبين من مقارنة الجدولين ٦ و ٧ ان هناك نقصا في عدد العاملين في هذه الفروع . فبينما كانت صناعة المواد الغذائية تضم في بداية الاحتلال حوالى ٢٩٪ من عدد العاملين في الصناعة ، انخفضت هذه النسبة بشكل واضح في سنة ١٩٧٧. ويرجع احد اسباب هذا الانخفاض الى سوء موسم الزيتون في ذلك العام ، حيث يعمل في صناعة زيت الزيتون حوالى نصف العاملين في الصناعة الغذائية . ويبين الجدول رقم ١٠ ، التذبذب الحاصل في هذه الصناعة ، نتيجة لموسمية الانتاج . ويعود السبب الأساسي في الانخفاض الذي يظهره الجدول رقم ٧ ، الى عدم افصاح بعض اصحاب المصانع عن العدد الحقيقي للعمال ، او التهرب من تسجيل بعض المصانع رسميا ، خاصة الصغيرة منها ، كالمطاحن والمخابز ومعامل الحلويات التي تتميز بتدني متوسط العمالة فيها. ومن مقارنة عدد المستخدمين لمجموع العاملين في الجدولين ٦ و ٧ ، يتضح ارتفاع نسبتهم في سنة ١٩٧٧ ، حيث ارتفعت من حوالى ٥٠٪ في بداية الاحتلال الى ٧٢٪ في العام المذكور . وقد ضم هذا الفرع في بداية الاحتلال ، حوالى ٣٠٪ من مجموع العاملين في الصناعة يتوزعون على اكثر من ألف مؤسسة . الا انه حصل انخفاض في عدد العاملين في العام ١٩٧٧ ، حيث بلغت نسبتهم من مجموع العاملين ١٥,٨٪ فقط . وقد ساهم صغر حجم هذه المؤسسات في عدم قدرتها على الصمود أمام المنافسة الاسرائيلية حيث لم، يتجاوز عدد المؤسسات التي تضم ١٠ عمال فأكثر ٣١ مؤسسة في العام ١٩٦٩ ، كما يبين الجدول رقم ٧ . كما ان هذا التدهور في هذا الفرع عائد الى اضعاف الزراعة من قبل السلطات الاسرائيلية ، والتي تعتمد عليها هذه الصناعة . فقد سعت هذه السلطات الى مصادرة وحجز الكثير من الأراضي الصالحة للزراعة بحجة استخدامها لأغراض عسكرية او استيطانية ، كما حرمت الكثير من هذه الأراضي من موارد المياه التي تستفيد منها . بالاضافة الى المنافسة غير المتكافئة للانتاج الزراعي في الضفة الغربية مع الشركات الاسرائيلية ، الأمر الذي دفع الكثير من العاملين في الزراعة للتوجه نحو العمل المأجور في اسرائيل . وليس غريباً ان ينخفض عدد العاملين في قطاع الزراعة الى النصف بعد عشر سنوات من الاحتلال .

الجدول رقم ١٠

تطور المعاصر وعدد العاملين فيها(٤١)

السنة	عدد المؤسسات	عدد العاملين
١٩٦٧ ـ ١٩٦٨	٢٥٧	٢٤٤٨
١٩٧٢ ـ ١٩٧٣	١٧٢	١٠٨٨
١٩٧٣ ـ ١٩٧٤	٢٩٤	٣٠٨٧
١٩٧٤ ـ ١٩٧٥	١٠٢	٦٣٣
١٩٧٥ ـ ١٩٧٦	٢٥٠	٢٣٣٥
١٩٧٦ ـ ١٩٧٧	١٧٥	٩٦٤

ورغم عدم قدرة المنشآت الصناعية في فرع المواد الغذائية على منافسة مؤسسة تنوفا

الاسرائيلية التي يملكها الهستدروت وتحتكر توزيع المنتجات الزراعية ، فقد استطاعت الصناعات التي يتم تسويق انتاجها الى شرقي الأرن ، من الصمود والاستمرار . ومن أهم المؤسسات التي تضررت مصنع الجبشة للشوكولاته ، الذي توقف عن العمل منذ بداية الاحتلال ، ولم يفتح ثانية الا في اوائل تموز سنة ١٩٧٨ ، ويعمل فيه حاليا ١٥ عاملا ، بعد ان كان فيه قبل الاحتلال ٤٠ عاملا ، كما حصل تراجع في شركة الصناعات الزراعية ، وذلك بسبب عقبات التصدير للأردن ، فلم يبق في مصنعي البندورة والزيوت التابعين لهذه الشركة سوى خمسة عمال ، بعد ان كان قبل العام ١٩٦٧ يزيد عن ١٥ عاملا .

ويعود اضعاف صناعة المواد الغذائية الى فترة ما قبل الاحتلال، حيث قامت السلطات الاردنية بتشجيع انشاء صناعات مماثلة في الضفة الشرقية ، فمثلا ، تم تأسيس ، الشركة العربية المحدودة في ماركا لانتاج رب البندورة والمربيات والخضار المعلبة . كما تأسست شركتان في عمان لانتاج اصناف مماثلة لشركة سلفانا ، هما شركة مصنع فينوس ، ومصنع شوكولاته مترو(٤٢) . وقد ادى عدم تشجيع استثمار رؤوس الأموال في الضفة الغربية ، الى بقاء المنشآت في هذا الفرع صغيرة ومعرضة للتوقف ، رغم انها تشكـــل ثلـث المؤسسات الصناعية عامة .

وقد انشئت مؤسسات غذائية قليلة بعد الاحتلال، الا أنها اعتمدت على المكننة ، تجنبا لاستخدام الأيدي العاملة . فمثلا ، اقيم مصنع خليل الرحمن للمعكرونة في العام ١٩٧٥ ، ومصنع الاصدقاء للبسكوت ، ومصنع تشميع الحمضيات في العام ١٩٧٨ . كما بنيت ٤٠ معصرة تميزت عشرة منها بكونها اوتوماتيكية(٤٣) . ومن الجدير بالذكر ان المنشآت الجديدة التي تنتج اصنافا مماثلة لما تسوقه الشركات الاسرائيلية في الضفة الغربية ، لا يكتب لها النجاح والاستمرار ، كما هو الحال في مصنع انتاج الجبنة القشقوان في بيت ساحور . الذي لم يستمر اكثر من ستة اشهر . ويبين الجدول رقم ١١ اهم المؤسسات الغذائية من حيث عدد العمال ، ومن الواضح ان معظمها كان قائماً قبل الاحتلال ، ويبلغ مجموع العاملين فيها حوالى ٦٠٠ مستخدم ، مما يشير الى عدم دقة الاحصاء الاسرائيلي لعدد العاملين في هذا الفرع . حيث يزيد عدد العاملين في المعاصر المبينة في الجدول رقم ١٠ ، وفي المنشآت المذكورة في الجدول رقم ١١ عن العدد المذكور لمجموع المنشآت في فرع المواد الغذائية والمشروبات والدخان معا في الجدول رقم ٧ .

ولم يجر تغير كبير على صناعة المشروبات في الضفة الغربية ، حيث استمرت المصانع التي قامت قبل الاحتلال ، واهمها . مصنع صابات للكحول ، وشركة ساحوري وحنظل في بيت لحم ، ومصنع كريمزان في بيت جالا ، ومصنع عرق رام الله .

الجدول رقم ١١

اهم المؤسسات الغذائية وتوزيعها في الضفة الغربية
للعام ١٩٧٩

اسم المؤسسة	المكان	عدد العمال
شركة الزيوت النباتية	نابلس	٢٨٠
شركة مصانع سلفانا للشوكولاته والحلويات	رام الله	١٢٠
شركة معكرونة الغزال	بيت لحم	٤٠
الشركة الوطنية للمواد الغذائية	بيت لحم	١٢
مؤسسة مخبز شحادة الحديث	بيت جالا	٣٢
مصنع الجبشة للشوكولاته	بيت حنينا	١٥
مصنع خليل الرحمن للمعكرونة	الخليل	٤
شركة الصناعات الزراعية (زيوت ، بندورة)	الخليل	٥
مصنع الاصدقاء للبسكوت	البيره	٦٠
مصنع تشميع الحمضيات	قلقيلية	٢٠
المجموع		٥٨٨

اما صناعة التبغ والسجائر فتتميز باعتمادها على الطرق والوسائل التقنية الحديثة . وقد تطورت شركة القدس المساهمة المحدودة ،فبعد ان كانت تضم قبل الاحتلال ٣٥ عاملا ، ارتفع عدد عمالها . في العام ١٩٧٩ الى ١٢٥ عاملا . كما انشئت شركة السجائر العالمية في بيت جالا في العام ١٩٧٤ وتضم حالياً ٣٤ عاملا .

ويعتبر انشاء اية مؤسسات في فرع الصناعة الغذائية والمشروبات والدخان مهدداً بالتوقف او التدهور ، وذلك بسبب تطور الصناعة الاسرائيلية في هذا المجال ، فهناك ١٠٥٢ مؤسسة صناعية في هذا الفرع فقط تضم ٤١ ألف عامل(٤٤) ، أي ما متوسطه ٣٩ عاملا . وهـذا يعادل ثمانية اضعاف المعدل في الضفة الغربية . مما يجعل استمرار أية مؤسسة جديدة محكوم بقدرتها على الوقوف أمام المنافسة غير المتكافئة مع الصناعة الاسرائيلية

الملابس والنسيج والخياطة : يتبين من مقارنة الجدولين ٦ و ٧ ان هناك ارتفاعاً بسيطاً في عدد العاملين في هذه الفروع منذ بداية الاحتلال وحتى سنة ١٩٧٧ ، ولكن الزيادة الحقيقية اكثر من ذلك بكثير ، لأن غالبية العاملين في هذه الصناعة هم من الاناث ، ويزاولن العمل عادة في المنازل . وتميز هذا الفرع بتدني متوسط العمالة فيه (٤,٥)،وبانخفاض نسبة العاملين بأجر في بداية الاحتلال ، خاصة في فرعي الملابس والخياطة . مما يشير الى ان الغالبية كانت ممن يعملون اما لأنفسهم اوللأسرة . ولم يتجاوز عدد المؤسسات التي ضمت ١٠ عمال فأكثر ، ٢٥ مؤسسة في العام ١٩٦٩ ، كما يبين الجدول رقم ٩ .

وقد حدثت تغييرات هامة في هذا الفرع بشكل خاص نتيجة لحاجات الشركات الاسرائيلية للأيدي العاملة الرخيصة المتوفرة في الضفة الغربية ، حيث تحول كثير من المصانع للعمل

لصالح شركات آتا ، وركس وبربير وايلاستكس وغيرها ، والتي تتنافس فيما بينها على عرض شروط مالية مغرية للعاملين العرب . ونتيجة لذلك ، فقد توقفت معظم المصانع في هذا الفرع عن العمل بشكل مستقل باستثناء المنشآت الكبيرة . وتعمل مصانع هذا الفرع بكامل طاقتها الانتاجية ، وهذا عائد الى سد حاجة السوق الاسرائيلية من الثياب . وقد نمت هذه الصناعة بمعدلات مرتفعة جدا ، خاصة الأصناف التي تحتاج الى ايد عاملة كثيفة . ويبين الجدول رقم ١٢ أن هذه المصانع تتركز في منطقتي الخليل وبيت لحم . وهناك شبه تخصص لكل منطقة في انتاج صنف معين ، فمثلا ، تتميز بيت ساحور في صناعة التريكو ، والخليل في النسيج ، وبيت لحم في المناشف ، اما بيت جالا ففي انتاج الجوارب والألبسة .

والى جانب المصانع المذكورة في الجدول ، هناك الكثير من المشاغل الصغيرة والتي لا يتجاوز عدد عمالها خمسة في الغالب . ففي الخليل ، مثلا ، يوجد ١٦ مصنعا للنسيج يعمل اصحابها لصالح المصانع الأربع الوارد ذكرها في الجدول رقم ١٢ . ونظراً للطبيعة الحرفية لهذه الصناعة ، فان بعض العاملين بعد اتقان المهنة ، يعملون لحسابهم الخاص .

وتحتل صناعة النسيج والخياطة أهمية خاصة في الضفة الغربية ، اذ انها تشكل اكثر من نصف المنشآت المسجلة في المجالس البلدية . ويبين الجدول رقم ١٣ ، ان هناك ٢٠ مصنعا في هذا الفرع مسجلة في البلدية من مجموع ٣٥ مصنعا . وفي بيت جالا ، ١٠ من مجموع ١٧ ، وفي بيت لحم ٧ من مجموع ١٢ منشأة . ويفوق عدد العاملين خارج هذه المصانع ضعفي العاملين داخلها . وذلك لأن الأجور المدفوعة في الحالة الأولى ، أقل بكثير . كما يفضل ارباب العمل ، التعامل على اساس القطعة . وهذا الوضع يناسب وضع المرأة التي تفضل عدم التقيد بدوام يومي ثابت . وتقوم الشركات الاسرائيلية ، والمصانع العربية ، بالاضافة الى افراد محليين بتوزيع الخيوط والأقمشة على العاملين في المنازل . اذ يصبح استخدام الأيدي العاملة من النساء اكثر سهولة . ولذلك فان الزيادة الفعلية في هذا الفرع هي من الاناث ، رغم عدم ظهورها في الجدول رقم ٧ . وهذا النمو لا يعبر عن تطور حقيقي في بنية هذا الفرع بقدر ما يعبر عن مقدار ما تجنيه الشركات والمصانع الاسرائيلية من أرباح . فهي تؤمن يداً عاملة غير متوفرة لديها بأجر أقل . وفي نفس الوقت تستطيع التحايل على دفع المستحقات من الضرائب ، باخفاء موجوداتها ومبيعاتها الحقيقية ، بالاضافة الى التحرر من دفع تعويضات التأمين ونهاية الخدمة للعمال العرب . ويعتبر هذا الفرع من أهم فروع الصناعة في اسرائيل حيث ضم ٥١ الف عامل في العام ١٩٧٧ ؛ اي ما يعادل ٢٠٪ من مجموع العاملين في الصناعة يتوزعون على ٢١٢٣ مؤسسة[٤٥] ، يعمل ٤٣,٥ الف عامل منهم في ٥٨٪ من هذه المؤسسات[٤٦] . وهذا يشير الى ان متوسط العمالة في هذا الفرع في اسرائيل يزيد عن خمسة أضعاف المعدل في الضفة الغربية . اي ان هذه الصناعة في وضع افضل بكثير من حيث كثافة رأس المال وحجم الاستخدام . الا ان النقص في الايدي العاملة يكره هذه المؤسسات في اغلب الاحيان للتوجه للعمال العرب في المناطق المحتلة .

وقد تضررت بعض مصانع الضفة الغربية التي تنتج اصنافا مماثلة للمنتوجات الاسرائيلية ، لعدم قدرتها على المنافسة . مثل مصنع حزبون للنسيج وشركة جودة السوادي للتريكو في بيت لحم ، ومصنع نخلة القطان للكلسات في بيت جالا .

وقد حصل تراجع بسيط في صناعة النسيج والخياطة في السنتين الأخيرتين وخاصة في

الأعداد العاملة في المنازل ، حيث ازداد عدد النساء اللواتي يتوجهن للعمل في المصانع الاسرائيلية بسبب ارتفاع الأجور هناك مقارنة بما يدفع لهن في الضفة الغربية .

ومن الجدير بالذكر ان هناك صناعة مهمة تشتهر فيها القرى الفلسطينية وهي التطريز الشعبي الذي تتميز به منطقة رام الله ، وتطريز القصب السياحي والكروشيه الذي تتميز به قرى منطقة بيت لحم .

الجدول رقم ١٢

أهم المؤسسات في فرع الملابس والخياطة والنسيج وتوزيعها
من حيث عدد العمال حتى العام ١٩٧٩

المؤسسة	المكان	عدد العمال	سنة التأسيس
شركة مصانع العشي للنسيج	الخليل	٨٠	١٩٧٢
مصنع الاقصى للنسيج (شاور)	الخليل	٤٠	١٩٤٤
مصنع المناشف	الخليل	١٦	١٩٧٨
شركة سنقرط للنسيج	الخليل	١٥	١٩٧٥
مصنع نسيج كمال بالي	الخليل	٢٠	١٩٧٥
مصنع الألبسة الداخلية	بيت جالا	١٢٠	١٩٧٥
شركة النسيج الوطنية	بيت جالا	٧٠	١٩٥٣
مصنع عودة صلاح	بيت جالا	٤٠	١٩٥٣
شركة اربي جي للسنيج	بيت جالا	٢٥	١٩٦٦
مصنع قمصية للنسيج والخياطة	بيت ساحور	٣٥	١٩٦٨
مصنع نجيب ناصر للنسيج	بيت لحم	٥٠	١٩٣٧
مصنع اسكندر قمر للنسيج	بيت لحم	١٦	١٩٥٦
مصنع سليم ناصر للمناشف	بيت لحم	٤٠	١٩٦٥

الجدول رقم ١٣

مؤسسات النسيج والخياطة والتريكو حسب المناطق المهمة بالضفة الغربية
للعام ١٩٧٩

بيت ساحور	الخليل	بيت لحم	بيت جالا
مصنع نسيج وخياطة سابا قمصية	مصنع نسيج كمال بالي	شركة نجيب سليم ناصر (مراويل ومناشف)	مصنع انطوان جر للجوارب
مصنع نسيج الراعي	مصنع نسيج فايز عثمان الناظر	مصنع تريكو اسحق عبد المجيد	مصنع توفيق صنصور للجوارب
مصنع غانم للخياطة	مصنع نسيج احمد العشي واولاده	شركة جودة السوادي للتريكو	مصنع جريس صنصور للجوارب
مصنع نسيج رشماوي	مصنع نسيج ابرهيم ابو ستيتية وشركاه	شركةتريكو سمور للنسيج	مصنع نخلة القطان للجوارب
مصنع نسيج الاتحاد النسائي	مصنع نسيج سنقرط د همان واستاذ	مصنع سليم ناصر للأقمشة والمناشف	مصنع شركة النسيج الوطنية للالبسة الداخلية
	مصنع نسيج مصباح ابو شرخ	مصنع نسيج اسكندر انطوان قمر	مصنع جريس العرجا للالبسة
	مصنع نسيج عثمان الناظر	مصنع حنا ناصر للمناشف	مصنع سابا الهودلي للالبسة
	مصنع نسيج صبحي احمد طباره		مصنع نصري موسى للالبسة
	مصنع نسيج عبد الجواد اسحق مسودة		مصنع روكي ابو سعدى للالبسة
	مصنع نسيج سعدي اسعد شاور		مصنع اندون ابو نهد للأصواف
	مصنع نسيج محمود شحدة الزين		
	مصنع نسيج عبد الغني مسودة		
	مصنع نسيج عدنان عزات ادعيبس		
	مصنع نسيج صالح الجعبري		
	مصنع نسيج ياسر محمد الحرباوي		
	مصنع نسيج فايز المحاريق		
	مصنع نسيج عبد الرؤوف شاور		
	مصنع نسيج حسين ابراهيم الشرباتي		

الجلود ومنتجاتها : يتضح من الجدول رقم ٩ ، انه لم تكن هناك أية مؤسسة كبيرة في هذا الفرع . اما صناعة الأحذية فتشمل ٨ مؤسسات تضم ١٠ عمال فأكثر . ويبلغ مجموع مؤسسات فرع الجلود ، كما يبين الجدول رقم ٦ ، ٣٥ مؤسسة يعمل بها ٧٢ عاملا . اما صناعة الأحذية فتضم ٤٦٣ مؤسسة يعمل بها ٩٤٤ عاملا ، مما يشير الى مقدار تدني متوسط العمالة في هذا الفرع .

وفي العام ١٩٧٧ ، اصبح مجموع العاملين ، كما يبين الجدول رقم ٧ ، ٦٩٦ عاملا ، يعمل حوالى ٣٧٪ منهم بأجور ، مما يدل على استمرار الطابع الحرفي لهذه الصناعة ، ولا يبين الاحصاء الاسرائيلي عدد هذه المؤسسات ، ولكن مشاغل الاحذية القائمة في مدينة الخليل فقط تزيد على ٢٦٠ مشغلا ، ومثل هذا العدد تقريبا موجود في مدينة القدس . وعدا عن ذلك توجد بعض المشاغل الصغيرة التي لا يتجاوز عددها ٥٠ مشغلا تتوزع في مختلف انحاء الضفة الغربية .

ولم تتطور هذه الصناعة بسبب منافسة الجلود المستوردة عن طريق اسرائيل للجلود المحلية ، كما ان هذه المشاغل تضررت بشكل خاص نتيجة للضرائب التي فرضتها السلطات الاسرائيلية ، بسبب صغر حجمها مما دفعها الى الاضراب احتجاجا(٤٧) .

ويبلغ عدد مصانع الدباغة المهمة ست مصانع يوجد منها خمسة في مدينة الخليل فقط ، وواحد في رام الله ، وهذه الصناعة مقتصرة على عدد معين من العائلات ، وذات طابع حرفي متوارث ويعمل عادة في هذه المصانع افراد العائلة نفسها ، واذا لزم الأمر ، فيستخدم الأطفال دون سن الخامسة عشرة: كما هو الحال في مصنعي خالد الزعتري واولاده ، وشمس الدين الزعتري وأولاده . وهناك ثلاثة مصانع للحقائب الجلدية ، في الخليل ، اهمها مصنع ابراهيم خالد النتشة . وعدا عن ذلك لم تنشأ في الضفة الغربية اية مصانع مهمة في هذا النوع .

الخشب ومنتجاته : تتميز هذه الصناعة ايضا بتدني عدد العاملين فيها ، حيث بلغ متوسط العمالة في صناعة الخشب والفلين ٤,٦ ، وفي الاثاث والمفروشات ٢,٥ مستخدما للمؤسسة . ولا توجد اية مؤسسات تضم ١٠ عمال فأكثر في الاولى ، كما لا يزيد عدد مثل هذه المؤسسات عن ١٠ مؤسسات في الثانية ، كما يبين الجدول رقم ٩ . وقد كان عدد العاملين في هذا الفرع ٢٠٧٢ عاملا في العام ١٩٦٩ ، ، كان ٣٨٪ منهم يعمل بأجر ، كما يظهر من الجدول رقم ٦ . ويبين الجدول رقم ٧ ، ان هذه النسبة بقيت ثابتة في العام ١٩٧٧ . وهذا صحيح فيما يتعلق بالمصانع نفسها ، اما خارج اطار هذه المصانع ، فقد استفادت صناعة الأثاث الاسرائيلية من الأجور المنخفضة في الضفة الغربية . مما ادى الى تحول معظم المشاغل الصغيرة والنجارين للعمل لصالح الشركات الاسرائيلية . وتحول بعض اصحاب المشاغل الى وكلاء لتوزيع الخشب . وهذا مشابه للظروف التي عانت منها صناعة النسيج في الضفة الغربية . فتراجع الكثير من المصانع نتيجة للمنافسة وضيق السوق ، بالاضافة الى النقص في عدد العمال الفنيين بمقابل ارتفاع عدد الحرفيين من النجارين ، وقد توقفت بعض المصانع عن انتاج الموبيليا وتحولت الى انتاج اكثر ربحا . فمثلا ، انخفض عدد عمال معامل السراير الوطني لصاحبه عيسى البندك في بيت لحم من ١٠٠ عامل الى النصف تقريبا ، وتحولت شركة

رباح للموبيليا في رام الله الى انتاج الاسفنج وفرشات الرفاص بعد ان كانت تضم ٨٠ عاملا قبل العام ١٩٦٧ ، ولم يزد عدد عمالها عن ١٥ عاملا في اوائل ١٩٧٩ . وانخفض عدد عمال شركة مصانع معايعة للموبيليا في رام الله من ١٢٠ عاملا قبل الاحتلال الى ١٦ عاملا في منتصف سنة ١٩٧٩ . وهناك توجه من قبل الشركة الى تحويل المصنع لانتاج صنف آخر بسبب تدني انتاجيته الحالية حيث لا تتجاوز ١٥٪ من قدراته . وهذه المصانع لا تعمل بكامل طاقتها الانتاجية ، حيث تقوم في الغالب بتلبية ما تتطلبه السوق المحلية .

وقد نشطت صناعة خشب الزيتون الزخرفية في الضفة الغربية ، بسبب توفر خشب الزيتون الضروري لهذه الصناعة . ومعظم هذه المصانع تضم ٣ ــ ٥ عمال في الغالب . ويتوزع العاملون على اكثر من ١٠٠ مشغل ، حوالى نصفها في مدينة بيت لحم ، و ٤٠ منها في بيت ساحور ، وما تبقى فهو في بيت جالا . ومن الجدير بالذكر ان هذه المشاغل لا تعاني من المنافسة بسبب توفر امكانية التسويق ، كما ان كل مدينة تتخصص في انتاج أصناف معينة . فمثلا تتميز بيت جالا بانتاج الحيوانات الخشبية ، وبيت ساحور بانتاج التماثيل الشخصية . اما بيت لحم فتنتج الأدوات التي تعتمد على المخارط اكثر من المهارة اليدوية . ويقدر عدد العاملين في هذا النوع من الصناعة بحوالى ١١٦٠ عاملا . وهذا يزيد عن عدد العاملين في هذا الفرع كما يبين الجدول رقم ٧ .

المطاط والبلاستيك والمنتجات الكيماوية : يبين الجدول رقم ٦ ضعف هذه الصناعات في بداية الاحتلال . وهذا راجع اساسا الى محاولة النظام الهاشمي ، عرقلة انشاء مصانع في هذه الفروع ، في الضفة الغربية . فقد بلغ عدد العاملين في هذه الصناعة في بداية الاحتـــلال ٩٠٥ عمال . ولم يكن مسجلا في غرفة صناعة عمان حتى العام ١٩٦٧ سوى ثلاث شركات فقط للمنتجات البلاستيكية(٤٨) ، وهي شركة البلاستيك الأردنية في بيت ساحور ، وكانت تضم ٣٠٠ عامل ، وشركة البلاستيك الاهلية ، وشركة بلاستيك الشرق في القدس ، حيث ضمت الأخيرة ٦٢ عاملا ، كما يوضح الجدول رقم ١٠ . وفي فترة الاحتلال الاسرائيلي ، انخفضت انتاجية هذه المصانع الى النصف تقريبا ، مما اثر على عدد العمال . ففي شركة البلاستيك الأردنية انخفض العدد الى ١٥٠ عاملا . وقد اضطر اصحاب هذا المصنع الى انشاء آخر مماثل في الضفة الشرقية لتجنب ارتفاع التكلفة في الاستيراد والتصدير والتخلص من المنافسة الاسرائيلية .

وقد أنشأت شركة ملحيس للصناعة والتجارة مصنعا للأحذية البلاستيكية في نابلس سنة ١٩٧١ . واستطاع هذا المصنع الاستمرار بسبب انتاجه لهذا الصنف من البلاستيك الذي لا تنتجه المصانع الاخرى في هذا الفرع . ويضم حاليا ١٠٠ عامل . ومن الملاحظ ان معظم مصانع انتاج البلاستيك تتخصص في أنواع معينة من المنتوجات ، مما يقلل من امكانية المنافسة فيما بينها . ولا توجد مصانع هامة في هذا الفرع ، باستثناء مصنع عابدين في بيت لحم الذي يضم ٣٠ عاملا ، ولا يتجاوز العدد في مصنعي رام الله والقدس خمسة عمال

اما مصانع الأسفنج فهي قليلة ولا تتعرض لمنافسة قوية ، لذلك تحول مصنع رباح لانتاج الموبيليا الى انتاج لبف وفرشات الاسفنج ويضم حاليا ١٥ عاملا وفي رام الله مصنع آخر

للاسفنج هو مصنع موسى جميل ، كما تضم شركة البلاستيك الاردنية مصنعا لانتاج فرشات وليف الاسفنج يعمل فيه حوالى ٢٥ عاملا .

ولم تتطور صناعة المطاط في الضفة الغربية ، حيث كان هناك مصنع واحد في مدينة القدس نقل الى مدينة الخليل تحت اسم مصنع المطاط والسليسيون الحديث . ولا يعمل فيه سوى عاملين .

وهناك بعض مصانع الورق والكرتون واهمها مصنع اوهانسيان في رام الله ويضم حوالى ١٢٠ عاملا ، ومصنع لانتاج ظروف الورق في جنين لصاحبه نجيب صادق نجيب ومعمل الكرتون في الخليل لصاحبه محمد الحرباوي . بالاضافة الى توفر بعض المطابع ثلاث منها في رام الله ، وهي الرفيدي واوهانسيان وحديد . وفي نابلس ١٢ مطبعة اهمها شركة عبد الرحمن الحجاوي .

وتميزت صناعة الصابون كأهم انتاج كيماوي للضفة الغربية قبل الاحتلال ، وقامت هذه الصناعة تاريخيا في مدينة نابلس نتيجة لوفرة اشجار الزيتون هناك . وكان في هذه المدينة قبل الاحتلال ، ٢٨ مصبنة[٤٩] وصلت في العام ١٩٧٩ الى ٣٠ ، ويبين الجدول رقم ١٤ اهم هذه المصابن .

وتنتشر في الضفة الغربية ، بعض المعامل المتفرقة لانتاج الصابون ولكنها صغيرة . ففي الخليل ، تنتج شركة الصناعات الزراعية ، بالاضافة الى انتاجها من الزيوت ، الصابون . وفي منطقة رام الله هناك شركة الصناعات المتحدة للزيوت ، ومعامل رنتسيسي وسليمان . ومعظم هذه المصابن كان قائما قبل سنة ١٩٦٧

وقد برزت ، بعد الاحتلال ، صناعة المنتوجات الكيماوية . حيث انشئت على الأقل ١٠ مصانع لانتاج الأدوية ، وعدد مماثل لانتاج الاعلاف وثلاثة مصانع لانتاج الصابون السائل . ويبين الجدول رقم ١٥ اهم هذه المؤسسات . كما يتضح ان مجموع العاملين في المؤسسات المذكورة يقارب ٦٠٠ عامل مما يشير الى عدم دقة الرقم المعطى في الجدول رقم ٧ والبالغ ٦٨٨ مؤسسة . فمن المفروض ان يضم هذا الرقم بالاضافة الى العاملين في هذه المؤسسات ، بقية العاملين في صناعة المنتوجات الكيماوية ، وصناعة المطاط ، والبلاستيك .

وترتفع نسبة العاملات في هذا الفرع خاصة في مصانع الأدوية . وتعتبر الأجور المدفوعة من أقل ما يدفع للمستخدمين في فروع الصناعة المختلفة ، باعتبار ان هذه الصناعة لا تحتاج الى اية مهارات وهي قائمة على اساس الخلط والتعبئة .

الجدول رقم ١٤

اهم المصابن في مدينة نابلس في العام ١٩٧٩

شركة احمد الشكعة واولاده	شركة حافظ وعبد الفتاح طوقان
شركة الحاج طاهر المصري واولاده	شركة ربحي سلهب واخوانه
شركة فطاير وقمحية	شركة رنتيسي اخوان
شركة حسين عبد الحق	مصبنة الحاج ماجد النابلسي واولاده
مصبنة عمر ورشدي العالول	مصبنة حمدي كنعان
مصبنة انور كنعان	مصبنة سعيد كنعان
شركة السختيان	مصبنة عزمي عبد المجيد
مصبنة محمد حسني رضوان	مصبنة عثمان اطبيلة
مصبنة شفيق ابو زهرة	مصبنة عباس النابلسي .

الجدول رقم ١٥

أهم المؤسسات الكيماوية المنشاة بعد الاحتلال وتوزيعها في العام ١٩٧٩

الموسسة	المكان	سنة التأسيس	عدد العمال
شركة المنتوجات الكيماوية	بيت ساحور	١٩٦٧	٢٠
شركة المصنع الكيماوي الاردني	بيت جالا	١٩٦٨	٢٥
مصنع شركة فلسطين للأدوية	البيرة	١٩٦٩	٣٤
شركة فلسطين للأعلاف	البيرة	١٩٧٠	١٠
مصنع بلسم لصناعة الادوية	رام الله	١٩٧١	٤٠
مصنع اوهانسيان للورق والطباعة	رام الله	١٩٧١	١٢٠
شركة ملحيس للصناعة والتجارة	نابلس	١٩٧١	١٠٠
شركة السختيان اخوان	نابلس	١٩٧٢	٣٧
شركة نابلس لصناعة الادوية البيطرية	نابلس	١٩٧٢	٥
مصانع شركة الصناعة العربية(ستار)	رام الله	١٩٧٢	٥٠
شركة دهانات يونفرسال	بيت جالا	١٩٧٢	٤
الشركة الشرقية الكيماوية	البيرة	١٩٧٣	٦
شركة بيرزيت لصناعة الادوية	بيرزيت	١٩٧٤	٤٠
الشركة العربية للأعلاف	البيرة	١٩٧٧	١٨
الشركة الوطنية لصناعة الأعلاف	نابلس	١٩٧٧	١٠
شركة رباح لصناعة الأسفنج	رام الله	١٩٧٧	١٥
شركة القدس للمستحضرات الطبية	البيرة	١٩٧٨	٣٥
شركة جاما الكيماوية	رام الله	١٩٧٩	٥
مصنع الطزيز للقطرة	القدس	١٩٧٩	١٠

المنتجات غير المعدنية : كان لنمو حركة البناء دور في تطور صناعة الطوب والرخام والبلاط ومناشر الحجر ، رغم ان الزيادة الحقيقية لا تظهر بوضوح من مقارنة الجدولين ٦ و٧. وتنتشر هذه المعامل بكثرة في الضفة الغربية حيث يصل عددها الى ٢٧٠ منشأة . فعلى الأقل يوجد في رام الله ٧ مصانع للطوب والبلاط ، وفي البيرة ٥ ، وفي بيت لحم ٢ ، وبيت جالا ١ ، وفي نابلس ٣٢ ، وفي الخليل ٢١ ، وفي جنين ٦ . ويعتبر مصنع البلاط للضفتين في الخليل ، الذي تأسس سنة ١٩٧٦ من أضخم المصانع لانتاج البلاط . رغم ان عدد عماله لا يتجاوز ٩ عمال . ويشرع الان في انشاء مصنع للأسمنت سوف يستوعب ٤٠٠ عامل(٥٠) .

وتنتشر ايضاً صناعة مناشر الحجر في انحاء الضفة الغربية . ففي رام الله يوجد ٤ ، وفي البيرة ٣ ، وفي بيت لحم ٢٠ ، وفي بيت جالا ١٥ ، وفي الخليل ٨ ، وفي نابلس يوجد حوالى ٤٩ معمل ما بين مناشر حجر وباطون . وتعتبر مصانع خليل البندك للحجارة والرخام في بيت جالا وبيت لحم من أهم وأحدث المصانع في الضفة الغربية وتضم ٨٠ عاملا تقريباً . ومن الملاحظ ان الكثير من مصانع مناشر الحجر يملكها نفس الأشخاص الذين يملكون مصانع الطوب والبلاط او اقرباؤهم . فعلى سبيل المثال ، يملك كل من عمر ابو شرخ ، ومحمود الصاحب ، وابو حمدية ، مصنعين في مدينة الخليل ، احدهما لمناشر الحجر وآخر للبلاط .

وتتركز صناعة الخزف والزجاج في مدينة الخليل ولكن عدد العمال في هذه المصانع محدود ، وهي كمصانع الجلود والدباغة متوارثة ابا عن جد ومحصورة في نطاق العائلة . وما زالت تعتمد على الوسائل البدائية في طريقة صنعها . ولا يتجاوز عدد مصانع الخزف في الضفة الغربية عشر مصانع منها ، تسعة في مدينة الخليل ومصنع السراميك للفخار في مدينة رام الله . اما صناعة الزجاج ، فلا يتعدى عدد المصانع فيها الخمسة. كما يبين الجدول رقم ١٦ اقتصار صناعة الزجاج على عائلة النتشة . وفي الغالب يتجنب صاحب المعمل استخدام عمال بأجر، وان اضطر الى ذلك فيستخدم من هم دون الخامسة عشر .

جدول رقم ١٦

مصانع الخزف والزجاج في مدينة الخليل

في العام ١٩٧٩

الخزف	الزجاج
مصنع سامي عبد الرحيم جلال	مصنع توفيق **النتشه**
مصنع عبد المهدي **الجعبري**	مصنع حامد **النتشه**
مصنع عيسى الشريف	مصنع فايز **النتشه**
مصنع عوض **الفاخوري**	مصنع سعدى **النتشه**
مصنع شوكت **الفاخوري**	مصنع خليل عبد الرحمن **النتشه**
مصنع برهان **الجعبري**	
مصنع عيسى شبانه	
مصنع رسمي جابر	
مصنع رجب **الفاخوري**	

وتشتهر منطقة بيت لحم تاريخيا بصناعة الصدف الزخرفية ، بسبب موقعها السياحي . ولكن هذه الصناعة تعرضت الى تراجع نتيجة لعدم توفر المادة الخام الضرورية . ويقدر عدد المؤسسات بأكثر من ٦٠ مشغل ، ٣٧ منها في بيت ساحور ، و ١٧ في بيت لحم . ويقدر عدد العاملين في هذه الصناعة بحوالى ٥٠٠ عامل ، وحوالى نصف هذا العدد فقط هم عاملون بأجر .

وبصورة عامة يستطيع هذا الفرع ان يتطور وينمو بسبب توفر المواد الأولية الضرورية لهذه الصناعة ، كما انه يستطيع الصمود امام المنافسة الاسرائيلية في حال توفر رأس المال اللازم والمعدات الحديثة كما هو الحال في مصنع البندك الذي مر ذكره اعلاه .

المنتجات المعدنية : يتبين من مقارنة الجدولين ٦ و ٧ ان عدد العاملين في هذه الصناعة لم يتغير كثيراً ، اذا ما اخذنا عدد العاملين في مدينة القدس ، بعين الاعتبار . فبعد ان كان عدد العاملين في هذا الفرع في بداية الاحتلال ١٤٩٣ عاملا ، يعمل نصفهم بأجور ، بلغ هذا العدد في العام ١٩٧٧ ، حوالي ١٣١٤ يعمل حوالي ٤٥٪ منهم بأجور ، اي ان النقص الذي حصل فعليا كان في عدد المستخدمين . ويتضح من الجدول رقم ٩ ، ان عدد المؤسسات التي كانت تضم ١٠ عمال فأكثر ، لم يزد عن ١٣ مؤسسة ، وقد حصل نمو بسيط بعد العام ١٩٦٧ في هذه الصناعة ، حيث انشئت مصانع قليلة ولكنها هامة كما يبين الجدول رقم ٧ .

الجدول رقم ١٧

اهم المؤسسات المعدنية في الضفة الغربية للعام ١٩٧٩

	المكان	سنة التأسيس	عدد العمال
١ ـ مصنع الالكترود	الخليل	١٩٧٣	٢٧
٢ ـ مصنع التنك	نابلس	١٩٥٦	٤٠
٣ ـ شركة جنين الصناعية التجارية الزراعية (التنك)	جنين	١٩٧٠	٢٠
٤ ـ مصنع ياسين الزغل	الخليل	١٩٧١	١٠
٥ ـ مصنع سلك الجلي	الخليل	١٩٦٤	١٠
٦ ـ مصنع كوميت للبراغي	بيت ساحور	١٩٦٩	٧
٧ ـ مصنع شصيات الفلورسنت	بيت ساحور	١٩٧٠	١٥
٨ ـ مصنع انتاج قطع معدنية	بيت ساحور	١٩٦٤	١٠
٩ ـ مصنع ثيروخ للموازين والقبانات	الخليل	١٩٥٣	٢٠
١٠ ـ مصنع سخانات الأمل	بيت حنينا	١٩٧٤	٤
١١ ـ مصنع سخانات فيلبس	رام الله	١٩٧٩	٣
١٢ ـ مصنع سخانات شادي	رام الله	١٩٧٠	٣
١٣ ـ مصنع رويال للسخانات	بيت لحم	١٩٧٨	٥
مجموع			١٧٤

ومن الواضح ، أن معظم المؤسسات الواردة في الجدول حديثة التأسيس ولا تضم اعدادا كبيرة من العمال ، خاصة مشاغل السخانات الشمسية التي تنتشر بكثرة في الضفة الغربية وتعتمد اكثر على تجميع القطع وتركيبها . والجدير بالذكر ، أن أي مصنع في هذا الفرع ، لا يستطيع الاستمرار الا اذا كان قائما برأسمال ضخم ، يمكنه من الصمود امام المنافسة الاسرائيلية لهذا الفرع . حيث تتميز الصناعة المعدنية في اسرائيل ، بانها تضم ٤٥ الف عامل ، اي ما يعادل حوالى ١٧٪ من مجموع الصناعة الاستخراجية والتحويلية(٥١) .

نستنتج مما سبق ان هناك نموا بسيطا في عدد المؤسسات الصناعية في الضفة الغربية خلال فترة الاحتلال الاسرائيلي ، حيث تم انشاء اكثر من ١٠٠ مؤسسة ما بين شركة ومصنع ، حسب المعلومات المبينة في هذه الدراسة، بينما لم تحصل زيادة هامة في عدد العاملين في هذه المصانع . وهذا يدل على مدى التدهور الذي ما زالت تعاني منه الصناعة في الضفة الغربية . فالعاملون في هذا القطاع لا يشكلون سوى نسبة بسيطة من القوة العاملة مقارنة بالقطاعات الاخرى . وقد ظلت السمات الاساسية التي رافقت قطاع الصناعة في فترة الحكم الهاشمي ، ملازمة له في فترة الاحتلال ، مع بعض الفروقات الناتجة عن الظروف الجديدة . فقد تكيفت صناعات الضفة الغربية لتلائم الوضع المستجد ، حيث توقفت بعض المصانع ، كما انشئت اخرى . ونمت بعض الفروع وتراجع البعض الآخر .

وقد ازداد عدد العاملين في الضفة الغربية خارج اطار هذه المصانع خاصة من الاناث ، بعد استنفاد الأيدي العاملة من الذكور . ويعمل معظمهم لصالح الشركات الاسرائيلية ، علما بان مصانع الضفة في أمس الحاجة الى الأيدي العاملة . وهذه المنافسة على الأيدي العاملة تعتبر من اخطر ما تواجهه المصانع العربية في الضفة الغربية ، لأنها تحرمها من القوة العاملة ، وفي نفس الوقت تؤمن استمرارية المؤسسات الاسرائيلية في هذه الصناعة التي بات من المشكوك في امكانية تطورها بدون اليد العاملة العربية .

ونستطيع تقدير عدد العاملين في فروع ، الصناعة المختلفة في الضفة الغربية خارج اطار المصانع بحوالى ٥,٠٠٠ عامل . هذا عدا عن آلاف العمال الذين يتوجهون للعمل في المصانع والمنشآت الاسرائيلية حيث ترتفع الأجور عنها في الضفة الغربية .

واذا ما اخذت بعين الاعتبار الملاحظات السابقة حول العمالة والاستخدام في فروع الصناعة المختلفة في الضفة الغربية ، نستطيع تقدير مجموع العاملين بحوالى ٢٣,٠٠٠ عامل ، موزعين كما يبين الجدول رقم ١٨ .

الجدول رقم ١٨

توزع العاملين في فروع الصناعة في الضفة الغربية (مع القدس)

للعام ١٩٧٩

نوع الصناعة	عدد العاملين
الكسارات والمقالع	٤٨١٣
المواد الغذائية ، المشروبات الدخان	٥٠٠٠
ملابس ونسيج وخياطة	٥٠٠٠

جلود ومنتجاتها	١٠٠٠
خشب ومنتجاته	٢٥٠٠
مطاط وبلاستيك ومواد كيماوية	١٦٠٠
المنتجات غير المعدنية	١٣٠٠
المنتجات المعدنية	١٥٥٠
مجموع	٢٢,٧٦٣

الاجور : ادى الوضع الجديد للضفة الغربية في ظل الاحتلال الاسرائيلي، الى تغيرات عكست نفسها على اجور العمال والمستخدمين في الانشطة الاقتصادية المختلفة في الضفة الغربية ، بما فيها قطاع الصناعة . فقد ادت الهجرة المستمرة للقوة العاملة من الضفة الغربية الى نقص في الايدي العاملة التي تحتاجها المصانع العربية . كما نتج عن ارتفاع اجور العاملين العرب في اسرائيل مقارنة بالعاملين في الضفة الغربية ، توجه الكثير من العاملين في مصانع الضفة الغربية للعمل في اسرائيل . وقد اضطر اصحاب المصانع العربية ، ازاء ذلك ، الى زيادة نسبية في الأجور . فبعد أن بلغ معدل الأجر اليومي للعامل في المصانع العربية في بداية الاحتلال حوالى ٤٦ قرشا اردنيا ، اصبح في العام ١٩٦٩ يعادل ديناراً اردنياً . ولم ترتفع الاجور كثيرا بعد ذلك ، حيث وصلت في ايار ١٩٧٧ الى ٤٢,٦ ليرة اسرائيلية ، اي ما يعادل حوالى ١,٣٥ ديناراً في اليوم كما يبين الجدول رقم ٢٠ . وهذا يعادل ٦١٪ مما يدفع لعمال الضفة الغربية في اسرائيل والبالغ ٦٩,٧ ليرة اسرائيلية يوميا . ورغم ان هذه النسبة تشير الى استمرار الفارق في الأجور ، الا انها تدل على التقارب الذي حدث بالمقارنة مع ما كان عليه الوضع العام في ١٩٦٩ ، لأن ما كان يتقاضاه في هذا كانت ٣,٧ أضعاف الأجر المدفوع في الضفة الغربية(٥٢) .

وتتفاوت الأجور المدفوعة في الضفة الغربية حسب الفروع المختلفة للصناعة . ويعتبر اعلى معدل للأجور ما يدفع في فرع الكسارات، يليه التبغ والسجائر كما يتبين من مقارنة الجدولين ١٩ و ٢٠ وتنخفض معدلات الأجور في صناعة الجلود ومنتجاتها بسبب اعتمادها على الطرق البدائية وعلى افراد العائلة ، بالاضافة الى استخدام الأطفال بكثرة . وقد تدنت الأجور بشكل ملفت للنظر في معامل الأدوية في الضفة الغربية ، وذلك لاعتمادها على الاناث اساسا ، عدا عن كونها لا تتطلب أية مهارات او كفاءات مهنية . وهذا الانخفاض لا يظهره الجدول رقم ٢٠ ، بسبب دمج اكثر من فرع معا . لكنه يظهر بوضوح في الجدول رقم ٢١ .

كما تنخفض الأجور في فرع الملابس والخياطة والنسيج ، وذلك بسبب وفرة الايدي العاملة في هذا الفرع خاصة من الاناث . عدا عن وجود الكثير ممن يعملن في المنازل بأجور متدنية .

الجدول رقم ١٩

الاجور وتوزيعها في فروع الصناعة في الضفة الغربية
في العام ١٩٦٩(٥٣)

نوع الصناعة	الرواتب والاجور (بالالف دينار)	متوسط اجر العامل سنويا (بالدينار)
الكسارات	٥٦٧	٣٤١
المواد الغذائية	٣٥٢	١١٨
المشروبات	١٨	١٧٨
التبغ والسجائر	٧٥	٣٣٨
النسيج والتريكو	٧٨	١٦٢
الملابس والخياطة	١٠٩	١١٣
الاحذية	٣٩	١٣٨
الخشب والفلين	١٩	٢٣٢
الاثاث والمفروشات	١٣٢	١٨٦
الورق ومنتجاته	١٥	١٧٢
الطباعة والنشر	٩١	٣٧٩
الجلود ومنتجاتها	١	٢٤
منتجات المطاط	٣	٥٧
المنتجات الكيماوية	٨٩	١٢٨
المنتجات غير المعدنية	٦٢	٢١
الات غير كهربائية	٢	٢٢٢
معدات نقل	٢٢	١٠٢
متنوعة	٦٧	٢٩٥
مجموع	١,٨٣٩	١٧٦

الجدول رقم ٢٠

الأجور وتوزيعها في فروع الصناعة في الضفة الغربية
للأشهر (نيسان ـ حزيران) ١٩٧٧(٥٤)

	الرواتب والاجور بالالف ليرة اسرائيلية	متوسط اجر العامل يوميا
مواد غذائية ومشروبات ودخان	١,٥٤٩,٨	٢٨,٢
ملابس ونسيج	١,٠٤١,٤	٢٨
جلود ومنتجاتها	١٣٨,٧	٢٧,٩

خشب ومنتجاته	٤٠٨,٣	٣٩,٦
منتجات كيماوية مطاط وبلاستيك	٧٨٠,٠	٤٨,٦
منتجات غير معدنية	٦١٥,٢	٥٦,٨
منتجات معدنية	٥٧٨,١	٣٨,١
صناعات اخرى	٦٠٢,١	٤٥
مجموع	٥,٧١٣,٦	٤٢,٦

ورغم ما تظهره المصادر الاحصائية الاسرائيلية من ارتفاع مستمر لأجور عمال الصناعة في الضفة الغربية ، الا ان حقيقة الزيادة ليست بهذا الحجم ، وذلك بسبب الانخفاض المستمر للقيمة الشرائية لليرة الاسرائيلية.فمثلا، كانت قيمتها في العام ١٩٦٧ تعادل ٣,٥ ليرة للدولار ، وفي ١٩٧١ ، ٤,٢(٥٥) ، وفي ١٩٧٥ ، ٦,٢٤(٥٦) ، وفي ١٩٧٦ ، ٨,٧٣(٥٧) وفي ايار ١٩٧٧ ، اصبحت ٩,٤٤(٥٨) ، وفي نهاية العام نفسه انخفضت الى ١٥,٣٢ ليرة(٥٩) . وفي ايلول ١٩٧٩ بلغت ٢٧,٢٦ ليرة اي اقل من ١/٩ من قيمتها في العام ١٩٦٧ ، هذا من غير ان نأخذ بعين الاعتبار الانخفاض المضطرد في قيمة الدولار ذاته ، مما يشير الى انخفاض اكثر من الـ ١/٩ في قيمة الليرة للدولار(٦٠) . وقد بلغ معدل الانخفاض السنوي في قيمة الليرة خلال السنوات ١٩٧١ وحتى ١٩٧٩ما يزيد على ٣٠٪ ولذلك فان ما يبدو في الظاهر ارتفاعا في الأجور لا يكون كذلك في الواقع . ولا يتجاوز مجموع الأجور المدفوعة في فرع الصناعة التحويلية في فترة ثلاثة اشهر ، ١٥٠ الف دينار ، كما هو مبين في الجدول رقم ٢٠ ، اي ما قيمته ٦٠٠ الف دينار سنويا . وهذا الرقم اقل من مجموع الأجور المدفوعة في هذا الفرع والبالغة ١,٢٧٢ مليون دينار في العام ١٩٦٩ ، باعتبار ان الأجور المستحقة في فرع الكسارات تعادل ٥٦٧ الف دينار سنوياً كما يبين الجدول رقم ١٩ .

وتتباين اجور العمال في مؤسسات الفرع الواحد . ويعتمد ذلك في بعض الاحيان على حجم المصنع وحداثته ، وعلى موقعه في احيان اخرى . فمثلا ، تعتبر اجور عمال مصانع النسيج في مدينة الخليل ، اقل من مثيلاتها في بيت لحم . وتفضل المؤسسات خاصة الصغيرة منها ، العمل على اساس المياومة ، مما يحررها من التزاماتها المترتبة عن تثبيت العمال . ولذلك فان العمال من الذكور يبحثون باستمرار عن عمل آخر اكثر ثباتا .

ويوجد تمايز في اجور العمال لنفس المؤسسة ، فهناك فوارق بين ما يدفع للعامل العادي وما يتقاضاه الفني او الاداري . بالاضافة الى التمييز بين العاملين من الاناث والذكور . ويدفع للأطفال والطلاب العاملين في فترات الاجازات الصيفية حوالى نصف اجر العامل العادي .

ويبين الجدول رقم ٢١ نماذج للفوارق في الأجور . فمثلا يتراوح ما يدفع للاناث في مصانع الأدوية ما بين ١٢ ــ ٢٤ ديناراً شهريا،وللذكور ١٢ ــ ٣٦ دينارا. وفي صناعة النسيج تتقاضى العاملات ما بين ١٥ ــ ٢٩ ديناراً . والجدير بالذكر ان معظم العاملات في مصانع الأدوية يعملن

حسب القطعة ، كما تعامل النساء العاملات في المنازل لصالح مصانع النسيج بنفس الطريقة . اما العاملون داخلها فيكافأون ، كما مر سابقا ، على اساس المياومة . وتستخدم النساء عادة ، الا اذا استدعت الحاجة غير ذلك . ويصل ما يدفع للذكور في مثل هذه الحالة الى ٥٩ ديناراً شهريا .

وتنخفض الأجور ايضا في صناعة المواد الغذائية . ويصل اعلى اجر الى ٣٨,٥ دينارا[٦١] . وهو ما يدفع في مصنع الزيوت النباتية ، الذي يعتبر من اكبر المصانع الغذائية في الضفة الغربية . ولم تزد اجرة العامل الشهرية في هذه الشركة عن ١٧٢ قرشا في السنة حيث لم ترتفع اجرة العامل طوال فترة ١١ سنة سوى ١٩ ديناراً[٦٢] . وهذا مؤشر الى مدى تدني الأجور في المؤسسات الغذائية الأخرى ، خاصة معامل الحلويات والمخابز ، والتي يتقاضى عمالها اجورهم على اساس يومي ولا يتجاوز ما يدفع لهم شهريا ٣٠ ديناراً[٦٣] .

الجدول رقم ٢١

نماذج لأجور العاملين الشهرية في مصانع الضفة الغربية
للعام ١٩٧٩[٦٤] (بالدنار الأردني)

النشاط الصناعي	المؤسسة	اناث	ذكور	اداري وفني
المواد الغذائية	شركة مصانع سلفانا	—	٣٣,٢	٦٦,٣
	مصنع الجبشة للشوكولاته	٢٦,٦	٣٣,٣	
	مصنع الاصدقاء للبسكوت	(٦٥)	٢٩,٤	٧٠
	شركة مصانع الزيوت المساهمة	—	٣٨,٥	٤٠
الدخان	شركة سجائر القدس المساهمة	—	٤٠	١١٦,٦
	شركة السجائر العالمية		٢٣,٣	٦٦,٦
النسيج والتريكو والملابس	شركة سنقرط للنسيج	١٥,٣	—	٥١,٢
	شركة او.بي.جي للنسيج	١٩,٢	—	٥١,٢
	مصنع الاقصى للنسيج	٢٦,٦	٣٣,٣	—
	مصنع نجيب ناصر للنسيج	١٨,٥ـ٢٩	١٨,٥ـ ٣٨	
	مصنع سليم ناصر للاقمشة والبشاكير	١٥ ـ ٢٨	٥٩	
	مصنع اسكندر قمر للنسيج	—	٣٦,٥ ـ٥٩	
	شركة مصانع ابناء العشي للنسيج والتطبيع	—	٤١,٦	
	مصنع نسيج وخياطة قمصية	١٥	ـ(٦٦)	٦٠ ـ ٧٥
اثاث ومفروشات	شركة مصانع معايعة	-	٣٨,٤	٦٥

المنتجات الكيماوية	مصنع شركة فلسطين للأدوية	١٩,٢	—	١٤١
	الشركة الشرقية الكيماوية	١٩,٢	—	—
	شركة بلسم لصناعة الأدوية	١٩,٢	—	—
	شركة المصنع الكيماوي الأردني	١٩,٢	٣٢	—
	شركة السختيان اخوان	١٢ — ٢٤	١٨ — ٣٦	٤٨ —
	شركة نابلس لصناعة الادوية البيطرية	—	١٩٠	١٢
	شركة بيرزيت لصناعة الأدوية	—	٢٥,٦	٨٩,٦
	شركة المنتوجات الكيماوية	—	٢٦	—
	مصنع دهان يونفرسال	—	٣٨,٤	—
	شركة البلاستيك الاردنية	—	٤٧	٩٤ — ١٢٩
	شركة رباح لصناعة الاسفنج	—	٢١,٤ـ٣١,٢	—
	شركة فلسطين للاعلاف	—	٥١,٢	—
	الشركة العربية للاعلاف	—	٦٤,١	٧٦,٩
	الشركة الوطنية لصناعة الاعلاف	—	٤١,٢	—
المنتجات غير المعدنية	مصنع البلاط للضفتين	—	٤٦,٦	٦٠
المنتجات المعدنية	مصنع الالكترود	—	٣٨,٤	١٠٢,٥
	مصنع ياسين الزغل	—	٣٦,٤ـ٤٢,٣	—
	مصنع ابو عيطة لشصيات الفلورسنت	—	٥٠	—
	شركة نيروخ لصناعة القبانات	—	٤٧,٢	٧٠,٨

وتعتبر صناعة الاعلاف والمنتجات المعدنية من الفروع القليلة التي ترتفع فيها الاجور ، حيث يصل معدل الأجر الشهري للعامل في الأولى ٦٤ دينارا وفي الثانية ٥٠ دينارا .

ويظهر مدى تدني أجور المستخدمين لدى مقارنتها مع ما يدفع للفنيين والاداريين ، خاصة في صناعات الادوية والبلاستيك والدخان . ويبين الجدول رقم ٢١ ، أن أجرة العامل الفني في شركة نابلس لصناعة الأدوية البيطرية ، ترتفع الى ١٩٠ دينارا شهريا ، وفي مصنع شركة فلسطين للأدوية ، تصل الى ١٤١ دينارا ، وفي شركة البلاستيك الاردنية تقارب ١٣٠ دينارا ، وفي شركة سجائر القدس المساهمة ، ١١٦ دينارا ، وفي مصنع الالكترود ، ١٠٢ دينارا . وهناك فوارق بين ما يدفع للفنيين من مؤسسة الى أخرى ضمن نفس الفرع الصناعي . فمثلا ، تزيد أجور الفنيين والاداريين في شركة سجائر القدس عليها في شركة السجائر العالمية ، وذلك بسبب ضخامة الأولى مقارنة بالثانية ، بالاضافة الى ارتفاع أجور العمال عامة في مدينة القدس عنها في الضفة الغربية . وبالمثل ، يزيد ما يتقاضاه الفنيون في

مصنع الالكترود على ما يدفع لامثالهم في مصنع نيروخ للقبانات والموازين في مدينة الخليل ، وذلك بسبب حداثة الاول وزيادة عماله مقارنة بالثاني .

وترتفع أجرة العاملين في صناعة الصوف وخشب الزيتون، وذلك لما تحتاجه هذه الصناعة من مهارات فنية . ويبلغ متوسط أجر العامل في هذه الصناعة حوالى ٦٧ ديناراً شهرياً .

وفي بعض المصانع ، ما زالت تدفع أجور العمال بالدينار الاردني ، وعليه يعامل الانخفاض المستمر في قيمة الليرة الاسرائيلية نسبة للدينار الاردني وكانها زيادة مستمرة في الاجور ، مما نتج عنه وقف الزيادة الفعلية عن المستخدمين . فمثلا ، لم تتجاوز الزيادة في سعر الدينار الاردني ١٦٪ من نسبة الزيادة في الاسعار في الاشهر الاولى من العام ١٩٧٨(٦٧) . وفي الواقع فان معدل أجور العاملين في مصانع الضفة الغربية والبالغ ٣٣ ديناراً اردنياً شهرياً .(٦٨) ، يقل عن نصف المتوسط الذي تحتاجه اسرة مكونة من ستة أفراد(٦٩) . وهذا يضطر الكثيرين للتخلي عن العمل في قطاع الصناعة والتحول الى مجالات اخرى اكثر مردودا . وواضح أن الزراعة ليست هي الهدف حيث تعاني من هذه المشكلة كما تعاني الصناعة . ولذلك يتم التوجه للعمل اما لاسرائيل او لدول الخليج . وينتج عن هذا الوضع عدم ثبات العمال وتغيرهم المستمر ، مما يزيد من الاعتماد على الاطفال داخل المصانع وعلى النساء خارجها . ويضعف بالتالي امكانية تشكيل طبقة عاملة ثابتة. ومن المحتمل وجود بعض المصانع الصغيرة التي لا تتمكن من رفع أجور عمالها ، الا ان عددها محدود ، اما غالبية هذه المصانع فانها تجني ارباحا تمكنها من ذلك . وهي لو فعلت لاسهمت عمليا في حفظ جزء هام من القوة العاملة لتحول دون تهجيرها .

---

(١) جميل هلال ، **الضفة الغربية ، التركيب الاجتماعي والاقتصادي(١٩٤٨-١٩٧٤)**بيروت ، مركز الابحاث، منظمة التحرير الفلسطينية ،١٩٧٤ ، ص ١٣٤ .

(٢) **المصدر نفسه** ، ص ١٣٦ .

(٣) **المصدر نفسه** .

(٤) وديع شرايحة ، **التنمية الاقتصادية في الاردن** ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٨ ، ص١٧٨

(٥) **تقرير الدراسة الصناعية ١٩٦٨** ، عمان دائرة الاحصاءات العامة ، ١٩٧٠ ، الجدول رقم (٦-٣) ، ص . ٥ . **والقطاع الصناعي** ،عمان ، دائرة المطبوعات والنشر ، ١٩٦٧ ، ص ٥٣ .

(٦) **المصدر نفسه** .

(٧) علي الدجاني ، **الكتاب السنوي** ١٩٦٧ ،عمان ، غرفة الصناعة ، ص٦٢ .

(٨) القطاع الصناعي ... **مصدر سبق ذكره** ،ص ٦٤ .

(٩) **المصدر نفسه** ، ص ٢٨

(١٠) هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٣٨

(١١) القطاع الصناعي .. **مصدر سبق ذكره** . ص ٥٦

(١٢) **المصدر نفسه** ، ص ٦١

(١٣) **المصدر نفسه** .

(١٤) **المصدر نفسه** ، ص ٤٩ .

(١٥) **المصدر نفسه** ، ص ٥٢

(١٦) شرايحة ، **مصدر سبق ذكره** .

(١٧) **المصدر نفسه** .

(١٨ هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٦١

(١٩) George Kossaifi, *Evolution De*

La Population D'origine Palestinienne Residant Sur Les Rives Est Et Auest du Jordanie, 1948-1974 Paris University, Unpublished thesis presented for the Diploma of Demography, Table no. 9, p. 49, and Table no. 15, p. 64.

(٢٠) *Statistical Abstract of Israel 1979 (SAI)*, (Jerusalem, Israel Central Bureau of Statistics, 1970) Table X-1, p. 632.

(٢١) الأرقام حتى العام ١٩٧٧ من *SAI 1978*, Table xxvII-1, p. 765. أما الارقام للعام ١٩٧٨ فهي حتى نهاية شهر حزيران ومأخوذة من *Administered Territories Statistics Quarterly*, (Jerusalem, 1978), no. 4, Table A-1, p. 1.

(٢٢) *SAI 1978*, Table 3, p. 766.

(٢٣) الأرقام للأعوام من ١٩٦٨ إلى ١٩٧٢ مستخرجة من *SAI 1473*, Table 19-1, p. 710.
أما الأرقام للاعوام من ١٩٧٣ الى ١٩٧٨ فمستخرجة من *Administered Territories*, 1978, Vol 4, Table E-2, p. 35.

(٢٤) راجع الجدول رقم ٦ .

(٢٥) *SAI 1969*, Table X-7, p. 637.

(٢٦) *Ibid.*, Table x-8, p. 638.

(٢٧) *SAI 1970*, Table X-10, p. 633.

(٢٨) الارقام حتى العام ١٩٧٧ مأخوذة من *SAI 1978*, Table xxvII-22, p. 788. وللعام ١٩٧٨ من *Administered Territories...*, 1978, no 2. Talbe E-2, p. 35.
اما ارقام القوة العاملة ، فراجع الجدول رقم ٤ .

(٢٩) لا تغطي الاحصاءات الاسرائيلية عدد العاملين من الضفة في اسرائيل بطرق غير رسمية كما لا تغطي العاملين في المنازل ، بالاضافة الى استثناء العاملين من مدينة القدس .

(٣٠) عادل سمارة ، (الصناعة في الضفة الغربية) ، **الهدف** (بيروت) ١ أب ١٩٧٩ .

(٣١) **الطليعة** (القدس) ١ آذار ١٩٧٩ .

(٣٢) تقرير الدراسة .. **مصدر سبق ذكره** ، مستخرج من الجدولين رقم (١ ــ ١) ص ١٥ ورقم (٤ ــ ٤) ص ٣٤ .

(٣٣) **المصدر نفسه** مستخرج من الجدولين رقم (١ ــ ٢) ، ص ١٦ ، ورقم (٣ ــ ٥) ص ٢٧ .

(٣٤) **المصدر نفسه** ، جدول رقم (٣ ــ ١) ص ٢٢ . **ودراسة القوى العاملة ١٩٦٦** ، عمان ، ١٩٧٠ ، جدول رقم (هـ ــ ٢)

(٣٥) *SAI 1978*, Table xxvii-30, p. 796.

(٣٦) هشام عورتاني ، **الدوافع الاقتصادية للهجرة من الضفة الغربية** ، نابلس ، جامعة النجاح ، ١٩٧٩ ، ص ٤ .

(٣٧) **المصدر نفسه** ، ص ٤ .

(٣٨) هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٩٣ .

(٣٩) مستخرج من الجدول رقم ٥ والجدول رقم ٧ أعلاه .

(٤٠) مستخرج من **حسابات الدخل القومي** ، عمان ، دائرة الاحصاءات العامة ١٩٦٩ ، جدول رقم ٢ ، ص ٨٣ . وتقرير الدراسة ... **مصدر سبق ذكره** ، الجدولان رقم ١٦ ورقم ١٧ .

(٤١) أرقام سنة ١٩٦٨ مستخرجة من تقرير الدراسة ... ، **مصدر سبق ذكره** ، أما الارقام للسنوات ٧٢ ــ ١٩٧٧ فمأخوذة من *SAI 1978*, Table 27-29, p. 795.

(٤٢) هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٤٠

(٤٣) موشيه ليفي ، **تطور الزراعة في منطقة يهودا والسامرة ، من سنة ١٩٦٧ ــ ١٩٧٦** ، دراسة غير منشورة ، ص ١٦ .

(٤٤) *SAI 1978*, Table XIV-5, p 440.

(٤٥) *SAI 1978*, Table XIV-5, p. 440.

(٤٦) *Ibid.*, Table XIV-12, p. 455, 454.

(٤٧) **الطليعة** ، ٢٥ كانون الثاني ، ١٩٧٩ ،

(٤٨) غرفة صناعة .. ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٢٦

(٤٩) القطاع الصناعي .. **مصدر سبق ذكره** ، ص ٥٥ .

(٥٠) **الدستور** (عمان) . ٢٢ نيسان ١٩٧٨ .

(٥١) *SAI 1978*, Table XIV-5, p. 441.

(٥٢) *Vivian* A. Bull, *The West Bank - Is its Viable?*, Lexington, Massachusetts: D.C. Heath and Co., 1975, p.41.

(٥٣) مستخرج من تقرير الدراسة ... **مصدر سبق ذكره** ، جدول (٣ ــ ١) ص ٢٣ . وجدول رقم (٣ ــ ٥) ، ص ٢٧.

(٥٤) مجموع الاجور مستخرج من *Administered Territories*, .., no 2, Table G-1, p. 43.

ومتوسط أجر العامل يومياً مأخوذ من *SAI 1978*, Table XXV 11-30, p. 796.

(٥٥) Sheila Ryan, «Israel Economic Policy in the Occupied Areas», *MERIP*, (Washington D.C.) 1974), no. 24, p. 10.

(٥٦) **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، (م د ف)** بيروت ، ١٩٧٥ ، عدد ١٧ ، ص ٤٥١ .

(٥٧) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٦ ، عدد ٢٤ ، ص ٨١٠

(٥٨) *SAI 1978*, Table IX -13, p. 249.

(٥٩) **دافار** ، ٧٧/١٢/٢٩

(٦٠) **دافار** ، ١٩٧٩/٩/١١

(٦١) **الطليعة** ، ١٣ آذار ١٩٧٨

(٦٢) **المصدر نفسه** .

(٦٣) بلغ متوسط اجور عمال المخابز ٩٠ ليرة اسرائيلية يوميا ، وكان الدينار الاردني في تلك الفترة يعادل ٧٨ ليرة اسرائيلية . **المصدر نفسه** ، ٢٩ آذار ١٩٧٩ .

(٦٤) يعمل المستخدمون في بعض هذه المصانع على اساس يومي ، وقد . سبنا ما يتقاضاه العامل شهريا على اساس ٢٦ يوم عمل .

(٦٥) تعمل العاملات في هذا المصنع على اساس القطعة بمقابل ٩,٥ قرشا للعلبة . وتنتج العاملة ما متوسطه ٨٠ علبة يوميا .

(٦٦) كافة العاملين في هذا المصنع من الاناث .

(٦٧) **المصدر نفسه** ، ١٣ ، آذار ١٩٧٨ .

(٦٨) **المصدر نفسه** ، ١ آذار ١٩٧٩ ، وجدول رقم ٢٠ .

(٦٩) **المصدر نفسه** ، ١٣ آذار ١٩٧٩ .

صدر حديثاً

عن مركز الأبحاث

منظمة التحرير الفلسطينية والحوار العربي ــ الاوروبي

تاليف

أحمد صدقي الدجاني

فيصل حوراني

منظمة التحرير الفلسطينية والاتجاه نحو التسوية

نتائج حرب تشرين

بعد ستة أعوام من حرب حزيران وقعت الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة وذلك في تشرين الأول ١٩٧٣ . وبوقوعها انتهت حالة الجمود التي سادت جبهات القتال منذ العام ١٩٧٠ ، أي منذ قبل الرئيس جمال عبد الناصر أن يوقف حرب الاستنزاف لمدة ثلاثة أشهر ومددها خلفه الرئيس أنور السادات لتصير ثلاث سنوات .

ولا شك في أن حرب تشرين الأول هذه (أو حرب رمضان ، أو اكتوبر أو يوم الغفران) كانت حدثاً هاماً ترك آثاره على مجالات الصراع العربي ـ الصهيوني كلها . وبين نتائجها المباشرة أنها فتحت الباب من جديد للمساعي الناشطة في اتجاه تحقيق تسوية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، حتى أن مجلس الأمن الدولي الذي كان في حالة انعقاد شبه دائم في أيام القتال توصل إلى اصدار قرار صوت عليه اعضاؤه بالاجماع ، هو القرار ٣٣٨ يدعو فيه الى التعجيل في ابرام التسوية . وهو قرار يعيد تأكيد الأسس التي تضمنها قراره السابق رقم ٢٤٢ جميعها ويشدد على ضرورة تنفيذها ويحث على الشروع فوراً في « مفاوضات بين الأطراف المعنية تحت الاشراف الملائم بهدف اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط »[١] . ثم تلت صدور القرار مشاورات واسعة اشتركت فيها الأطراف العربية والدولية المعنية أمكن في ختامها الاتفاق على عقد مؤتمر في جنيف ، تحضره الدول العربية المحاربة بالاضافة لاسرائيل تحت راية الأمم المتحدة ، ويرأسه كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، وبهذا تحقق « الاشراف الملائم » الذي تحدث عنه القرار . هذا الاتفاق قبلته مصر وسوريا والأردن وكذلك اسرائيل ، وان احتفظ كل طرف منها بتفسيره الخاص للقرار ٢٤٢ .

الحوار على الساحة الفلسطينية

أما على الساحة الفلسطينية فقد نشطت الحرب ، وخاصة بتعزيزها لاتجاه التسوية ، المناقشات التي كانت دائرة عليها منذ ما بعد أيلول ١٩٧٠ ، وأسهمت في دفعها نحو التبلور في

اتجاهين رئيسيين ، يحبذ أولهما الاستفادة من الفرصة التي أتاحتها الحرب لتحقيق عدد من المطالب الوطنية الفلسطينية على أساس النضال بالتعاون مع الدول العربية والدول الأخرى الصديقة لأخذ الحقوق الوطنية الفلسطينية بعين الاعتبار أثناء مناقشة بنود التسوية ، ويعترض ثانيهما على مبدأ التسوية من أساسه معتبراً أن حرب تشرين ، بالرغم من نتائجها الايجابية الملحوظة لم توفر الأساس الكافي للأمل بتحقيق منجزات وطنية فلسطينية مما يرضى عنه دعاة هذا الاتجاه .

واذا صرفنا النظر عن التفاصيل التي تتصل بكل من الاتجاهين وعن الطرق المباشرة أو الملتوية التي يعبر بها دعاة كل منهما عن آرائهما وطروحاتهما ، وأثرنا الايجاز ، فانه يصح القول أن دعاة الاتجاه الأول كانوا قد انتهوا الى القناعة بضرورة مرحلة الاهداف الوطنية على أساس أن موازين القوى القائمة في تطوراتها المنظورة لا تفسح المجال للأمل بتحقيق الهدف الشامل دفعة واحدة . ولما جاءت حرب تشرين مشيعة أملا جديداً بامكانية تحقيق تسوية متوازنة ، أمل هؤلاء بدورهم بأنه من الممكن العمل لانجاز عدد من المطالب المرحلية . وكانوا قد تلقوا وعوداً قاطعة من القيادة المصرية بأنها ستدعم المطالبة بدولة فلسطينية مستقلة تقام على الأجزاء من الأرض الفلسطينية التي ستنسحب عنها قوات الاحتلال الاسرائيلي بموجب التسوية . بينما تمسك دعاة الاتجاه الثاني بمطلب تحرير فلسطين بكاملها ، أو بمطلب الدولة الفلسطينية الديموقراطية على كامل التراب الفلسطيني ، الذي حل في الأدبيات الفلسطينية عملياً محل شعار تحرير فلسطين وأخذ مع فروق طفيفة معانيه كلها . وكان هؤلاء يرفضون الانجرار نحو قبول أي مطلب أقل من ذلك . ومن الواضح أن جوهر هذا الموقف هو رفض تجزئة المطلب الشامل في مجموعة من المطالب المرحلية تبتدئ باقامة دولة للشعب الفلسطيني على جزء من أرضه ، وبالتالي ، وخصوصاً ، رفض الاشتراك في مساعي التسوية .

وقد جرى الاصطلاح على تسمية هذا الاتجاه باسم تيار « الرفض » . وانتهى التعبير الى أن يصبح تسمية رسمية أطلقتها على نفسها « جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية » التي تشكلت في سياق الحوار والاحتكاك بين الاتجاهين . وأطلقت على الاتجاه الأول تسميات عدة : الاتجاه الوطني ، الثوري الواقعي ، أو كما سماه خصومه تيار « القبول » . ويجدر بنا أن نتذكر هنا أن تيار الرفض كان ، مع استثناءات قليلة ، يضم قبل حرب أيلول ١٩٧٠ ، المنظمات الفدائية كلها ، ثم أخذ يفرز بعد أيلول التيار الآخر من داخله ، وأخذت المواقف تتمايز ، داخل كل منظمة في بعض الحالات ، وفي ما بين المنظمات .

ويمكن أن نلاحظ أن للتيارين كليهما جذوراً سبقت أيلول ١٩٧٠ في صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية ، مع اعادة التأكيد على أن تيار الرفض ظل حتى هذا التاريخ هو التيار الشامل ، وظل حتى حرب تشرين ١٩٧٣ تياراً واسعاً وقوي التأثير . كما يمكن أن نلاحظ أيضاً أن كلا من التيارين اشتمل على أقنية متعددة مختلفة الدوافع والاتجاهات . وأهم ما ينبغي ملاحظته بهذا الصدد أن تيار الرفض ، باعتبار الرفض نهجاً في العمل وسم تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية لسنوات طويلة قبل العام ١٩٤٨ وبعده ، قد لقي التأييد من أوساط يمينية ويسارية ، وان عدداً من الأوساط كانت دوافعه ، في واقع الأمر ، الحيلولة دون الشعب العربي الفلسطيني وبلوغ الأهداف والمطالب الوطنية التي تقتضيها مصالحه . وكذلك فان

التيار الثوري الواقعي لقي بدوره التأييد من أوساط يمينية ويسارية ، ومن بينها أوساط كانت تدير سياسات استسلامية تخاذلية تجاه العدو . وبالطبع فان هذه الملاحظة لا تنفي حقيقة أن التيارين ، كليهما ،انطلقا نتيجة عوامل وظروف موضوعية ، ووفق تصور لنهج ومستقبل العمل الوطني يخص كلا منهما ، ومثل ، في كل حالة من الحالتين ، مصالح هذه الفئات أو تلك من فئات الشعب العربي الفلسطيني العديدة .

والحوار الذي نشط بعد حرب تشرين على الساحة الفلسطينية عكسته مئات الوثائق التي وضعها الفرقاء الذين انخرطوا فيه ، فضلا عن المناقشات الشفهية التي شهدتها مؤتمرات واجتماعات الهيئات القيادية والكوادر في مؤسسات منظمة التحرير ، وفي المنظمات الفدائية والسياسية الفلسطينية كافة ، مما لا يمكن حصره أو حتى استقصاؤه بشيء من التفصيل . ولذا فاننا سنتمسك بالتقصي عن الخطوط الرئيسية للحوار ، كما عكستها بعض الوثائق الرئيسية ، مما يمكن اعتبارها نماذج كافية لعرض وجهات نظر الفرقاء المعنيين . وسيظل هدفنا هو رصد خطوط التطور في الفكر والممارسة كما تعكسهما الوثائق .

بينما كانت مساعي التسوية ناشطة على أشدها في أعقاب الحرب ، احتدم على الساحة الفلسطينية الحوار بين التيارين اللذين وصفناهما آنفاً ، ليفرز في نهاية المطاف كتلتين تنظيميتين ، تضم أولاهما كلا من فتح والجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين والصاعقة ، في حين تضم الثانية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية ـ القيادة العامة والجبهة العربية لتحرير فلسطين وجبهة النضال الشعبي . واستنفر كل تكتل لتعزيز وجهة نظره امكانياته كلها بما في ذلك تحالفاته وصلاته العربية والعالمية ، مما جعل الكتلتان تتوزعان قوى الساحة الفلسطينية بأسرها في الأراضي المحتلة وفي المهاجر . أما التدخلات العربية فقد صار لها هي الأخرى دورها في تأزيم الحوار وفي الدفع نحو تمايز الكتلتين وتوتير العلاقات بينهما . وعلى ضوء ذلك اتخذ الحوار في حالات عديدة أشكالا حادة بما في ذلك الاحتكاكات المسلحة التي وصلت في بعضها إلى حافة الانفجار[٢] .

بروز وزن المناطق المحتلة

كان المجلس الوطني قد قرر في دورته الحادية عشر (ك ١٩٧٣،٢) تشكيل « الجبهة الوطنية الفلسطينية في الأرض المحتلة »[٣] وجرى تشكيلها تحت هذا الاسم بمبادرة من الشيوعيين الفلسطينيين ، الذين يشكلون في الضفة الغربية المحتلة واحدة من منظمات « الحزب الشيوعي الأردني » بالاتفاق مع التنظيمات الفلسطينية . الفدائية والسياسية كافة ، كما انضم اليها أيضاً عدد من الشخصيات الوطنية ، السياسية والاجتماعية .

وتشكيل الجبهة على ذلك النحو اعتبر تتويجاً لسلسلة سابقة من المحاولات الناجحة أو المخفقة ، من اجل تنظيم العمل المشترك للقوى التي تقاوم الاحتلال داخل الأرض المحتلة . وهو الذي أظهر ، في الوقت نفسه ، التقارب المتحقق بين مواقف هذه القوى . وهو تقارب أملته ، من جهة ، ظروف المجابهة المباشرة واليومية للاحتلال ، كما أملاه بصورة خاصة ما قدمته تجربة هذه المجابهة من دروس فكرية وسياسية ، جعلت الاتجاه نحو الثورية الواقعية ، في مقابل الرفض ، هو الذي يتعزز ويسبق تعزز مثيله خارج الأرض المحتلة . وعلى سبيل المثال ، فان

فروع المنظمات الفدائية الرافضة، في الارض المحتلة، كانت لها مواقف متمايزة عن مواقف منظماتها ، تجعلها أقرب الى مواقف المنظمات الأخرى ، وتجعلها على الأقل لا ترفض التعاون معها . ثم أن تشكيل الجبهة بمبادرة شيوعية يؤكد ما نرمي إليه ، ذلك أن موقف الحزب الشيوعي الأردني منذ العام ١٩٦٧ مؤيد للمساعي التي تستهدف تحقيق تسوية سياسية على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي العربية التي استولت عليها في العام ١٩٦٧ وضمان الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني . وكان مفهوماً لدى الفرقاء الآخرين كافة أن الحزب يدعو للنضال من أجل هذه الحقوق على ضوء قرارات الأمم المتحدة . واذ قبل ممثلو المنظمات الأخرى الدخول في جبهة يشترك فيها الشيوعيون وهذا موقفهم ، وقبلوا أن يكون للجبهة برنامج سياسي تغطي بنوده الشؤون الوطنية كافة ، فان قبولهم هذا يعني سقوط الفيتو الفلسطيني التقليدي ضد حل من هذا النوع لقضية فلسطين ، أو يعني على الأقل عدم التشدد بشأنه كما كان يحدث سابقاً .

وهذا الأمر لا يؤكده الاستنتاج وحده ، بل أن المداولات التي تمت أثناء فترة التحضير لتشكيل الجبهة وصياغة برنامجها تطرقت لهذه النقطة وأوفتها بحثاً . وانتهت بوضع ميثاق الجبهة وبموافقة الأطراف غير الشيوعية عليه ، ومنهم ممثلون عن المنظمات الفدائية ذات الاتجاهات الرافضة(٤) .

وقد صاغ برنامج الجبهة(٥) مهمة « رفض جميع المشاريع التآمرية التي تستهدف تصفية قضية شعبنا العربي الفلسطيني والتفريط بحقوقه الوطنية ، سواء منها المشاريع الصهيونية مثل الكيان الفلسطيني والادارة المدنية والحكم الذاتي ومشروع آلون ، أو مشروع الملك حسين ، والحلول الاميركية وما شاكلها من التسويات التصفوية الاستسلامية » . أي رفض ذلك النوع من الحلول والتسويات ، وليس الحلول والتسويات باطلاقها .

ولما فتحت حرب تشرين موضوع التسوية الشاملة من جديد بما هي تسوية ستمس ، على نحو أو آخر، مستقبل الأراضي الفلسطينية المحتلة ومصير سكانها، نتج عن ذلك بطبيعة الحال ازدياد الوزن السياسي لموقف هؤلاء باعتباره عاملا حاسماً في ترجيح أي من الاحتمالات المطروحة أو المتاحة . واذ اقترن ذلك بتصاعد نضال هذه المناطق ضد الاحتلال وبتبلور أطره السياسية التنظيمية على نحو متقدم عما سبقه ، فلم يعد من الممكن لأية جهة معنية أن تتجاهل موقف فلسطينيي الداخل أو أن تنتقص منه . وقد أدى هذا الى أن تتبارى هذه الجهات في اجراء الاتصالات ومحاولات التأثير على فلسطينيي الداخل وتنشد تقريبهم من وجهة نظرها وتأييدهم لسياساتها ، يستوي في ذلك فرقاء التكتلين الفلسطينيين المتحاورين بشأن الموقف من التسوية والدول العربية المعنية وفي مقدمتها الأردن ومصر وسوريا .

أما الجبهة الوطنية فانها خطت من ناحيتها خطوات أخرى لتوسيع نشاطها ولتعزيز تمثيلها لأوسع فئات السكان . وقد استفادت في تحقيق ذلك من عوامل عديدة أولها وأهمها نتائج حرب تشرين التي انعشت الآمال باقتراب وقت الخلاص من الاحتلال ، حيث بدا أن المصير الفلسطيني صار قيد بحث جدي على ضوء هـذه النتائج . وثانيها أن موقف الجبهة يلقى المساندة الكاملة من تكتل القوى الفلسطينية الداعي للاستفادة من نتائج الحرب ، ومن

الدول العربية التي خاضتها . وثالثها هو صدق سياستها في التعبير عن مطامح فلسطينيي الأرض المحتلة الذين تمرسوا في النضال طيلة سنوات الاحتلال وصار مطلب الاستقلال الفلسطيني ، عماد سياسة الجبهة ، في مقدمة مطالبهم ، وأخذوا بدورهم يسندون الدعوة الغالبة في منظمة التحرير لوضع هذا المطلب في صلب برنامجها وجعله مرجحاً بين المطالب الأخرى . وقد أفصحت عن هذا كله الرسالة التي وجهتها الجبهة الوطنية الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير في ١٩٧٣/١٢/١ أي بعد قرابة شهرين من الحرب ، مضمنة اياها حصيلة المناقشات بين فرقائها قبل الحرب وبعدها ، وخصوصاً بعدها . فالرسالة تؤكد في مطلعها قناعة الجبهة بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الهيئة الوحيدة القادرة على تمثيل الشعب الفلسطيني . وهي تدعو صراحة الى أن تسعى المنظمة من أجل أن تشترك في الجهود القائمة آنذاك لتحقيق تسوية سياسية ، وتظهر أهمية مشاركة المنظمة باسم الشعب العربي الفلسطيني ، في اعمال مؤتمر جنيف الذي تقرر عقده تطبيقاً لبند من بنود القرار ٣٣٨ الصادر عن مجلس الأمن .

ومما يميز رسالة الجبهة ، بين الوثائق الفلسطينية كافة ، أنها صاغت دعوتها تلك بوضوح لا لبس فيه ولا التواء ، الأمر الذي يجعلها وثيقة نموذجية لبيان وجهة نظر التيار الثوري الواقعي ، تفصح عن أقصى ما كان يفكر فيه فرقاء هذا التيار ، سواء اعلنوه أو لم يعلنوه ، في الوقت الذي تعرض فيه موقف فلسطينيي المناطق المحتلة . يضاف الى ذلك أن موقف الجبهة المعبر عنه في هذه الرسالة جرت صياغته بعد مشاورات تمت مع عدد كبير من قادة المنظمات والقوات الفلسطينية الأخرى ، وأخصها فتح والجبهة الديموقراطية ، مما يجعل موقف الجبهة المعبرعنه هنا مؤيداً منها ان لم نقل أنه متفق عليه معها ، ويعطى للرسالة بالتالي قيمة الوثيقة المجمع عليها من هذه المنظمات والقوى كافة .

ومهما يكن من أمر فان دعاة الاستفادة من نتائج حرب تشرين على الساحة الفلسطينية ، كما أفصحت هذه الرسالة عن اقصى وأدق ما في أفكارهم ، ينطلقون من تأكيد حق م . ت . ف في أن تكون الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني بأسره ، واضعين هذا الحق في وجه الاحتلال الاسرائيلي لوطنه ، من جهة ، وفي وجه دعاوى النظام الأردني بأنه يمثل الفلسطينيين في الضفتين الشرقية والغربية من جهة أخرى . وهم إذ يدينون بطبيعة الحال اغتصاب اسرائيل للوطن الفلسطيني وللحقوق الفلسطينية ، يرفضون في الوقت نفسه أن يتصدى النظام الأردني لمعالجة قضية فلسطين على مسؤوليته أو أن يتخذ القرارات بشأن مستقبلها ، لأن هذا حق من حقوق م . ت . ف وحدها . وهم يستندون في تأكيد هذا الحق الى الشرعية الفلسطينية كما جرى التعبير عنها منذ تأسيس المنظمة في العام ١٩٦٤ وعبر تطورها في السنوات اللاحقة ، والى الشرعية العربية حيث أن الدول العربية اعترفت بالمنظمة في مؤتمر القمة الثاني ، وجددت هذا الاعتراف في قمة الجزائر في العام ١٩٧٣ مضيفة إليه اقرارها بأن المنظمة هي التي تمثل الشعب الفلسطيني وهي المسؤولة عن مستقبله . كما يستندون الى معطيات الواقع التي تظهر أن المنظمات والقوى الفلسطينية كلها تنضوي تحت لواء م . ت . ف ، وانه ما من طرف فلسطيني خارجها ينتحل صفة تمثيل هذا الشعب .

ينجم عن هذا أن المنظمة تملك الصلاحيات اللازمة لاتخاذ أي قرار يتصل بمستقبل

قضية فلسطين وفق الاعتبارات التي تقدرها بنفسها ، وليس من حق أي طرف آخر أن يملي عليها ما يتعارض مع تقديراتها .

أما بالنسبة للقضية المطروحة آنذاك وهي تحديد الموقف الفلسطيني من مجهودات التسوية كما ظهرت بعد الحرب ومن مسألة المشاركة في مؤتمر جنيف الدولي المنوي عقده ، اذا قدر له أن ينعقد ، فان هذا الموقف يحدده ، على ضوء ما تقدم ، اعتبار واحد وهو المصلحة الوطنية الفلسطينية وهل يخدمها الحضور أو الغياب الفلسطيني عنه . واما الاجابة على هذا السؤال الجوهري فانها تتحدد بدورها على ضوء التحليل الموضوعي للمعطيات القائمة والمرتقبة التي تحيط بالموقف الفلسطيني وتؤثر فيه أو تتأثّر به .

في مقدمة هذه المعطيات يبرز ما يتصل منها بموازين القوى في الصراع العربي الصهيوني بمقاييسها الاستراتيجية . وأولها على الجانب الدولي ، حيث يتضح أن تحقيق مطلب تحرير فلسطين أو بديله الدولة الفلسطينية الديموقراطية لا يتفق مع معطيات الوضع العالمي الراهن ، وهو وضع قد يستمر لفترات طويلة بما له من تأثير مباشر وطاغ على هذا الصراع . فالغالبية الكبرى من الدول وبينها دول تؤيد الكفاح العربي للخلاص من الاستعمار والاحتلال ، تعترف باسرائيل ، وتقر ببقائها : اما لأنها تقبله كأمر واقع أو لأنها تتمسك به ، وليس من شأن هذا الوضع أن يتبدل ما لم يطرأ تعديل هائل على موازين القوى العالمية لصالح القوى المعادية للاستعمار والصهيونية الأمر الذي ليس في المتناول الآن . وهو ، مع ذلك ، وضع لا ينبغي أن يدفع الفلسطينيين إلى اليأس أو أن يفقدهم القدرة على التفكير المنطقي وانتهاج النهج العلمي في تصرفاتهم والاستسلام للعواطف أو الاندفاع في سياسات مغامرة لا ينتج عنها هدف ايجابي .

واذا كانت ظروف ما قبل ١٩٤٨ وما تلاها قد حالت بين الشعب الفلسطيني وبين حقه في تقرير مصيره على تراب وطنه ، حين كانت الغلبة في الساحة العالمية لصالح قوى الامبريالية المساندة للصهيونية ، فان هذا الوضع شهد بعض التبدل في ظل الانحسار المستمر لقواها . وهو أمر يبعث الأمل والثقة ويعززها مع تنامي القوى المناهضة للاستعمار والامبريالية وتنامي حركة التحرر العالمي والقوى الديموقراطية والتقدمية والاشتراكية ، وهذا التحول هو الذي أدى على الصعيد العالمي الى اتساع التأييد لما اصطلح على تسميته باسم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، مفهومة على أنها الحقوق التي تحددها قرارات الأمم المتحدة ، كما أدى الى عزلة اسرائيل والادانة الواسعة لسياستها العدوانية ، مما يعني أن م . ت . ف مدعوة لأن تحتفظ بهذا التأييد وتوسعه ، فعليها ، من أجل ذلك ، أن لا تجبه مؤيديها بسياسات ومواقف يصعب عليهم تبنيها أو الدفاع عنها ، ما داموا هم الذين وفروا لها بتأييدهم هذا الجو الذي يسمح بتحقيق عدد هام من المطالب الوطنية الفلسطينية وبضمنها اقامة دولة خاصة بالشعب الفلسطيني على جزء من أرض فلسطين . واذا كان من غير المسموح به استبعاد امكانية حلول الظروف المناسبة عالمياً والتي تسمح بتحقيق حقوق أوسع فان الأمر يقتضي الصبر ، والاهتمام بالصورة التي ترسخ في ذهن العالم عن مشروعية كفاح الشعب الفلسطيني وعن دوره المرتبط بنضال القوى العالمية المعادية للاستعمار والامبريالية وبجميع القوى التقدمية والاشتراكية . وهنا أيضا ينبغي أن تجد م . ت . ف السياسة التي لا تضعها بتعارض مع امكانيات هذه القوى أو مع سياساتها ، لأنها بقبولها ما يمكن تحقيقه على ضوء ذلك تسهم في تعزيز امكانيات

ومواقع حلفائها هؤلاء وبالتالي تفسح الأمل في الحصول على المزيد .

أما على الصعيد العربي فان معطيات الصراع العربي ـ الصهيوني عبر سنوات احتدامه كلها تظهر أن حرب تشرين قدمت أقصى ما استطاعت الدول العربية أن تسهم به في الضغط على اسرائيل . وقد تحقق هذا بنتيجة جهود ست سنوات انصرفت فيها مصر وسوريا لاعادة بناء قواتها العسكرية التي دمرتها حرب حزيران ، وفي ظل تضامن عربي في مواجهة الخطر الصهيوني والامبريالي لم يسبق له مثيل ، وحتى في ظل الاستخدام الجزئي لسلاح النفط بالقدر الذي أمكن لكل الضغوط الوطنية أن تؤدي لحدوثه ، وفي ظل اشتداد عزلة اسرائيل بعد أن عملت الدول العربية المعنية سنوات في هذا الاتجاه واستطاعت أن تكشف سياستها العدوانية التوسعية . وقد أظهر هذا كله أن العرب بالرغم مما بذلوه من جهد ، لم يستطيعوا أن يحققوا نصراً عسكرياً حاسماً على اسرائيل فضلاً عن أن يزيلوا الكيان الصهيوني من فلسطين ، الذي يدعو الميثاق الوطني الفلسطيني الى ازالته ، الأمر الذي يظهر عدم واقعية مطلب كهذا ، على الأقل في الظروف الراهنة أو المنظورة ، بينما يظهر في مقابل ذلك ، أن من الممكن الاستفادة من الظروف المتحققة للوصول الى أهداف مرحلية يخلق انجازها بدوره ، وضعاً أفضل لاستمرار الكفاح الوطني .

وأما على الصعيد الفلسطيني ، فان وضعه أيضا يدفع في هذا الاتجاه ، ذلك أن الكفاح الوطني للشعب الفلسطيني قد حقق له المقدار من الوزن والتأييد اللذين يسمحان بالاستجابة لعدد من مطالبه ، في حين أن رفضه العمل من أجل تحصيلها لن يكون مفهوماً ، وسيفوت عليه فرصة سانحة ، وسيضعه بتعارض مع سياسات وخطط أقرب الدول العربية والأجنبية اليه ، وسيعطي للأردن فرصة التصدي لابرام تسوية مع اسرائيل لن تكون لصالحه بالطبع ، واذا كانت الدول العربية المعنية جميعها تتجه لابرام تسوية كهذه وتعتبر مؤتمر جنيف مكاناً مناسباً للتفاوض بشأنها ، فان انفراد م . ت . ف بالرفض سيجعل الدول العربية أميل للقبول بالدور الاردني ، فضلاً عن أن اسرائيل الطرف الآخر في التفاوض لا تقبل غيره ، ومن شأن هذا أن يؤدي مرة أخرى الى تغييب دور الحركة الوطنية الفلسطينية وتأليب عدد أكبر من الخصوم ضد المنظمة ، في حين أن الانخراط في النضال من أجل أن تحتفظ المنظمة بدورها كممثلة لشعب فلسطين ومسؤولة عن صياغة مستقبله فلا تتركه للاردن أو لأي طرف آخر ،سيعزز مكانتها . وأي انجاز يتحقق في سياق هذا النضال سيفعل الأمر ذاته وسيكون من شأنه أن يهيء الأرضية اللازمة لاستمراره في المستقبل أيضا .

يضاف لكل ما تقدم أن الدعوة لعقد مؤتمر السلام جاءت في ظروف غير مؤاتية لاسرائيل ، ومن غير المستبعد أن تضع العقبات في وجه انعقاده كأن تعلن رفضها المسبق لمبدأ الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ ، خلافاً لما ينص عليه القرار ٢٤٢ ، ولا شك في أنها ستستثمر أية خلافات تقوم على الجانب العربي بشأن المشاركة في مؤتمر السلام والتمثيل الفلسطيني فيه من أجل تبديل الظروف لمصلحتها* . وهكذا فان غياب المنظمة عن جهود السلام التي تشترك فيها الأطراف الأخرى المعنية كافة ، كل على طريقته بالطبع ، يفسح المجال لبدل واحد هو اشتراك الأردن

---

* برهن المجرى اللاحق للاحداث على صحة هذا التنبؤ .

باسم الفلسطينيين فيها . ومن المعروف أن النظام الأردني الذي ما فتىء ينازع م. ت . ف حق تمثيل الشعب الفلسطين ، قد أظهر في أكثر من مناسبة عداءه لهذا الشعب ووقوفه ضد تحقيق حقوقه المشروعة ، كما أظهر استعداده للتنسيق مع الولايات المتحدة واسرائيل من أجل استبعاد المنظمة ، ولو نجح في هذا فان نجاحه سيحرمها من حق الاستجابة للرغبة العالمية المؤيدة للحضور الفلسطيني في مساعي السلام ، وبضمنها حضور مؤتمر جنيف والدفاع عن الحقوق الفلسطينية في هذا المؤتمر .

واذا كانت هذه هي بعض مضار الغياب الفلسطيني عن مجهودات السلام ، مما يؤكد أهمية الحضور ، فان لهذا الحضور ، أيضا ، أهميته الايجابية التي تتجلى في المجالات التالية .

أ ــ انه يثبت بطلان الزعم الاسرائيلي بأن الضفة الغربية وقطاع غزة أراض متروكة يحق لاسرائيل أدارتها بنفس القدر الذي مارسته مصر والأردن بين العامين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . وهو الزعم الذي جعل اسرائيل تسميها المناطق المدارة لكي تصرف الأذهان عن كونها مناطق محتلة .

ب ــ إن مجهودات السلام حين تقود الى رسم حدود اسرائيل ستبرز ، في حالة الاعتراف بالوجود الفلسطيني كما تؤكده مشاركة م . ت . ف فيها ، الوجه الآخر للمسألة ، أي الدولة الفلسطينية وحدودها . وذلك في وقت تتجنب فيه اسرائيل عن قصد تحديد حدود لها لكي تطمس هذا الوجه الآخر وتعطي لنفسها حرية الاستيطان في الضفة والقطاع « حسب ما تمليه عليها مصالحها الاقتصادية والعسكرية والتوسعية وارتباطاتها مع الامبريالة العالمية بحجة أن ذلك يجري في مناطق متروكة » على حد تعبير رسالة الجبهة الوطنية .

ج ــ أن الزام اسرائيل بحدود واضحة سيفقدها واحداً من أهم الأسباب التي تتخذها ذريعة للتوسع لأن نظرية الأرض المتروكة ستصبح بغير معنى . والأهم من ذلك أن افشال سياسة اسرائيل التوسعية سيفسح المجال أمام تراكم مشاكلها الداخلية لأنها ستفقد هذه الوسيلة التي تستخدمها في اشغال سكانها بالحروب وصرف انتباههم عن هذه المشاكل .

د ــ إن قيام دولة فلسطينية ، ولو على جزء من أرض فلسطين ، يفسح المجال أمام تجمع الشعب الفلسطيني على أرضه والاعتراف بحقه في تقرير مصيره . وهذا سيضعه في موقع أرسخ للمطالبة بتنفيد قررات الأمم المتحدة الصادرة منذ العام ١٩٤٧ ، التي تعيد للفلسطينيين من أرضهم وحقوقهم ما هو أوفرمما تيسره التسوية الراهنة. وذلك لن يتم ، كما تبين الرسالة « الا على حساب الاغتصاب الصهيوني للأرض العربية » . واذا كانت المطالبة بابعاد اسرائيل عن الأراضي التي تحتلها من بين أراضي الدول العربية هي من حق هذه الدول فان المطالبة بانسحابها من الأراضي الفلسطينية هي من حق شعب فلسطين ، ومن شأن تثبيت حق المنظمة في أن تكون ممثلة هذا الشعب أن يعطيها حقاً آخر هو المطالبة باستعادة أرضه الأخرى المغتصبة وتطبيق قرارات الأمم المتحدة بهذا الشأن ، فضلا عن أن وجود دولة لهذا الشعب أيا كان حجمها سيسند هذا الحق بغير شك .

هـ ــ ثم إن بناء دولة فلسطينية بما يعنيه من استعادة الشعب الفلسطيني لحق من حقوقه المشروعة ومن استلامه لمقدراته ومسؤولياته ، سيعني أيضا أن تتفرغ الدول العربية

للبناء الداخلي وسيحول المجهودات الهائلة ، التي تصرف بسبب الصراع العربي ـ الصهيوني أو بحجته ، لخدمة هذا البناء ، وسيؤدي الى حل مشاكل التطور الاقتصادي والاجتماعي في وضع أفضل من الوضع القائم ، أي أنه سيفتح المجال أمام التطور الطبيعي بعيداً عن تهديدات العدوان وبعيداً عن الأساليب التي تمارس لعرقلته باسم حالات الحرب . وكل ذلك ، كما قالت الرسالة ، سيخدم « في محصلته قضية شعبنا والأمة العربية ونضال الشعوب المكافحة من أجل تحررها و [سيخلق] بالتالي مصاعب اضافية للامبريالية والصيونية » .

و ـ وأخيراً فان غياب الذريعة الأمنية التي تستخدمها اسرائيل للحصول على المساعدات من شتى الدول ومن الأوساط اليهودية في العالم ، فضلاً عن تحجيم اسرائيل ، سيقلص دوافع الهجرة اليها ، وسيكون من شأنه أن يفقدها أحد أهم مواردها التي تعزز قوتها وقدرتها على العدوان . كما سيفقدها القدرة على التأثير حتى داخل الأوساط التي تتعاطف معها في العادة .

ولعل هذه النقطة الأخيرة هي أهم النقاط التي يستند اليها التيار الداعي لمشاركة م . ت.ف. في مجهودات التسوية. ذلك أن مقدرة اسرائيل على العدوان والتوسع لا تنبع أساساً من امكانياتها الذاتية ولو كان الأمر كذلك لصار من السهل مجابهتها ، وانما تنبع من الدعم الخارجي متعدد الاشكال الذي تقدمه لها الأوساط الامبريالية والصهيونية بالذات . ومن المؤكد أن هذه الأوساط لا تفعل ذلك إلا لأن وجود اسرائيل وسياستها التوسعية تخدم أهدافها وتحقق لها القدرة على تعزيز وجودها ونفوذها هي في المنطقة . وعلى هذا فانه بمقدار ما تتقلص قدرة اسرائيل على لعب هذا الدور بمقدار ما تفقد المساعدات التي تتلقاها مبررات تقديمها ، وسيؤدي هذا في حسابات التأثيرات المتتابعة الى أن تفقد اسرائيل مقدرتها التوسعية بكاملها . واذا أضيف اليه حساب تنامي القدرة الوطنية الفلسطينية حين يجد الفلسطينيون أرضهم ودولتهم التي تجمع جهودهم ، فان التأثيرات ستصبح أعمق وأبعد مدى ، الأمر الذي يؤكد أن التطورات اللاحقة ستتجه نحو مزيد من احقاق الحقوق الوطنية الفلسطينية ، وليس نحو تقليصها .

ولعل في التجربة التاريخية للحركة الصهيونة ذاتها ما يظهر أهمية التدرج في انجاز الأهداف المتتابعة في ظل الظروف المؤاتية ، فهذه الحركة التي صاغت هدف اقامة الدول اليهودية في فلسطين في ظل صعود القوى الامبريالية ، خطت خطواتها نحو تحقيق هذا الهدف واحدة واحدة ، على مدى قرابة نصف قرن ، ثم أخذت تتوسع بعد ذلك وبالتدريج أيضا ، وقد بدا هدفها حين صاغته لأول مرة وكأنه ضرب من الأحلام ، حتى أن عدداً من القوى الامبريالية التي نشدت الصهيونية عونها في ذلك الوقت ترددت في تقديمه ، وظلت تتردد الى أن تبينت لها ، بالاضافة الى أهميته ، امكانية تحقيقه . والآن يبدو من الواضح أن تحقيق الهدف الصهيوني يشهد مرحلة توقف تشير الى بداية الارتداد ، وليس من الخطأ أن نرى أن تطوراً معاكساً سوف يحدث ، أي أن مسيرة الشعب الفلسطيني ، وحركته الوطنية م . ت . ف . تستطيع في ظل انحسار الامبريالية العالمية ، أن تتدرج في تحقيق أهدافها الوطنية ، مستفيدة من أي ظرف ملائم لتحقيق انجاز ملموس ، ومستخدمة هذا الانجاز ذاته نقطة انطلاق نحو الذي يليه .

ثم انه اذا كان التراجع العربي أمام الهجوم الصهيوني المتصاعد سبباً من بين أسباب تشجيعه ، فمما لا شك فيه أن التراجع الصهيوني عن المشروع التوسعي سيصبح سبباً لحفز

النضال العربي من أجل استرداد مزيد من الأرض ومزيد من الحقوق . ولا يملك أحد أن يجادل في أن ارغام اسرائيل على الاقرار بوجود دولة فلسطينية مستقلة الى جانبها سيعد من أكبر وأهم التراجعات المفروضة عليها في تاريخها ، وهو يفتح الطريق أمام اعادة صياغة وضع المنطقة بما يتلاءم مع مصالح شعوبها وتطورها في ظل الأمن والاستقرار اللذين لا تهددهما سياسات اسرائيل التوسعية واعتداءاتها . وفي المتناول هذا المثل الذي قدمته تجربة ١٩٥٦ ، فقد ارغمت اسرائيل على الانسحاب من سيناء وغزة ، ولكن انسحابها هذا لم يقترن بتلبية أي من الحقوق الفلسطينية ولذا فانه لم يمثل تراجعاً في المسألة الجوهرية التي هي اغتصاب هذه الحقوق ، ومع ذلك كانت له مردودات سلبية داخل اسرائيل تجلت في نقص الهجرة اليها في السنين التي أعقبت الانسحاب وفي البطالة والركود الاقتصادي ، بالرغم من أنها حصلت على حق الاستخدام الحر لخليج العقبة .

واذ فتح الباب في العام ١٩٧٤ أمام تسوية تستوعب جوهر الحقوق الفلسطينية الذي هو الاستقلال وتقرير المصير فان ولوجه يصبح واجباً لأنه سيؤدي الى بداية التراجع التاريخي المحتوم للصهيونية عن هدفها الشامل .

ورسالة الجبهة وهي توجز وجهة نظر التيار المؤيد لمجهودات التسوية تشير الى بعض النتائج المتوقعة بعد هذا التراجع ، وهي ترى أن حدثاً كهذا سيعزز على الصعيد اليهودي خارج اسرائيل « الشكوك التي طالما ساورت الكثيرين بسلامة الفكرة الصهيونية وامكان تحقيقها » مما سيعكس آثاره المباشرة على ميزان الهجرة من اسرائيل واليها « خصوصا في هذه الظروف التي تضاءل أو انعدم فيها التمييز العنصري ضد اليهود في جميع أنحاء العالم ، كما سيتبع ذلك انكماش المساعدات المالية والحماس المعنوي اللذين الهبهما انتصار العام ١٩٦٧ » . أما فيما يتصل بمشاكل المجتمع الاسرائيلي المتراكمة ، الناجمة عن طبيعته المصطنعة وعن حاجته في المقام الأول ، الى الهجرة والى المساعدات الخارجية ، فمن اليسير أن يتصور المرء كيف ستبرز هذه المشاكل فيما لو انهارت الآمال التوسعية التي بنيت على عدوان حزيران ، وخاصة حين لا تعود الأمور الى ما كانت عليه قبل العدوان فحسب ، بل تقوم بالاضافة لذلك دولة الشعب الفلسطيني التي لم تقم في العام ١٩٤٨ .

هذا المنطق الداعي للمشاركة في مجهودات السلام ، الذي أوجزنا آنفاً أهم مكوناته ، وجد ما يعززه أيضا في التحالف السوري ــ المصري ــ الفلسطيني الذي قوي قبل حرب تشرين وأثناءها واستمر بعدها وفي المساندة الدولية لأهداف هذا التحالف ، كما أظهرتها مواقف الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز ومنظمة الدول الاسلامية والعدد الكبير من المنظمات والهيئات والأحزاب والقوى ،العالمية أو الاقليمية، في كل مكان في العالم . وبين هذا كله برزت الأهمية الخاصة لموقف الاتحاد السوفياتي بوصفه الدولة العظمى المؤيدة لهذا المنطق ، والتي توازن قوتها قوة الولايات المتحدة المؤيدة لاسرائيل .

الموقف الفلسطيني خارج الأرض المحتلة

إذا كانت الجبهة الوطنية الفلسطينية قد استطاعت أن تفصح في رسالتها عن أقصى ما يدور من آراء وطروحات في الأوساط الفلسطينية التي تؤيد المشاركة في مجهودات التسوية فلأنها لم

تكن تواجه معارضة واسعة هناك بسبب ضعف تيار الرفض في المناطق المحتلة . ولذا جاءت رسالتها تحمل هذا القدار من الوضوح الذي لا يكتنفه أي غموض في الحث على المشاركة وعلى النضال من أجل تمثيل م . ت . ف في مؤتمر جنيف . ومع ذلك فموقفها هذا لم تتخذه بمعزل عن تأثيرات القوى التي تؤيد طروحاتها خارج هذه المناطق ، وبالذات عن مواقف التكتل الذي أفرزته حرب تشرين وأدى الى التقاء كل من فتح والجبهة الديمقراطية والصاعقة في مقابل جبهة الرفض . بل أن رسالة الجبهة ذاتها قد صيغت بعد مشاورات أجرتها مع قيادة فتح والديمقراطية وعدد آخر من القادة الفلسطينيين والعرب(٧) .

إلا أن القوى المؤيدة لطروحات الجبهة لم تكن تفصح عن كامل آرائها على هذا النحو لأسباب تتصل بحاجاتها الى تهيئة الرأي العام الفلسطيني لتقبل طروحات تغاير ما ألفه قبل ذلك . ولا شك في أن موقف فتح بالذات ، بوصفها الأكبر والأوسع نفوذاً بين المنظمات الفلسطينية كافة ، هو الذي كان من شأنه أن يحسم الأمر . ومن المؤكد أن فتح كانت بين القوى التي تؤيد طروحات الجبهة ، بل أنها حثتها على تقديم الرسالة لتعزيز وجهة نظرها في الحوار المحتدم خارج الأرض المحتلة بين التيارين(٨) ، أما لماذا لم تفصح فتح عن آرائها كلها ولماذا فعلت ذلك بالتدريج فلأسباب نوجز أهمها فيما يلي :

١ ــ استمرار نهج فتح المناور وعدم رغبتها في كشف أوراقها أمام الخصوم ، وهو نهج ، بصرف النظر عن سداده من عدمه في كل حالة من الحالات التي مورس فيها ، ميز سلوك فتح ازاء هذه المسألة .

٢ ــ رغبة فتح في تهيئة المناخ الفلسطيني ، خارج الأرض المحتلة ، لتقبل طرح جديد لم يألفه من قبل .

٣ ــ أخذها بعين الاعتبار حجم وتأثير القوى الرافضة ، والحاجة للمزيد من الوقت كي يصل حوارها معها الى نتائج محددة .

٤ ــ وجود خلافات داخل فتح ذاتها حول هذه المسألة بصرف النظر عن الحجوم والأوزان لكل من أصحاب الطروحات المختلفة .

٥ ــ حرص فتح ، المعبر عنه بكل أشكال التعبير والممارسة ، على أن يكون أي قرار فلسطيني جديد مقبولا من الأطراف الفلسطينية كافة ، وعلى توفر الاجماع الوطني في الموافقة على أي خطوة ذات طابع مصيري .

ولذا اتسم موقف فتح في تلك الفترة بالمثابرة في المجالات كافة على تهيئة المناخ من أجل تثبيت الطرح الجديد ، وبالتهرب ، في الوقت نفسه ، من الالتزام بأي شيء محدد في هذا الصدد ، التزاما معلنا .

أما الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين فقد لعبت ، على صعيد الفكر بصفة خاصة ، دوراً بالغ الأهمية في مجمل الحوارات التي دارت حول هذه المسألة كلها . ثم في الدعوة الى تبني الطروحات الجديدة . ذلك أن الجبهة كانت قد هاجمت الدعوة الى الدولة الفلسطينية عندما انطلقت خافتة بعد أيلول ١٩٧٠ ، وظلت أدبياتها طيلة السنوات الثلاث التالية تدحضها

بحماس شديد . ثم بدأ موقف الجبهة يتحول تدريجيا : ابتداء من أواسط العام ١٩٧٣ حين أخذت أدبياتها ، على غرار ما فعله برنامج الجبهة الوطنية الفلسطينية في الأرض المحتلة ، تهاجم التسويات الاستسلامية والحلول الاميركية والرجعية ، وليس التسويات باطلاقها(٩) .

ثم حدث تحول آخر في مواقف الجبهة بعد حرب تشرين ، أقره اجتماع موسع عقدته لجنتها المركزية ، وحضره ممثلون عن تنظيماتها في أوائل تشرين الثاني ١٩٧٣ وهو اجتماع طارىء كان هدفه « دراسة نتائج حرب تشرين وموقف المقاومة الفلسطينية من التطورات التي نشأت في أعقابها »(١٠) . وكانت له نتائج انعكست على مجمل الخط الفكري والسياسي للجبهة ، فنقته من بعض التأثيرات اليسارية المغامرة عليه . وكان له أيضا في هذا السياق تأثير على موقف الجبهة من المسألة التي نحن بصددها .

وفي هذا الاجتماع لاحظت اللجنة المركزية : « ان النتائج التي أدت اليها حرب تشرين الوطنية تطرح بحدة الآن مسألة ضمان **الحقوق الوطنية الملحة** والمصالح الحيوية للشعب الفلسطيني ، في وجه محاولات الامبرياليين والصهاينة والرجعيين الرامية الى تزييف هذه الحقوق واصطناع أطراف مشبوهة لادعاء تمثيل الشعب الفلسطيني ومصادرة حقه في تقرير المصير » . وفيه جرى التأكيد على « أن الامبريالية والصهيونية بتأييد شديد من الرجعية الأردنية ، تعمل بشكل محموم الآن من أجل تمرير تسوية تصفوية على حساب حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه ، وتحاول عزل وضرب حركة المقاومة الفلسطينية ، بصفتها الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين والقيادة الوطنية لنضاله . ولهذا رأت اللجنة المركزية « أن القوى الوطنية والتقدمية الفلسطينية تدرك أن نجاح مثل هذه المحاولات التي يخطط لها الاعداء سيؤدي لسنوات طويلة قادمة الى تصفية الحركة الوطنية لشعبنا ونضاله من أجل حقوقه الوطنية الراهنة ، وطمس هويته الوطنية المستقلة وكذلك حقه في استرداد وطنه وبناء دولة ديمقراطية على كامل ترابه الوطني » .

وبهذا أدخلت الجبهة التمييز بين الحقوق الوطنية الملحة أو الراهنة ، للشعب الفلسطيني وبين حقه في استرادد وطنه وبناء دولة ديمقراطية على كامل ترابه الوطني . وهو التمييز الذي تجلت فيه الخطوة التي مهدت لانخراط الجبهة الديمقراطية بنشاط في تيار الدعوة الى صياغة مطالب مرحلية ، لتنتهي بالدعوة الى دولة فلسطينية على أي جزء من أرض فلسطين يمكن تحريره من الاحتلال .

ولم يقف تيار الرفض بطبيعة الحال مكتوف الايدي ازاء هذا الطرح الجديد الذي يناقض موقفه ، والذي يكتسب أنصاراً يتزايدون كل يوم . بل انه استنفر كل قواه وامكانياته للدفاع عن وجهة نظره مستنداً الى قوة الأفكار والقناعات السائدة التي طال عليها الزمن ، ومستفيداً من وجود مجموعات من مؤيديهاداخل المنظمات التي تبنت الطرح الجديد نفسه. واذا كانت الجبهة الوطنية هي التي تصدت لعرض وجهة نظر التيار الأول بأقصى ما تحمله من طروحات جديدة ، فان قوى التيار الثاني ، وهي تتصور أنها تحمل أفكاراً سائدة يسهل الدفاع عنها أمام الرأي العام ، اشتركت جميعها في التعبير عن طروحاته مما أفرز عشرات الوثائق الهامة ومئات الوثائق الأخرى التي يصعب استقصاؤها . وفي الأحوال كلها ظلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي زعيمة هذا التيار وأكثر قواه تأثيراً . وقد عمدت هذه الجبهة ، على غرار ما

فعلته الجبهة الوطنية ، الى توجيه مذكرة من قبلها الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير في ٨/١١/١٩٧٣ ،(١١) أي في وقت قريب من التاريخ الذي قدمت فيه الجبهة الوطنية رسالتها ، توجز فيها وجهة نظر الرفض في المسألة التي احتدم الحوار بشأنها .

هذه المذكرة ، مثلها مثل غيرها من وثائق الرفض العديدة ، تظهر رأيه في أن أهم ما نتج عن حرب تشرين « هو شعور الامبريالية الاميركية بخطورة بقاء هذا الوضع المتفجر في المنطقة وما يحمله من تهديدات لمصالحها النفطية بشكل خاص » ، وتستنتج على ضوء هذا أن الامبريالية الاميركية صارت مستعدة لوقفة جديدة لاعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة ، أساسها قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وبهذه الاشارة للقرار الشهير ، التي ستتكرر في وثائق الرفض ، يريد هذا التيار التذكير بأن التسوية التي فتحت الحرب الآمال بتحقيقها تستند على ضرورة الاعتراف العربي باسرائيل وبحقها في الوجود الآمن كما ينص عليه القرار ، وبأنها لا تقدم جديداً بالنسبة لشعب فلسطين ما دام القرار يتجاوز وجوده وحقوقه ويتجاهلها .

ودعاة هذا التيار لا ينكرون « أن قوى عالمية وعربية جديدة عديدة ترى في هذا القرار أساساً صالحاً لنضال سياسي يجب أن يستهدف ازالة الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية التي احتلت أثناءحرب٥حزيران»،إلا أن هذا الأمر لا يستهويهم على ما يبدو، وهو على كل حال لا يشكل شاغلهم الأول والأساسي ما داموا قد رفضوا القرار من قبل وظلوا يرفضونه ، مما لا يعد جديداً لا في الوضع الناجم عن الحرب ، ولا في مواقفهم منه . أما الشيء الجديد في هذه الفترة والذي هو « الشيء الخطير بالنسبة لنا كشعب فلسطيني ومنظمة تحرير فلسطينية فهو وجهة النظر التي طرحت نفسها مؤخراً والتي تنادي باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فيما يسمونه « مؤتمر السلام » الذي سينعقد على أساس البحث الجاد في تطبيق القرار ٢٤٢ » . وبوضعهم اليد على بيت القصيد هذا، وفي مجال تشبثهم برفض التسوية يلجأون الى التذكير بأن » موقف منظمة التحرير بمختلف فصائلها من قرار ٢٤٢ موقف واضح وصريح ، عبرت عنه مختلف التنظيمات من خلال برامجها السياسية » التي ترفضه . أما وان الواقع المستجد بعد حرب تشرين، وخلافالرغبتهم، قد طرح مواقف جديدة « خلافاً للبرامج السياسية التي أقرتها المجالس الوطنية الفلسطينية في أكثر من مناسبة » فانهم يجدون أنفسهم مضطرين للتذكير بما يعدونه حقيقة واضحة ، وهي أن قرار مجلس الأمن « بقدر ما ينص على ضرورة انسحاب اسرائيل من الأراضي التي احتلتها في حرب ٥ حزيران ينص بنفس القوة على ضرورة بقاء اسرائيل وحقها في الحياة وتوفير حدود آمنة لها ، وتوفير سلام دائم في ظل وجود اسرائيل وبقائها وضمان سلامتها » . وعلى هذا بالذات ينصب رفضهم . وهم يقررون على ضوئه أن « أي اشتراك لـ م . ت . ف . في مؤتمر قائم على أساس القرار ٢٤٢ [كما هو حال مؤتمر جنيف] يعني بشكل واضح استعداد [ها] للمساهمة في مؤتمر أحد أهدافه ضمان بقاء اسرائيل ضمن حدود آمنة » .

ثم يفيضون في شرح مضار القرار ٢٤٢ باعتبار أنه يثبت شرعياً ودولياً عدوان ١٩٤٨ « بقدر ما يزيل عدوان ١٩٦٧ أو شيئاً منه » .

وفي معرض الرد على وجهة نظر التيار الأول التي ترى أن أهم ما في الأمر هو تحقيق الانسحاب الاسرائيلي من الأراضي التي احتلت في العام ١٩٦٧ . بالاستفادة من معطيات ميزان

القوى كما أظهرته حرب تشرين ولو أدى ذلك الى توقيع معاهدة سلام ، يمكن تعديل بنودها في المستقبل كلما تطور الميزان ،يؤكد الرفض وجهة نظره « ان اسرائيل والامبريالية لن تنسحب من الأراضي التي احتلتها في حرب ٥ حزيران مقابل وثيقة ورقية نستطيع أن نحرقها في أي وقت نريد » ، وهو يرى « أن كلاماً كهذا يحمل الكثير من الاحلام والتمنيات » . وهنا يشدد في القول « أن الامبريالية لن تكتفي بوثائق ورقية ، بل أنها ، حسبما ينص القرار ٢٤٢ ستفرض مجموعة من الاجراءات المادية وغير المادية : ـ المناطق منزوعة السلاح ، الوجود الدولي ، الاعتراف ، التعامل الاقتصادي، الى آخر ما هنالك،إستنادا الى فقرة واضحة في القرار ٢٤٢ وهي شرعية الوجود الاسرائيلي وحقه في الحياة ، وضرورة العمل على سلام دائم ومضمون في المنطقة » ، الأمر الذي يعدونه ضاراً بالحقوق الوطنية الفلسطينية .

وزيادة على ما تقدم يتطوع الرفض ، كما تفصح عن موقفه مذكرة الجبهة الشعبية ، بالتأكيد على « أن أي اشتراك من قبل م . ت . ف . في مؤتمر أساسه قرار ٢٤٢ لا يمكن أن يعتبر محاولة لاحراز انتصار تاكتيكي يساعدنا في الوصول الى الانتصار الاستراتيجي » . ولعل ما يتجلى في هذا التأكيد هو واحد من أهم أسس موقف الرفض ، اذ أن التركيز على ما يريده الطرف المعادي وحده ، وكأنه هو المرشح للتحقيق دون ما عداه ، سمة من سمات هذا الموقف المتميزة ، يضاف اليه عدم الاهتمام بحقيقة أن نضال حركة التحرر الوطني ، مدعوماً بمساندة حلفائها العديدين ، يمكن أن يؤدي لنتائج مغايرة ، ولذا نجد أن مذكرة الجبهة تعود للتأكيد في حالات معينة في تاريخ بعض القوى السياسية ، احراز انتصار جزئي مقابل« **التنازل الفعلي الكامل عن الهدف الاستراتيجي .** » (التشديد من عندنا) . ويعتقد الرفض على ضوء هذا « ان المطالبة بالواقعية والتكتيك والحكمة والتروي والتعقل ، وغيرها من التعابير ، تصبح بشكل واضح استسلاماً متستراً بكل هذه التعابير » .

ومع التذكير بالمواقف السابقة من القرار ٢٤٢ ، أي المواقف من التسوية ، فان الرفض يأخذ على المنظمات الاخرى ما يبدو من استعدادها لتبديل هذه المواقف مذكراً اياها بأن « التنظيمات الثورية عندما تضع استراتيجيتها وبرامجها السياسية فانها تضعها لتشكل دليلا صادقاً لنضالها ونضال الجماهير ، وليس لتكون مجرد كلمات أو نصوص يمكن أن نلقي بها جانباً وقتما نريد » . وفي هذا التشبث بالمواقف السابقة محاولة واضحة للاستفادة من قوة السائد من الآراء للوقوف في وجه التطورات والطروحات الجديدة . ومع هذا التشبث يرد التأكيد على « أن استراتيجية حرب التحرير الشعبية الفلسطينية العربية الطويلة المدى ، هي وحدها القادرة على تحقيق الهدف الاستراتيجي ، أي تحرير كامل التراب الوطني واقامة المجتمع الديمقراطي على أرض فلسطينية » ثم يرد أيضاً التأكيد على « أن أية مواقف تكتيكية يجب أن تخدم هذه الاستراتيجية بشكل واضح وملموس » . وهذا التأكيد يسقط من الحسبان ما هو ملموس فعلا ،وهو أن الدول العربية لم تحارب مرة واحدة حرباً اتصلت لأكثر من بضعة أيام أو بضعة أسابيع منذ خسارتها لحرب ١٩٤٨ التي استمرت بضعة أشهر . وأن الجماهير العربية لم تبدأ حربها الشعبية الطويلة الأمد بالرغم من أن الدعوةلهاما فتأت تتردد منذ عدة سنوات ، وهو لا يأخذ في الحسبان أن الدور الفلسطيني ، على أهمية تأثيراته السياسية والاعلامية ، لا يستطيع أن يخلق الظروف الموضوعية ، المادية والمعنوية ، التي تثير حرباً كهذه ، ولا أن يكون بديلا لها ، مثلما لا يأخذ في الحسبان أيضا أن حروب الشعب طويلة الأمد أو قصيرته لا تأتي وفق الرغبات

مهما استندت هذه الرغبات الى النوايا الطيبة .

ولأن هناك فكرة شاعت عن الرفض بأن مواقفه تقتصر على معارضته الخيارات المطروحة من غير أن يقدم بدائل عنها فان المذكرة تدحض هذه الفكرة . وهي لا تقبل الرأي الذي يقول بأن الشعب الفلسطيني يقف أمام خيارين ، فاما أن يشترك في تسوية هدفها اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة أو أن يسهم في تمرير مشروع المملكة العربية المتحدة حيث ستتقاسم الرجعية الأردنية مع اسرائيل الهيمنة على أرض الشعب الفلسطيني . وانما تؤكد أن هذين الخيارين ليسا وحدهما المطروحين ، وان القول بهذا « لا يضع بموضوعية كاملة كافة الخيارات المتوافرة علمياً أمام الثورة الفلسطينية . ثم تستنتج بعد ذلك أنه « في الوقت الذي نقول فيه : لا للدولة الفلسطينية على جزء من أرض فلسطين ، نقول بنفس القوة . لا لمشروع المملكة العربية المتحدة . أما الخيار الثالث البديل للاثنين فهو الخيار الثوري ، وهو وجهة نظر الرفض « واضح جداً أمام جماهيرنا وهو : نعم لاستمرار الثورة ، نعم للبقاء في صف الجماهير المقهورة والمضطهدة . نعم لحرب التحرير الشعبية الفلسطينية العربية ، الطويلة الأمد ، التي ترفض الاستسلام والتنازل عن الهدف الاستراتيجي ، سواء كان هذا التنازل علنياً أو ضمنياً » . وبهذا تعود دورة عرض البدائل الى نقطة البداية ، أي الى التشبث بالهدف الشامل ، غير ممكن التحقيق في الظروف الملموسة ، والى وضعه في معارضة ما هو ملموس بل إلى إدانة أي إنجاز يتم على طريق هذا الهدف الشامل واعتبار النضال من أجله استسلاما وتنازلا ... الخ .

ولأن طرحاً كهذا سيبدو ضعيفاً في ظل الظروف التي أفرزت الطرح المقابل ، لأنه يتجاهل واقع الوضع العربي والوضع الدولي والعديد من العوامل الهامة الأخرى ، فان الرفض يوافق على « أن الثورة الفلسطينية تواجه اليوم أدق مراحلها » كما يوافق على « التحليل الذي يوضح حقيقة الصعوبات التي ستنشأ عن موقف الرفض » . بل يدعي بما هو أكثر من ذلك حيث تقول المذكرة : « إننا نرى كل هذه الصعوبات ونعرف بالضبط ما هي ومدى ثقلها . واننا نوافق كذلك على القول بأن كل ثورة يجب أن تجيد التكتيك بقدر ما تجيد الاستراتيجية . كل ذلك كلام سليم نتفق معه » . إلا أنه يوافق على هذه المقدمات الصحيحة ليستنتج استنتاجات مغايرة لمنطقها مصراً على رفض الاشتراك في مجهودات التسوية ، ومكرراً اصراره على أن تؤخذ العوامل التي تعكسها هذه المقدمات بعين الاعتبار شريطة « أن يتم [ذلك] من خلال رفض واضح للقرار ٢٤٢ ورفض واضح لاشتراك منظمة التحرير في مؤتمر قائم على هذا الأساس » .

ثم يعلن عدم قبوله « الكلام الذي يحاول أن يصور موقف الرفض بأنه موقف انتحاري لن تكون نتيجته الا ذبح الثورة وتصفيتها بالوسائل العسكرية ، بالاضافة الى كافة الوسائل الأخرى » ، وكانت هذه تهمة رائجة ضده ، وذلك « لأن الموقف الذي تفرضه على منظمة التحرير ليس موقفاً انتحارياً . انه في نظرنا موقف ثوري يستند إلى كافة مقومات الانتصار » . أما كيف يفسر ذلك فبأن « مجرد وجود اسرائيل يشكل اضطهاداً واضحاً وتحدياً لجماهيرنا الفلسطينية والعربية ، وان موقفاً يستند إلى هذه الحقيقة الموضوعية لا يمكن أن يكون موقفاً انتحارياً خاطئاً » . وثمة ثقة مطلقة بأن « هذا الموقف سيلقى تأييد جماهيرنا الفلسطينية والعربية التي رفضت بشكل واضح وقف اطلاق النار ، والتي تطالب باستمرار بمعركة طويلة حاسمة هي وحدها التي يمكن أن توفر الحرية والأمن لمستقبل هذه المنطقة » . وبعد الاطمئنان الى أن موقف الجماهير العربية والفلسطينية من طروحات الرفض هو على هذا النحو فان مواقف القوى الثورية

العالمية منها لن تكون على نحو مغاير ، ذلك أن « مثل هذا الموقف لا يمكن الا أن ينال ، بعد نضال وجهد ، احترام وتأييد كافة القوى الثورية العالمية » . وما دام الأمر كذلك بالنسبة للقناعات المتوقعة من الجماهير العربية والفلسطينية ومن القوى الثورية والعالمية « فاننا لا نطالب شعبنا بالانتحار ، وانما نطالبه بأن يدفع الثمن الذي لا بد منه لأي انتصار تاريخي وهو ملايين الشهداء ، والصمود في ميدان الصراع رغم كل الآلام والتضحيات » . وهذا هو « الطريق الذي يعرف كل شعب يريد الحرية بأنه الطريق الوحيد للانتصار الحقيقي » .

أما على أي أساس توقع الرفض أن تكون طروحاته مؤيدة من قبل الجماهير العربية والفلسطينية والقوى الثورية العالمية كافة فانه سؤال لا يجد اجابته الا في الرغبات التي يحملها فرقاء الرفض الفلسطيني . بينما واقع الحال يعطي اجابة مخالفة . ولو لاحظنا ميزان القوى على الجانب الفلسطيني بالذات ، حيث يسود الاعتقاد بأن نسبة مؤيدي الرفض هي أعلى منها في أي مكان آخر لرأينا أن هذه النسبة لا تشكل الأغلبية ولا ترقى إلى درجة الأقلية الكبيرة . واذا كان من الحق أنه ما من استفتاء قد أجري لمعرفة رأي الجماهير الفلسطينية في أي مكان فان مؤشرات اتجاه الرأي العام يمكن استقصاؤها عبر معرفة مواقف التنظيمات الجماهيرية الفدائية والسياسية التي تمثله . وقد رأينا كيف أن سكان الأرض المحتلة كانوا شبه مجمعين على تأييد طروحات الجبهة الوطنية المنسقة مع القيادات الوطنية في الخارج . ولم يكن لممثلي جبهة الرفض في أي وقت من الأوقات الأغلبية في أي من الاتحادات الجماهيرية المنظمة سواء كانت عمالية أو فلاحية أو طلابية أو مهنية من أي نوع . وقوة منظماتها كمنظمات فدائية لا تقارن بالقياس لقوة فتح وحلفائها من المنظمات الأخرى . وغني عن الايضاح أن قوتها العسكرية لم تكن أكبر من تأثيراتها السياسية .

وأما على الجانب العربي فالأمر أبعد من أن يسمح لجبهة الرفض بأن تتحدث باسم الجماهير فضلا عن الأنظمة الرسمية ، ذلك أننا إذا أخرجنا من الحسبان القوى الرجعية واليمينية ذات النفوذ في بعض القطاعات الجماهيرية، فان غالبية القوى الوطنية والتقدمية كانت تؤيد برنامج مؤتمري القمة في الجزائر ثم في الرباط القائمين على أساس العمل من أجل تسوية متوازنة تطالب بانسحاب قوات اسرائيل من الأراضي التي احتلتها في حزيران ١٩٦٧ وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، أي على أساس التفسير العربي للقرار ٢٤٢ ، فضلا عن أن الدول العربية أجمعت على البرنامجين .

ويبدو الأمر أشد وضوحاً على الجانب الدولي ، فمن بين أعضاء الأسرة الدولية كلها لم يكن يقف مع وجهة نظر الرفض سوى دولة أو اثنتين، بينما توزعت بقية الدول بين مؤيدة للتسوية وفق التفسير العربي للقرار ومعارضة لها لأنها تناصر التفسير الاسرائيلي الأميركي له . واذا توجب أن نقدم بعض التفصيلات يمكن القول أن قائمة المؤيدين للتسوية المتوازنة ، التي لا يرون بين بنودها الغاء اسرائيل أو الغاء الاعتراف بها ، غالبية الدول العربية ، وغالبية أحزابها الوطنية والتقدمية ، والدول الاسلامية ودول عدم الانحياز والدول الاشتراكية والأمم المتحدة والمؤسسات الدولية الأخرى ، والعدد الكبير من الهيئات والمنظمات العالمية التي تضم تنظيمات العمال والفلاحين والطلاب والمهنيين والمثقفين ، وكذلك الأحزاب الشيوعية كافة والأحزاب الأكثر ديمقراطية بين الأحزاب الاشتراكية ، أما الجهات التي كانت لا تساند تسوية كهذه فهي

التي تؤيد اسرائيل وتنحاز لها . بينما لم يكن يؤيد وجهة نظر الرفض الفلسطيني على الجانب العالمي سوى عدد من بين أحزاب اليسار المتطرف وليس حتى كلها ، والمعروف أن هذه من بين كافة الأحزاب هي أقلها نفوذاً وتأثيراً على جماهير بلدانها .

بالرغم من ذلك فان جبهة الرفض تدين موقف التيار الفلسطيني الآخر الذي يأخذ هذه الحقائق كلها في اعتباره بتأثيرها المزدوج ، أي بتأثيرها في بلورة الكفاح الفلسطيني الينحو منحى ايجابياً يضعه في انسجام معها ، وفي مساندة هذا الكفاح حتى يحقق أهدافه المرحلية التي تصب في سياق أهدافه الأخرى وتعبد الطريق نحوها . بل انه يمضي لما هو أبعد من ذلك فيدين حتى التروي في اتخاذ موقف بات حين ارتأت بعض الأطراف، ومنها فتح، أن هذا التروي مفيد . وهو يصفه بأنه موقف اللاموقف ويرى أن استمراره « لن تكون نتيجته الا زعزعة الثقة في صفوف الجماهير [التي] هي القوة الوحيدة القادرة على تحقيق التحرير [لأن] الحرص على ثقة الجماهير بثورتها وقيادتها يجب أن يحتل في أذهاننا حجماً أكبر من أية اعتبارات تكتيكية أخرى » .

وتستبق المذكرة آراء معارضي الرفض فتقول : « نعرف تماماً أن البعض قد يفسر تقديم هذه المذكرة بأنه ضرب من المزايدة ، وقد يحملها شتى النوايا والمزايدات ، غير أننا ، في نظرتنا العلمية للأمور ، نؤمن أشد الايمان ، ومن حقنا أن نتصرف حسب قناعاتنا ، بأن هذا الموقف يخدم قضية الثورة وقضية الجماهير وقضية الوحدة الوطنية المستندة الى الموقف السياسي الثوري والموحد » . وهو ما يأمل مرسلو المذكرة في أن يتم تفسيرها على ضوئه .

الحوار الوطني ـ الاتفاق

احتدم الحوار اذن بين وجهتي نظر كان بينهما هذا المقدار الذي رأيناه من الاختلاف في زوايا النظر والتحليل والاستنتاج .وفي ظل حرب الاستنزاف التي واصلها الجيش السوري ضد مواقع القوات الاسرائيلية في الجولان ، وبانتظار ما ستسفر عنه ، وفي ظل استمرار العمليات الفدائية الفلسطينية ظل الحوار محتدما وتزايدت حدته ، وبدا في وقت من الأوقات وكان الحركة الوطنية الفلسطينية على وشك أن تشهد انقساماً جديداً ، حاداً كل الحدة هذه المرة .

واذا شئنا أن نلخص مرة أخرى وبكلمات قليلة ، وجهتي نظر الطرفين المرشحين للانقسام أمكن أن نقول : ان الرفض تمسك بالقول أن حرب تشرين ، وسنغض الطرف عن الأوصاف التي رماها بها بعد توقفها ، لم تحدث تبدلات أساسية على ميزان القوى في الصراع العربي ـ الصهيوني ، ولذا فان الأسباب التي كانت تدفعه في السابق الى خوض حرب طويلة الأمد والى التمسك بالمطلب الشامل (تحرير فلسطين ثم الدولة أو المجتمع الديمقراطيان) والغاء الكيان الاسرائيلي ما تزال قائمة . بينما رأى دعاة الاتجاه الآخر ، دعاة الدولة الفلسطينية المستقلة ، ان بروز الثورة الفلسطينية وبروز الدور السياسي لمنظمة التحرير ، اللذين تحققا بنضال شعب فلسطين لسنوات عديدة ، كان حتى قبل حرب تشرين قد هيأ ما يلزم من أجل الانتقال الى تحقيق مطالب وطنية ملموسة على طريق المطلب الشامل ، وان حرب تشرين بما حققته من دفع باتجاه تسوية متوازنة ، ووقوف منظومة الدول الاشتراكية وكتل دولية أخرى الى جانب المطالبة بدولة فلسطينية في الأرض التي ستنسحب عنها قوات الاحتلال الاسرائيلي ،

إن ذلك كله عوامل تفرض تأكيد هذا الاتجاه . وان البديل في حالة استمرار الرفض الفلسطيني ، هو استمرار الاحتلال أو عودة الأرض المحتلة الى هيمنة الأردن وغيرها ، من غير أن يتوفر الأساس الذي يجعل من الممكن أن تكون سيادتهم عليها كاملة .

واذا كانت الأسباب التي تدفع نحو الانقسام بسبب الخلافات الحادة كثيرة ، فان الرغبة في تجنيب حركة المقاومة الفلسطينية مصيراً كهذا لم تكن ضيئلة . وكان أساس هذا هو الاعتقاد بأن الانقسام سيضعف الفرقاء جميعاً ، وسيضعف بالتالي مجمل النضال من أجل تحقيق المطالب الفلسطينية الوطنية أياً كانت وأياً كانت درجتها . وقد انعكست هذه الرغبة في سلوك ناس ينتسبون إلى الفرقاء كافة ، وانعكست بصفة خاصة في سلوك أوساط الرأي العام الفلسطيني الذي حال ناس منه في حالات كثيرة ، حتى بأجسادهم بالذات ، دون وقوع احتكاكات ، معرضين أنفسهم لخطر الموت .

ويمكن هنا أن نسجل لفتح أنها ، بصرف النظر عن استثناءات ليست كثيرة ، لعبت دوراً كبيراً في الحيلولة دون وقوع الانقسام الحاد . وفعلت فتح ذلك لأسباب عديدة نورد أهمها فيما يلي :

أولا – لأن فتح تعتبر نفسها حركة وطنية واسعة تستقطب الاتجاهات كافة . والحقيقة أن فتح ضمت في صفوفها ، على نحو ما ، ممثلين للاتجاهات كافة ، وكان لفتح رافضوها أيضاً ، الأمر الذي جعلها تتأثر بهذا المقدار أو ذاك بالطروحات المتعددة ، وتمتص بالتالي الاشكال الحادة لردود الفعل فتخففها من خلال حرص فرقائها جميعا على استمرار وحدتها .

ثانيا – وهي بنهجها التجريبي ، القابل للاستجابة السريعة لما يستجد من تطورات ، لاحظت بعد قليل من توقف حرب تشرين ميولا عربية، وخاصة مصرية،لاسترضاء أميركاوتغليب وجهة نظرها في التسوية ، وأدركت على نحو ما ، ان التسوية من وجهة النظر الاميركية لن تستوعب مطالب الحد الأدنى الفلسطينية .. ولهذا صارت أكثر حذرا في اعلان موقفها المحدد من التسوية ، مما خفف ردود الفعل المقابلة على الساحة الفلسطينية ، وخاصة ردود فعل الرفض .

ثالثا – ولأسباب لا مجال لبحثها هنا ، تمسكت فتح بضرورة تحقيق الاجماع الفلسطيني على برنامج موحد يلتقي حوله الجميع ، مما أوجب عليها أن توسع صدرها ازاء ما يمكن أن يعتبر استفزازات موجهة ضدها .

رابعاً – ثم إنها كانت مطمئنة الى رسوخ وضعها : حيث يحالفها على الساحة الفلسطينية الجبهة الديمقراطية (التي أخذت تتصدى من جانبها لطروحات الرفض) والصاعقة ، والأغلبية العظمى ممن يوصفون بالمستقلين ، ويؤيد الشيوعيون طروحاتها. ويحالفها على الساحة العربية دولتا المواجهة : مصر وسوريا ، في وقت ظلت علاقاتها فيه وطيدة أو متوازنة مع معظم الدول العربية الأخرى ، بينما كان العراق وحده هو الذي يخص الرفض بدعمه . ووجدت طروحاتها باتجاه التسوية تنسجم انسجاماً كبيراً مع موقف الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكيةُ ، ومع مواقف الكتل الدولية الأخرى المؤيدة للمطالب العربية وأبرزها كتلة دول عدم الانحياز وكتلة الدول الاسلامية .

خامساً ـ إن فتح ـ يؤيدها ويضغط عليها من أجل ذلك جل حلفائها الفلسطينيين وعدد من حلفائها العرب ومؤيديها الدوليين ، ويحفزها الحرص على الوجه الديمقراطي للحركة الوطنية الفلسطينية ـ تمسكت بضرورة استمرار الحوار بين المنظمات والقوى الفلسطينية من أجل صياغة برنامج مشترك لعملها المقبل .

يقابل ذلك على الصعيد الآخر أن منطق الرفض برمته ، الذي كان قد تعرض لاهتزاز كبير منذ أيلول ١٩٧٠ (أي في الوقت الذي كانت فيه المنظمات الفدائية كافة تقف في صف الرفض) تعرض لهزة أخرى كبيرة بسبب حرب تشرين ، وذلك أمام الرأي العام الفلسطيني والعربي ، مما أضعف العديد من مرتكزاته الأساسية . فقد دخلت جيوش مصر وسوريا حرباً ابتدأتها هي ضد قوات العدوان الاسرائيلي ، جند لها البلدان كل ما أمكن أن يجمعاه من طاقاتهما طيلة السنوات الممتدة بين ١٩٦٧ و١٩٧٣ وحصيلة المعونات التي تلقياها ، وساهمت في اسنادهما فيها كل دولة عربية بما أتاحت لهاظروفهاوسياساتها . وبدا كأن الدول العربية تفعل في ذلك الوقت أقصى ما تستطيع فعله من أجل التحرير ، ثم جاءت المحصلة : نتائج متوازنةلم يمكن، برغم التضحيات الكبيرة ، الحصول على أفضل منها ، وأهم تلك النتائج انفتاح الباب أمام تسوية معقولة . ولم يعد بـمقدور الرفض أن يقول بعد ذلك : انتظروا الحرب الأخرى الطويلة الأمد ، وأن يجد انصاراً عديدين . والأهم من هذا أنه لم يعد قادرا على اقناع العديد من أوساط الرأي العام برفض فرصة لاحت ممكنة ، في الحصول على مكاسب ملموسة ثمناً للجهود والتضحيات التي بذلت ، تحت دعوى الانتظار الطويل للفوز بالجائزة الكبرى وحدها .

وكذلك فان الدور الذي رآه الرأي العام المفتوح العيون أيام الحرب ، الدور الذي قامت به الجيوش النظامية ، والحجوم المذهلة لفعاليتها ، قد زعزع واحدة من مقولات الرفض الأساسية حول أدوار الجيوش النظامية ، وبين خطل أفكار كثيرة كان الرفض يبني عليها دعوته ، وأظهر للرأي العام أن اسرائيل ، إذا كانت قد صمدت ازاء هجمة جيوش نظامية لها ذلك الحجم ، الذي لا يمكن مضاهاته بحجم العمل الفدائي الفلسطيني ، من القدرات والتسليح من غير أن تنهار أو حتى من غير أن تتراجع لأكثر من بضع كيلو مترات في سيناء ، فأي عدد من السنين يقتضي الأمر مرورها حتى تتوفر ظروف أخرى مواتية لزحزحتها بضع كيلو مترات أخرى على أساس الدعوة لحرب الشعب طويلة الامد . ووفق أي منطق ينبغي تأجيل الحصول على ما هو ممكن الى أن تتوفر ظروف ، لا يبدو معظمها قائماً ، من أجل حرب كهذه الحرب ؟

يضاف الى كل ما تقدم أن قوة الرفض العسكرية ، في حسابات القوى الفلسطينية ذاتها ، كانت متواضعة بالمقارنة مع قوة الآخرين ، مما أفقده ، وهو يدعو لحرب الشعب طويلة الأمد ، القدرة على أن يقدم النموذج المقنع .

ومهما يكن من أمر فان مؤسسات منظمة التحرير شهدت بدورها أصداء الحوار المحتدم على امتداد الساحة الفلسطينية كلها ، وانشغلت بها على نحو مستمر اجتماعات اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي للمنظمة . وتلقت اللجنة التنفيذية مذكرة قدمتها اليها كل من فتح والجبهة الديمقراطية والصاعقة لخصت موقفها من المسألة المثارة . وبدا في وقت من الأوقات كأن التكتل الذي تكون من المنظمات الثلاث حزم أمره ، وقرر أن يسير وحده ويتحمل مسؤولية

النهج الجديد المطلوب . ولم يكن الايحاء بوجود قرار كهذا سوى مناورة ، لأن تقديم المذكرة وما بدا من ورائه ، قصد منهما التعجيل في دفع الحوار الوطني الشامل الى نتيجة محددة ، أي بكلمات أخرى قصد منه الضغط على الرفض كي يحزم أمره ويقبل الالتقاء مع الطرف الآخر على برنامج مشترك . وهذه المناورة ، مقرونة بالتأثيرات الأخرى العديدة ، حققت غرضها . وفي نهاية المطاف أمكن أن تتشكل بقرار غير معلن أصدرته اللجنة التنفيذية ، لجنة للحوار الوطني ، ضمت الأمناء العامين للمنظمات الفدائية كافة ، كما ضمت ممثلا عن الجبهة الوطنية الفلسطينية في الأرض المحتلة وترأس ياسر عرفات عملها .

وقد أمكن للجنة ، التي اشتهرت باسم اللجنة السباعية ـ بعدد المنظمات الممثلة فيها ـ بعد سلسلة من الاجتماعات المضنية لم يجر الاعلان عنها هي الأخرى ، أن تتوصل الى صياغة البرنامج المشترك المنشود . وعلى ضوء ذلك وبعد توقيع اتفاق فصل القوات على الجبهة السورية كتتويج لحرب الاستنزاف ، دعى المجلس الوطني الى دورة جديدة كي يصادق عليه ، ويعطيه من وجهة نظر الشرعية الفلسطينية قيمة الوثيقة الوطنية .

البرنامج السياسي المرحلي أو برنامج النقاط العشر

وضعت اللجنة السباعية أول برنامج من نوعه في تاريخ العمل الفدائي ، وسمته « البرنامج السياسي المرحلي » مؤكدة بهذه التسمية السمة الأساسية للبرنامج ، وهي أنه برنامج للعمل السياسي وانه برنامج اشتمل على مطلب وطني مرحلي .

وانعقدت دورة المجلس الوطني الفلسطيني الثانية عشرة (القاهرة ، ١/٦/١٩٧٤) من أجل مناقشته والمصادقة عليه . وخلال ثمانية أيام ، شهد المجلس أهم المناقشات التي شهدتها دوراته السابقة كلها على الاطلاق : فمما لا شك فيه أن المناقشة التي شهدتها تلك الدورة ، في الاجتماعات العامة وفي اجتماعات اللجان ، قد اتسمت بقدر كبير من العمق وبمستوى عال من الاحساس بالمسؤولية لم يسبق له مثيل . وان هذه السمة تنطبق على المداخلات التي تقدم بها المساهمون في النقاش كافة . والمستوى الذي وصلت إليه مناقشات تلك الدورة ترك آثاره على مستويات النقاش في الدورات اللاحقة كلها ، مما يجعل الدورة الثانية عشرة بحق نقطة انعطاف ، ليس في مجمل مسيرة منظمة التحرير فقط ، بل في نوع الدور الذي غدت تلعبه دورات المجلس في اغناء الفكر والممارسة في هذه المسيرة .

ويصف تقرير اللجنة التنفيذية المقدم الى المجلس المرحلة التي تمر بها المنطقة بأنها « تشكل نقطة انعطاف تاريخي لصالح شعبنا العربي الفلسطيني ، وتشكل في الوقت نفسه مؤشراً واضحاً للمأزق الخطر الذي يعيشه عدونا »[١١] . وهو يحث قادة العمل الفلسطيني على أن يكونوا في « مستوى خطورتها من حيث علاقتها الدقيقة بمستقبل شعبنا العربي الفلسطيني وضرورة الأخذ بعين الاعتبار عدم اسقاط المكتسبات التي توصلت اليها ثورتنا نتيجة التضحيات التي قدمها شعبنا عبر مراحل نضاله الطويل » . أما عن هذه المكتسبات فان التقرير يرى أنها تشمل « جانباً هاماً حققه نضالنا وعززته حرب رمضان أيضا ، وهو اتساع دائرة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد لشعبنا العربي الفلسطيني فلسطينياً وعربياً ودولياً » . وهو بهذا يشير الى قرار القمة العربية السادسة (الجزائر ، تشرين

الثاني ١٩٧٣) وقرار القمة الرابعة لدول عدم الانحياز (آب ١٩٧٣) وقرار القمة الاسلامية الثانية (شباط ١٩٧٤) المؤيدة للمنظمة ، التي تضمنت الاعتراف بالمنظمة كممثل شرعي وحيد لشعبها .

واما حرب تشرين فهي التي أحدثت « تغييراً ملموساً مجسماً بعوامل ومعطيات جديدة خرجت بالموقف العربي من دائرة الركود السياسي الذي كانت تعيشه المنطقة ، وخلصته من ضباب انعدام الرؤية للمستقبل » .

ويتوقف تقرير اللجنة التنفيذية عند المحاولات الاميركية التي كانت قد ابتدأت للالتفاف على نتائج حرب تشرين الايجابية ، ولجر الدول العربية الى حظيرة التسوية الاميركية ، ويدعو لأخذها بعين الاعتبار الشديد، ويحلل أهداف هذا التحرك الأميركي مؤكداً أنها تنصب في اتجاهين رئيسيين أولهما : « الابقاء على المصالح الاميركية ، وهي المصالح التي أصبحت مهددة تهديداً حقيقياً بعد حرب رمضان ، والحيلولة دون فتح المجال أمام ايجابيات هذه الحرب ومعطياتها وانعكاساتها فلسطينياً وعربياً ودولياً من أن تتصاعد وتنمو حاملة معها رياح الخطر على كل المصالح الامبريالية ، وقاطعة الطريق أمام أية امكانية لعودة وترسيخ النفوذ الامبريالي الاميركي وعملائه » . وثانيهما : « الحيلولة دون استمرار تصدع البنيان الاسرائيلي ، الذي اهتزت جدرانه الى درجة التفسخ نتيجة هذه الحرب ، وأصبح بالتالي مهدداً كرأس جسر للامبريالية الأميركية » .

ثم يستنتج من ذلك أنه « مع سرعة التطورات المتلاحقة فاننا ونحن نعي أخطار هذه المرحلة ، كان لتريثنا في اتخاذ القرار الفلسطيني وحرصنا على استمرار الحوار الديمقراطي الهادف والبناء أثره الفعال في الالتقاء على موقف وطني موحد ، يبلور خطة عملنا ونضالنا ، ويجعل مختلف الفصائل الفلسطينية المقاتلة والقوى الوطنية على الساحة الفلسطينية تلتقي حول برنامج عمل موحد من شأنه أن يردع كل محاولات تصفيتنا وطمس معالم قضية شعبنا » ؛ وأنه « بمثل هذا التريث نكون قد احتفظنا بزمام المبادرة في أيدينا ولم نكشف أوراقنا الفاعلة لعدونا » .

والواضح أن هذه الفقرة من التقرير تتولى الرد على الانتقادات التي وجهت لمسلك القيادة الفلسطينية في تلك الفترة ، حين لم تعلن موقفاً صريحاً ازاء اقتراحات التسوية كما أفرزتها حرب تشرين بالرغم من ميلها الظاهر للمشاركة في مجهودات هذه التسوية اذا تمت الاستجابة لعدد من مطالبها بشأنها . وكان المنتقدون يصفون القيادة بأنها تتخذ « موقف اللاموقف » ويدينون ذلك ، على غرار ما فعلته مذكرة الجبهة الشعبية الى اللجنة التنفيذية كما مر معنا آنفاً . ولذا فان هذه الفقرة من التقرير وهي تتولى الرد على الانتقادات تكشف خبيئة تاكتيك القيادة ، الذي تبنته أساساً فتح ، وتقول صراحة أنها تعمدت الا تكشف أوراقها الفاعلة أمام العدو حتى تظل محتفظة بزمام المبادرة ويبقى لديها هامش واسع للمناورة ، بالاضافة الى أنها كانت بحاجة الى الوقت حتى يتسنى لها معالجة الخلافات القائمة بين فرقاء العمل الفلسطيني وتنتهي لصياغة موقف .

وبعد هذا الايضاح يعرض التقرير الأسس التي ينطلق منها الموقف الفلسطيني ازاء

التسوية . وذلك ابتداء من أنه « يجبَ الا نسقط من حسابنا أن ميزان القوى بمجمله ، فلسطينياً وعربياً ودولياً ، هو الذي سيحدد موقع التسوية والمخاطر المرافقة لها والمترتبة عليها » ، وانتهاءاً بأنه اذا كان صحيحاً « أن للمواقف التي تتخذها كل من الشقيقتين مصر وسوريا الأثر في مضمون التسوية فاننا يجب أن ندرك [أيضاً] أن موقفنا لا يقل تأثيراً على مضمون التسوية من مواقف الشقيقتين » .

ومن المؤكد أن مصير الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، الذي صار قيد التداول ، كان يشغل محلا أولا من اهتمام قيادة م . ت . ف . ولذا فان تقريرها للمجلس الوطني يركز الانتباه على هذا المصير ، ويحث على اتخاذ موقف فاعل ومؤثر يضمن عودتها للسيادة الفلسطينية ، لأن هذه الأراضي بغير ذلك ستظل « خاضعة لاحتمالات أخرى سلبية ، تدفع كلها باتجاه القضاء على شعبنا ووجوده وكيانه ، ولذلك فان استمرار النضال من أجل الاقتلاع المبكر للاحتلال وانهاء كل اشكال التسلط على أرضنا أمر تفرضه مصلحة شعبنا ومقتضيات استمرار نضاله الثوري المسلح » ..

وعلى هذا النحو وضع تقرير اللجنة التنفيذية المجلس الوطني في الجو الذي يجعل المصادقة على مشروع البرنامج السياسي المرحلي ، كما صاغته اللجنة السباعية ، أمراً لا بد منه . والحقيقة أن مناقشة البرنامج كانت النقطة الرئيسية على جدول أعمال المجلس .

صياغة الهدف الوطني المرحلي

ينطلق البرنامج في حيثياته ، التي صاغتها عبارات قليلة ، « من الميثاق الوطني » مسترضيا بهذا المنطلق الذين أبدوا تخوفهم من وجود اتجاه لتعديل الميثاق ، حتى يستوعب الموقف الجديد المعبر عنه في البرنامج ويخول قيادة المنظمة القبول بتسوية سياسية بعض شروطها يتعارض مع نصوص في الميثاق الوطني . وهو ينطلق أيضا من « البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية » المقر في الدورة الحادية عشرة المنعقدة في القاهرة ما بين ٦ و١٢ كانون الثاني ١٩٧٣ ، وهذا منطلق يبعث وجوده في مقدمة البرنامج المرحلي الدهشة بغير شك ، اذ أن هذا البرنامج السياسي المشار اليه كان قد حث صراحة على « النضال ضد عقلية التسوية وما تفرزه من مشروعات تستهدف قضية شعبنا في تحرير وطنه أو مسخ هذه القضية بمشروعات الكيانات أو الدولة الفلسطينية على جزء من أرض فلسطين »[١٣] مما يتعارض تمام التعارض مع مضمون البرنامج الجديد ، كما سنرى . ثم أن هذا الأخير يؤكد في حيثياته على الايمان « باستحالة اقامة سلام دائم وعادل في المنطقة دون استعادة شعبنا الفلسطيني لكامل حقوقه الوطنية وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير مصيره على كامل ترابه الوطني » . وهو لا يقول هنا : على كامل تراب فلسطين . وكذلك فانه يؤكد ايضا على ضرورة دراسة الظروف السياسية التي استجدت في الفترة ما بين الدورة السابقة والحالية للمجلس ، مشيراً بذلك الى تطورين هامين كانا جديدين بالفعل ، هما حرب تشرين وقرارات القمة العربية السادسة في الجزائر . ذلك أن الحرب أفرزت احتمال التسوية ، وقمة الجزائر اعتبرت منظمة التحرير الممثلة الوحيدة لشعب فلسطين ، مسقطة الادعاءات الأردنية بهذا الصدد . ويبني البرنامج على ذلك قراره ذا النقاط العشر ، التي جعلت البرنامج كله يشتهر باسم برنامج النقاط العشر .

وسنعرض فيما يلي ونناقش النقاط العشر واحدة واحدة : على أن نشير في البداية الى أن معرفتنا بالوقت الطويل الذي استغرقته مناقشة نقاط هذا البرنامج وصياغتها في صيغتها النهائية ، والاهتمام الذي أولاه المتناقشون في اللجنة السباعية لكل عبارة وكلمة فيه ، تدفعنا لأن نولي من جانبنا عناية كبيرة للمعاني الواضحة أو الكامنة وراء أي صياغة .

النقطة الأولى : « تأكيد موقف منظمة التحرير السابق من قرار ٢٤٢ ، الذي يطمس الحقوق الوطنية والقومية لشعبنا ويتعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين ، ولذا يرفض التعامل مع هذا القرار على هذا الأساس في أي مستوى من مستويات التعامل العربية والدولية ، بما في ذلك مؤتمر جنيف » .

وهنا ، في هذه النقطة ، ستستوقفنا في الصياغة ما تعكسه من جديد في الموقف ازاء القرار ٢٤٢ . ولا بأس من أن نتذكر أن المواقف الفلسطينية ، داخل منظمة التحرير وخارجها ظلت الى ما قبل ذلك التاريخ ، مع استثناءات قليلة ، ترفض القرار وتدينه جملة وتفصيلا ، وتؤكد أيضا أن الدول العربية التي وافقت عليه كانت مخطئة في موافقتها على اعتبار أن الاعتراف باسرائيل الذي يدعو اليه القرار لا يعد ثمناً مقبولا لانسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي التي تحتلها منذ ١٩٦٧(١٤) . واذا تذكرنا هذا فسنرى بوضوح كيف أدخلت النقطة الأولى من البرنامج تعديلا جوهرياً على الموقف الفلسطيني من القرار ، هذا التعديل تعكسه الصياغة التي نراها ، ولا بأس من أن نتمعن فيها بشيء من التفصيل : فقد وصف القرار بأنه « يطمس الحقوق الوطنية والقومية لشعبنا ، ويتعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين » ثم قيل : « ولذا » أي لأن القرار تعامل مع قضية فلسطين على نحو قاصر وخاطىء فان الشعب الفلسطيني « يرفض التعامل » معه ، ثم تأكد المعنى ذاته باضافة عبارة : « على هذا الأساس » لكي يتحدد بوضوح أكثر سبب الرفض الفلسطيني للتعامل مع القرار « في أي مستوى من مستويات التعامل العربية والدولية بما في ذلك مؤتمر جنيف » .

فما الذي يعنيه هذا كله ؟

لا شك في أن الصياغة بما تشتمل عليه من التواء في قول ما تريد أن تقوله ، جاءت على هذا النحو لكي توفق بصيغ لفظية بين مواقف مختلفة ازاء القرار ، وازاء مسألة التسوية عموماً ، وهذا هو الأساس . وكذلك ازاء ما كان ملموساً آنذاك وهو احتمال عقد مؤتمر جنيف للسلام ، واحتمال « اضأل » بتوفر ظروف تسمح بمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فيه ، كما كان يأمل بعض الفرقاء العرب وكذلك الاتحاد السوفياتي .

وقد رأينا كيف أن كلا من رسالة الجبهة الوطنية الفلسطينية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تناولت ، من وجهة نظرها ، هذه المسألة ، وان الخلاف بين الموقفين المعبر عنهما في الرسالتين ، والمواقف الأخرى المتفاوتة على امتداد المساحة بينهما ، لم يحسم بصورة باتة . الأمر الذي جعل الاتفاق يصاغ على الشكل الذي عبرت عنه الجمل الملتوية في هذه النقطة الأولى .

ويظل صحيحا بعد هذا ، وكما كشفت مجريات الأحداث فيما بعد ، أن هذه النقطة من نقاط البرنامج قد فعلت شيئين : الأول : انهت المعارضة الفلسطينية لمساعي الدول العربية

المعنية المتجهة الى تحقيق تسوية تتعلق بانسحاب القوات الاسرائيلية من أراضيها ، على ضوء القرار ٢٤٢ ، بل جعلت م . ت . ف . أقرب لتأييد هذه المساعي ، على اعتبار أن تحقيق الانسحاب من الأراضي العربية خطوة هامة على طريق فتح ملف مستقبل الأراضي الفلسطينية المحتلة . والثاني . أنها فتحت الطريق أمام المشاركة الفلسطينية في مجهودات التسوية اذا توفرت لتلك المشاركة أسس غير الأساس الناقص والغامض الذي صاغه القرار ٢٤٢ . أي اذا تم الاقرار بضرورة بحثها على أساس أنها قضية شعب يطالب بحقوقه الوطنية . وهو أساس وفره ، بعد اقرار البرنامج بقليل ، قرار أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة وحمل الرقم ٣٢٣٦ ، وقبلته منظمة التحرير الفلسطينية . وبكلمات أخرى ، صارت المعارضة الفلسطينية للقرار ٢٤٢ تتركز بصفة خاصة ، على تجاهل القرار لطبيعة قضية فلسطين وطمسه لحقوق شعبها الوطنية . ولم تعد تنصب عليه ككل كما كان شأنها قبل ذلك . وهذا الاستنتاج ليس ناجماً عن استقرار النص وحده ، بل هو أيضا حصيلة معرفة المناقشات الطويلة التي دارت بشأنه مع القادة الذين أسهموا في صياغة البرنامج ، ومع غيرهم .

النقطة الثانية : « تناضل منظمة التحرير بكافة الوسائل ، وعلى رأسها الكفاح المسلح ، لتحرير الأرض الفلسطينية واقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأرض الفلسطينية التي يتم تحريرها ، وهذا يستدعي احداث المزيد من التغيير في ميزان القوى لصالح شعبنا وقضيته » .

وسنجد أنفسنا في هذه النقطة ازاء نص آخر لم يمض في خط مستقيم نحو ما يريده ؛ وذلك للاعتبارات ذاتها التي سبق أن أشرنا إليها . اذ أن القول : « تناضل منظمة التحرير بكافة الوسائل » وايراده في مطلع النص ، يعنيان شموله للوسائل السياسية والدبلوماسية وايلاءها اهتماماً خاصاً ينسجم مع طبيعة المرحلة ، في حين أن العودة بعد ذلك للقول « وعلى رأسها الكفاح المسلح » انما تعكس قناعة الجميع ، ممن اشتركوا في وضع البرنامج وصادقوا عليه ، وأدركوا أن الكفاح المسلح الفلسطيني يظل ، حتى نهاية المطاف ، أداة فعالة يتوجب على الشعب العربي الفلسطيني أن يستخدمها لارغام خصومه على الاقرار بحقوقه . أما الجديد في هذه الصياغة فهو أن الهدف الذي صاغه الميثاق الوطني الفلسطيني ، وقبله الميثاق القومي ، بعبارة « تحرير فلسطين » قد صاغه البرنامج هنا بعبارة « تحرير الأرض الفلسطينية » . ولا شك في أن العبارتين قد تعنيان شيئاً واحداً ، الا أنهما ، أيضا ، قد تعنيان شيئين مختلفين ، فالأرض الفلسطينية هي من وجهة النظر الفلسطينية الرسمية : فلسطين ، والأرض الفلسطينية من وجهة نظر الشرعية الدولية ليست فلسطين كلها ، انها في أكثر التفسيرات التصاقا بالتفسير الفلسطيني ، الأرض التي حددها قرار الجمعية العامة للامم المتحدة للعام ١٩٤٧ الذي عرف باسم قرار التقسيم .(١٦) .

فلماذا تم استبدال عبارة « تحرير فلسطين » بعبارة « تحرير الأرض الفلسطينية » في البرنامج ؟ وهل وقر في ذهن الذين سعوا للتبديل أن وضع العبارة الجديدة ، بما هي حمالة أوجه ، يعطي من الجانب الفلسطيني دفعة على حساب تسهيل الجهود التي كانت مبذولة لاشراك منظمة التحرير الفلسطينية كطرف متساو في الحقوق مع الأطراف الأخرى في مباحثات

التسوية ، بحيث يمكن القول للذين وضعوا شروطا من بينها تعديل الميثاق الوطني أن البرنامج قد جاء بما يختلف عن الميثاق ؟ لا شك في أنه يفعل ذلك .

وهل مر هذا التبديل أمام أعين ممثلي جبهة الرفض في اللجنة السباعية ، ثم في المجلس الوطني ، من غير أن ينتبهوا لمدلوله ؟ أم أنهم انتبهوا ولم يستطيعوا منعه ، أم أنهم انتبهوا ووافقوا ؟ أم أن الأمر كله قد حدث بمجرد الصدفة ؟

أسئلة لا نملك أن نقدم حولها اجابات باتة ، ما دام المعنيون بها يملكون ، من جانبهم ، أن يكذبوها ، وما دامت محاضر مناقشات اللجنة السباعية غير متوفرة ، في ظل عادة دارجة تظهر أن يقال في الاجتماعات المغلقة شيء لا تتوفر ، بالضرورة ، وثائق علنية تثبته . ومع ذلك فمن الممكن القول ، بصورة عامة ، أن ورود التعبير الجديد على النحو الذي ورد عليه ، وبصرف النظر عن المناقشات الداخلية ، ترك هامشاً للمناورة أمام القيادة الفلسطينية على الساحة الدولية كي تجد مدخلا لا يتعارض مع قرارات الأمم المتحدة لطروحاتها الجديدة بعد حرب تشرين . وهو الذي أعطى ، مع نقاط أخرى في البرنامج ، الانطباع الواسع لدى الأطراف المعنية عربياً ودولياً بأن منظمة التحرير قد انعطفت نحو الايجابية في مواقفها ، نابذة نهج الرفض الذي وسم وثائقها في السابق . نقول ذلك بصرف النظر عما اذا كان أسلوب التحايل في الصياغات هو الأسلوب الأفضل لدفع المسيرة الوطنية الى الأمام ، أو أنه أسلوب غير مأمون يولد البلبلة ويخلق الالتباس ويضع الرأي العام الفلسطيني أمام معان متعددة ومتعارضة لنص واحد ، ويشتته .

والشيء الجديد الآخر الذي أدخلته هذه النقطة ، وهو أهم ما في البرنامج على الاطلاق ، هو النص على أن تناضل المنظمة من أجل « اقامة السلطة الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأرض الفلسطينية التي يتم تحريرها » .

ونستبق سياق المناقشة لنقول : أن صفة « المقاتلة » أضيفت بناء على الحاح ممثلي الرفض في اللجنة السباعية ومن أجل استرضائهم . وكان وضعها، في حينه ، مبعث العديد من التعليقات المتندرة : ذلك أنه لم تحدث في تاريخ أي شعب سابقة الاعلان عن أن سلطته المنشودة ستكون مقاتلة . أما بعيداً عن التندر فان اضافة هذه الصفة جاءت تعبيراً عن رغبة الذين شاءوا أن يستوثقوا من أن اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية على جزء من فلسطين لن تكون نهاية المطاف في النضال من أجل استرداد الحقوق الوطنية الفلسطينية الأخرى .

إن صياغة هدف محدود ، أقل من هدف تحرير فلسطين بكاملها ، هو أهم ما وضعه البرنامج . وهو بهذه الصياغة قد كرس ، وبعبارة أدق قد توج ، في وثيقة فلسطينية من هذا المستوى ، القناعات التي أملتها دروس الممارسة العملية للثورة وللحركة الوطنية الفلسطينية منذ نشأتها . وهو أيضاً الذي أكد نبذ النهج السابق : نهج الاصرار على المطلب الشامل ورفض ما هو أقل منه حتى ولو كان خطوة نحوه . وهو نهج لخصته عبارة عامية متندرة : « كلها ، أو بلاها » . ووضع ، في مقابله ، نهجاً ايجابياً يتجه بسداد نحو صياغة أهداف يمكن النضال من أجلها أي يمكن في آخر الأمر تحقيقها ، وحشد القوى لدعم هذا النضال .

النقطة الثالثة : « تناضل منظمة التحرير ضد أي مشروع كيان فلسطيني ثمنه لاعتراف والصلح والحدود الآمنة والتنازل عن الحق الوطني وحرمان شعبنا من حقوقه في العودة وحقه في تقرير مصيره فوق ترابه الوطني » .

وهكذا لم يعد النضال الفلسطيني موجهاً ضد أي مشروع باطلاقه ، بل ضد المشروعات التي لها مثل هذا الثمن الباهظ . وبذا حدد النص المحظورات أو القيود التي تضبط الموقف الفلسطيني المتجه نحو المشاركة في التسوية ، واضعا هذه المحظورات في مقابل التسهيلات التي يتضمنها نص النقطة الثانية السابقة . وأوجب على قيادة المنظمة ليس فقط أن ترفض التسوية التي يكون لها ثمن كهذا ، بل أن تناضل ضدها أيضا . أي أوجب عليها أن تعمل لاحباطها اذا توصل لمثلها الآخرون .

مرة أخرى تستوقفنا في هذا النص عبارة مداورة هي عبارة « الحق الوطني » الذي الزم البرنامج المنظمة بعدم التنازل عنه . فما هو المقصود بهذه العبارة ، ولماذا وردت غير محددة على هذا النحو ، ولماذا لم يتحدد الحق الوطني بتحرير فلسطين كلها ؟ ألا ينطبق على ايرادها هكذا ما انطبق على ايراد عبارة الأرض الفلسطينية بدل فلسطين ؟

وتستوقفنا مسألة أخرى أيضا في الصياغة لا ندري ما اذا كانت قد وقعت هي الأخرى نتيجة التحايل المقصود أو السهو ، وذلك حين نصت هذه النقطة كما نرى ، على مقاومة أي مشروع ثمنه « الاعتراف **و** الصلح **و** الحدود الآمنة **و** التنازل عن الحق الوطني **و** حرمان شعبنا من حقوقه في العودة وحقه في تقرير مصيره فوق ترابه الوطني » . فالنص هنا يربط المحظورات المرفوضة بحرف العطف « و » وبه يصير المدلول الحرفي للعبارة كلها أن المطلوب هو مقاومة المشروع الذي يكون ثمنه هذه المحظورات كلها دفعة واحدة . ولو صح أن هذا هو المعنى المقصود فعلا ، لأصبح من المسموح به ، طبقاً لنص هذه النقطة ، القبول بمشروع تسوية ثمنه واحدة من هذه المحظورات أو بعضها . ولو أريد تأكيد غير ذلك ، بصياغة لا تفتقر الى الدقة ، لتوجب أن يحل حرف العطف « أو » محل « و » وان يصبح النص : « ثمنه الاعتراف **أو** الصلح **أو** ... » الخ .

فهل نحن مرة أخرى ازاء صياغة يستر وراءها كل فريق ما يريده ؟ وهل تجيز الصياغة ، بالنحو الذي وردت عليه كما أقرها المجلس الوطني ، لقيادة المنظمة أن توافق على سلطة وطنية ثمنها الاعتراف باسرائيل من غير اعلان التنازل عن الحق الوطني ومن غير ابرام صلح معها ومن غير حرمان الشعب الفلسطيني من حقه في العودة وحقه في تقرير المصير ؟ هذه أيضاً أسئلة من النوع الذي يصعب تقديم اجابات محددة عليها .

النقطة الرابعة : « إن أية خطوة تحريرية تتم هي لمتابعة تحقيق استراتيجية منظمة التحرير في اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية المنصوص عليها في قرارات المجالس الوطنية السابقة » .

وبهذا النص تكرس من جديد احلال شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية كواحد من شعارات منظمة التحرير ، بعد أن طال الخلاف بشأنه وامتد سنوات . وتكرس احلال هذا الشعار محل شعار « تحرير فلسطين » الذي نص عليه الميثاق الوطني ، والذي ، بالمناسبة ، لا

يرد ولو مرة واحدة في البرنامج كله . وتم من وجهة نظر الرفض التحوط ضد التخوف من امكانية أن تصبح اقامة السلطة الوطنية على جزء من أرض فلسطين نهاية المطاف . وصار مفهوماً بصورة أجلى لماذا وصفت النقطة الثانية من هذا البرنامج السلطة الوطنية المنشودة بأنها مقاتلة .

ويفسح نص هذه النقطة مجالا للاستنتاج بأن تغييب شعار تحرير فلسطين ووضع الدولة الفلسطينية الديمقراطية بدلا عنه يسهلان ما ملنا الى استنتاجه من وراء صياغة النقطة السابقة ـ الثالثة . ذلك أن امكانية عقد تسوية في ظل بقاء شعار الدولة الديمقراطية أسهل في كل الأحوال من عقدها في ظل الشعار الآخر ، حيث يمكن في ظل تسوية كهذه أن يجري الاقرار بحق الشعب الفلسطيني في اقامة سلطته الوطنية على جزء من تراب وطنه الى جانب اسرائيل ، ما دام وجود الاثنين لا يتعارض مع مطلب الدولة الفلسطينية الديمقراطية بالقدر الذي يتعارض مع المطلب الآخر . والأمل بتحقيق الدولة الديمقراطية ، التي يعيش فيها العرب واليهود بحقوق متساوية يمكن أن يظل مفتوحاً ، حتى مع وجود دولتين احداهما عربية والأخرى يهودية ، ومهما يكن من أمر فان قولنا هذا ليس سوى استنتاج لا تؤكده ، بصورة باتة ، المواقف المعلنة ولا الوثائق المتاحة .

ويمكن أن نستبق سياق الوقائع لنشير الى حديث ياسر عرفات بعد أشهر من اقرار البرنامج ، أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، عن يهود اسرائيليين يناضلون من أجل دولة ديمقراطية واحدة . حيث يقول بعد ذلك مخاطباً رئيس الجمعية :

« فلماذا لا أحلم ، سيادة الرئيس ، وأمل ، والثورة هي صناعة تحقيق الاحلام والآمال ، فلنعمل معاً على تحقيق الحلم في أن أعود مع شعبي من منفاي لأعيش مع هذا المناضل اليهودي ورفاقه ، ومع هذا المناضل الراهب المسيحي واخوانه ، في ظل دولة واحدة ديمقراطية يعيش فيها المسيحي واليهودي والمسلم في كنف المساواة والعدل والأخاء »[١٧] . ثم حين يقول أيضا ، متجاوزاً كل التعريفات التي وضعها الميثاق القومي والميثاق الوطني بعده ، لليهود الفلسطينيين : « إنني أعلن أمامكم هنا كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وقائد للثورة الفلسطينية اننا عندما نتحدث عن آمالنا المشتركة من اجل فلسطين الغد فنحن نشمل في تطلعاتنا كل اليهود الذين يعيشون الآن في فلسطين ويقبلون العيش معنا في سلام ودون تمييز على ارض فلسطين » . ثم أيضاً حين يوجه الخطاب لليهود الذين يعيشون في فلسطين ، فرداً فرداً : « اننا نقدم لكم أكرم دعوة ، أن نعيش حقاً في اطار السلام العادل في فلسطيننا الديمقراطية »[١٨] .

النقطة الخامسة : « النضال مع القوى الوطنية الأردنية لاقامة جبهة وطنية أردنية ـ فلسطينية هدفها اقامة حكم وطني ديمقراطي في الأردن ، يتلاحم مع الكيان الفلسطيني الذي يقوم نتيجة الكفاح والنضال » .

وهو نص لم يأت بجديد ، إذ أن الدورات السابقة للمجلس الوطني دعت لاقامة الجبهة الوطنية الأردنية ـ الفلسطينية[١٩] . أما الجديد في ايراده ، في وثيقة لها كل هذه الأهمية ، فهو أنه غيب شعار وحدة الضفتين أو وحدة الشعبين الفلسطيني والأردني . وتغييبهما هنا جاء في

سياق تأكيد نهج الاستقلال الوطني الفلسطيني والمطالبة بكيان مستقل ، من غير أن يغفل أهمية التلاحم النضالي بين الشعبين ، بدليل أن النص أكد على أهمية التلاحم الذي يقوم نتيجة الكفاح والنضال . كما أن تغييبهما يعني البت في مسألة رفض عودة السلطة الأردنية الى الضفة الغربية .

النقطة السادسة : « تناضل منظمة التحرير لاقامة وحدة نضالية بين الشعبين وبين كافة قوى حركة التحرير العربي المتفقة حول هذا البرنامج » .

وبهذا أيضا تم التأكيد على الوحدة النضالية للشعبين ، والربط بينها وبين وحدة كافة قوى حركة التحرير العربي التي تؤيد اتجاهات هذا البرنامج . واذ وضعت الصياغة عبارة قوى حركة التحرير العربي وليس عبارة : قوى حركة التحرر الوطني العربية ، فقد أفسحت المجال لكي يشمل التعاون قوى عربية أوسع من القوى التي تدل عليها عبارة حركة التحرر الوطني بما صار لها من مدلولات محددة .

ونحن نرى كيف يحسم البرنامج هنا ، على صعيد الموقف الفلسطيني السياسي المشترك ، بهاتين النقطتين وبغيرهما من النقاط التي كرست النهج الاستقلالي الوطني ، اشكالات لا حصر لها . هذه الاشكالات كانت قد برزت منذ العام ١٩٤٨ وارتبطت بمسألة طبيعة العلاقة بين فلسطين والأردن . بل أنها برزت قبل ذلك ، أي منذ تشكيل امارة شرق الأردن العام ١٩٢١ على أرض الضفة الشرقية لنهر الأردن ، بينما كانت فلسطين تتململ لمواجهة طلائع الغزو الصهيوني المدعوم بحراب الاحتلال البريطاني . وهي اشكالات نجمت عن تعدد وتداخل وتناقض الكثير من العوامل التي أملت على هذا الفريق أو ذاك رفع شعار وحدة الضفتين أو معارضته ، من غير أن يكون للتبني أو للمعارضة المدلول ذاته لتبني أو معارضة شعار وحدة أي بلدين عربيين آخرين ، بالضرورة .

فقد رفعت القوى الوطنية والتقدمية الأردنية والفلسطينية شعارات وحدوية في أوقات فرضت فيها الشعارات ضرورات توطيد جبهة النضال المشترك ضد الرجعية ، وضد التبعية للنفوذ الاستعماري والامبريالي وضد اسرائيل . وجرى ذلك في أوقات لم تكن فيها مجريات الأحداث التي أعقبت العام ١٩٤٨ قد طرحت على بساط البحث أهمية مطلب الاستقلال الوطني الفلسطيني (ليس من اجل الاستقلال في حد ذاته على أهميته ، ولكن للمساعدة على انجاح النضال الذي يستهدف تمكين الشعب الفلسطيني من تحصيل حقوقه الوطنية ومن تقرير مصيره الذي حرم من تقريره بصورة فظة وفريدة) . وعاد العديد من القوى الوطنية ، بما فيها الأردنية للموافقة على مطلب الاستقلال الفلسطيني ، حين اتضحت أهميته هذه في هذا المجال . وفي المقدمة دعم الحزب الشيوعي الاردني هذا المطلب على الرغم من أنه يتسمى بالأردني ، ويضم في صفوفه فلسطينيين واردنيين الى اليوم ، وكان بين أوائل القوى الوطنية التي رفعت مطلب الدولة الفلسطينية المستقلة .

أما الرجعية الأردنية فقد طرحت ، من جانبها شعار وحدة الضفتين أو وحدة الشعبين لكي تتمكن على نحو أنجع ، من تكبيل حركة الشعب الفلسطيني المعادية للاستعمار والصهيونية ، ومن الهيمنة عليه ومنعه من لعب الدور الذي ندبته له ظروفه وقضيته ، ولكي

تفعل الأمر ذاته ضد الحركة الوطنية والتقدمية الأردنية ذاتها .

وجاء برنامج النقاط العشر ، بما هو تعبير عن ذروة التطور في الفكر والمواقف الفلسطينية ، الذي تحقق حتى العام ١٩٧٤ ، ليضع المسألة في سياقها الصحيح ، ويبت في النقاش الدائر بشأنها على الساحة الفلسطينية وغيرها . وذلك بتأكيده الدعوة للنضال من اجل الاستقلال الوطني الفلسطيني ، مع تأكيده الدعوة لوحدة نضال الفرقاء العرب كافة ، الذين يؤيدون حركة الشعب الفلسطيني الوطنية ، وبينهم الشعب الأردني وقواه الوطنية ، من غير أن يغفل العلاقة الخاصة التي تربط الشعبين الفلسطيني والأردني .

النقطة السابعة : « على ضوء هذا البرنامج تناضل منظمة التحرير من أجل تقرير الوحدة الوطنية والارتقاء بها الى المستوى الذي يمكنها من القيام بواجباتها وبمهماتها الوطنية والقومية » .

والمقصودة في هذا النص هي ، بطبيعة الحال ، الوحدة الوطنية الفلسطينية . وقد وفر البرنامج بما صاغه من نقاط الالتقاء بين الفرقاء الوطنيين كافة ، الاساس المطلوب لتعزيزها . وظل ذلك ، بعد أن توفر هذا الأساس الأهم من غيره ، مرهوناً بسلوك الفرقاء المعنيين .

النقطة الثامنة : « تناضل السلطة الوطنية الفلسطينية ، بعد قيامها ، من اجل اتحاد اقطار المواجهة في سبيل استكمال تحرير كامل التراب الفلسطيني وكخطوة على طريق الوحدة العربية الشاملة » . هذا النص يستوقفنا فيه تأجيل النضال من أجل وحدة دول المواجهة (والمقصود الدول العربية المحيطة باسرائيل) الى ما بعد قيام السلطة الوطنية . فمن غير هذا التأجيل كان النص سيفهم عل أنه امعان في تغييب مطلب وحدة الضفتين على حساب الدعوة لوحدة دول المواجهة كلها ، أما بالتأجيل فقد تحدد معنى النص والدافع الذي أملاه ، في التخوف الفلسطيني المشروع ، المعبر عنه بأشكال عديدة ، من أن تقف السلطة الوطنية المنشودة في موضع العاجز عن مجابهة اسرائيل اذا كانت وحدها . ومن هنا ثبتت الدعوة لوحدتها مع دول المواجهة العربية الأخرى وجاءت في سياقها تماماً ، حتى تتوفر لتلك السلطة ، وللدولة الفلسطينية التي ستقوم فيها ، الحماية العربية الكافية التي تمكن من استمرار المجابهة مع اسرائيل ، ولكي يصبح الأمل باستكمال استرداد الحقوق الوطنية الفلسطينية أملا يسنده واقع ملموس . وبهذا يصبح البرنامج السياسي المرحلي منطقياً مع نفسه ، حين يؤكد استمرار النضال لتحقيق الطموحات الكبيرة التي صاغها بعد تحقق مطلب السلطة الوطنية في جزء من أرض فلسطين ، مع ملاحظة أن بعض فرقاء الرفض الفلسطيني كانوا يعتبرون السلطة الوطنية المستقلة على جزء من أرضها مطلباً متواضعاً !

النقطة التاسعة : « تناضل منظمة التحرير من أجل تعزيز تضامنها مع البلدان الاشتراكية وقوى التحرر والتقدم العالمية لاحباط كافة المخططات الصهيونية الرجعية الامبريالية » .

هذه الدعوة المعبر عنها هنا للنضال في هذا الاتجاه اكتسبت معنى جديداً في ضوء الاتجاه الجديد الذي صاغه البرنامج ، وهو معنى يتصل بمواقف الدول الاشتراكية من مسألة التسوية . ولكي ندرك هذا المعنى الجديد يجدر أن نلاحظ كيف برز بعد حرب تشرين ، أكثر مما

كان قبلها ، اتجاهان دوليان متباينان : أولهما اتجاه الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الأخرى التي رأت أن الوقت قد حان من اجل تحقيق تسوية تقوم على الاستجابة للمطالب العربية وفي صلبها : انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في حزيران ١٩٦٧ ، وضمان الحقوق الوطنية المشروعة لشعب فلسطين وبضمنها حقه في اقامة دولته الخاصة به(٢٠) . وثانيهما اتجاه الولايات المتحدة الاميركية التي أبدت موافقة على الأساس الأول وتمسكت برفض الأساس الثاني ، ثم رفضت بصورة باتة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية التي صار الاتحاد السوفياتي يعترف بها ممثلة للشعب الفلسطيني ومسؤولة عن صياغة مستقبله . وبينما ظلت الولايات المتحدة ترفض أن تنظر لقضية فلسطين بمقياس غير الذي نظر وفقه القرار ٢٤٢ المرفوض من منظمة التحرير ، كان الاتحاد السوفياتي يأخذ على عاتقه مهمة تنشيط المبادرات التي تظهر في الساحة الفلسطينية باتجاه،قبول المشاركة في مجهودات التسوية ، ويوسع اتصالاته مع الفلسطينيين ولا يخفي عدم ارتياحه لطروحات الرفض التي اعتادت الأدبيات السوفياتية أن تصفها بأنها متطرفة ، لأنه ، على النقيض من الولايات المتحدة يدعو للنضال من اجل اشراك م.ت.ف.كطرف متساو في الحقوق مع الاطراف الأخرى في مجهودات التسوية . في ضوء ذلك فان تأكيد النقطة التاسعة من البرنامج على الدعوة للنضال من اجل تعزيز التضامن ، وليس العلاقات فقط ــ مع الدول الاشتراكية اكتسب معناه الجديد وهو الاستجابة لطروحات الاتحاد السوفياتي ، على نحو أو آخر ، حول الأمور الملموسة التي كانت مثارة آنذاك ، واخصها المشاركة في مجهودات التسوية استنادا الى دعمه هو بالذات ودعم الدول والأطراف الأخرى التي تؤيد وجهة نظره .

النقطة العاشرة : « على ضوء هذا البرنامج تضع قيادة الثورة التكتيك الذي يخدم ويمكن من تحقيق هذه الأهداف » .

وهو نص كان ايراده سيعتبر من باب تحصيل الحاصل لو وضع في ظروف غير الظروف التي احاطت بصياغة واقرار البرنامج المرحلي . أما في هذه الظروف التي ساد فيها الاحساس بأهمية التوجه الجديد وبخطورة المجازفة في المضي فيه والدخول في مساعي التسوية ، وما اكتنف ذلك كله من شكوك متبادلة ، فان النص على حق قيادة الثورة في وضع التاكتيك الذي يحقق البرنامج جاء بمثابة تفويض للقيادة بالتصرف ، أصرت هي على الحصول عليه .

ويستوقفنا هنا أن البرنامج منح التفويض لــ « قيادة الثورة » وليس للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تحديدا،علما بأن المجلس الوطني الذي صادق عليه هو واحدة من مؤسسات المنظمة تنبثق عنه اللجنة التنفيذية وليس قيادة الثورة . وهذا يعني اقرارا يكاد يكون صريحا من قبل المجلس بان قيادة الثورة ليست هي اللجنة التنفيذية التي ينتخبها ، وانما هي شيء غير ذلك او اوسع من ذلك . ومن الصعب ان نحدد ، او ان تحدد اية جهة اخرى تحديدا دقيقا كل الدقة المعنى الذي يعنيه هذا التعبير ، قيادة الثورة . انما يظل من الممكن استقراء ذلك من الواقع الذي يبين ان القرارات المصيرية الهامة ، وبينها قرار وضع هذ البرنامج وعرضه على المجلس للمصادقة عليه ، كانت تتخذ بين قادة المنظمات الفدائية بصرف النظر عما اذا كانوا اعضاء او غير اعضاء في اللجنة التنفيذية ، وعدد منتقى من القادة الاخرين . وهناك اثنان من الامناء العامين لمنظمات فدائية ليسا فلسطينيين ، ولا يحق لهما بالتالي ان يكونا اعضاء في

مؤسسات منظمة التحرير بما فيها المجلس الوطني ، ومع ذلك فهما يشتركان في صياغة قرارات الثورة الهامة ، ويعدان من بين الاعضاء المقصودين عندما يستخدم تعبير قيادة الثورة من قبل مؤسسات م.ت.ف.

وزيادة على النقاط العشر التي تضمنها مشروع البرنامج المقدم الى المجلس الوطني أضاف هذا ، فقرة جديدة لم تأخذ رقماً في البرنامج ، وبهذه الاضافة لم يترك المجلس التفويض الممنوح لقيادة الثورة بالتصرف مفتوحاً . ونص الاضافة هو « هذا وتعمل اللجنة التنفيذية على وضع هذا البرنامج موضع التنفيذ [تحصيل حاصل] واذا نشأ موقف مصيري يتعلق بمستقبل الشعب الفلسطيني فعندئذ يدعو المجلس الى دورة استثنائية للبت فيه » . وكان فهم الأطراف المتعددة للمقصود بالموقف المصيري متفاوتاً . فقد فسره البعض على أساس أن الاشتراك في مؤتمر جنيف ، أي في مجهودات التسوية ، معبراً عنها بالمؤتمر ، تقتضي مثل هذه العودة للمجلس ، وفسره آخرون على أساس أن البت بالمسائل المرتبطة بالسلطة الوطنية هي التي تقتضيها .

وبعد مناقشات استغرقت أسبوعاً بكامله صادق المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشرة على البرنامج ، وجاءت المصادقة عليه بما يشبه الاجماع . وقد صوت ضده أربعة أعضاء فقط ينتمون لاتجاهات متعددة ، أي أن المعارضة لم تعكس موقف أي فريق من الفرقاء الممثلين في المجلس الوطني(٢١) .

بعد اقرار البرنامج

توج اقرار البرنامج خلاصة التطورات السياسية التي شهدتها الساحة الفلسطينية خلال عشر سنوات من عمر منظمة التحرير . ووضع الحركة الوطنية الفلسطينية ، لأول مرة في تاريخها ، على بداية نهج ايجابي للعمل الوطني حل محل نهج الرفض السلبي الذي اشتهرت به . وفتح امام العمل الوطني الفلسطيني آفاقاً لم يسبق أن انفتحت على هذا النحو من الاتساع الذي تلاه . وصارت مطالبه مفهومة من أوساط متزايدة من الرأي العام العربي والدولي والعالمي . وأعطى لأصدقاء الثورة الفلسطينية الدوليين دفعة جديدة ، لكي يستند دعمهم لها على أسس معقولة يستطيعون الدفاع عنها . ومهد اقرار البرنامج بما يشبه الاجماع الطريق أمام مزيد من الانتصارات السياسية .

وذهب وفد المنظمة الى مؤتمر القمة العربية السابعة (الرباط ، تشرين الأول ١٩٧٤) مسلحاً ببرنامج النقاط العشر أي بقرار النضال من اجل السلطة الوطنية المستقلة ، وبالاجماع الفلسطيني عليه . وعالج المؤتمر بامعان شديد الخلاف الفلسطيني ــ الأردني حول مسألة تمثيل الشعب الفلسطيني وبت فيه لصالح منظمة التحرير ، وأصدر قراره الشهير بهذا الصدد . وهو القرار الذي أكد أيضا حق الشعب الفلسطيني في العودة الى أرضه وتقرير مصيره ، وحقه في اقامة سلطته الوطنية المستقلة بقيادة منظمة التحرير ، وجدد تأكيد صفة المنظمة كممثل شرعي وحيد لشعب فلسطين ، ومسؤوليتها عن صياغة مستقبله . وهو الذي الزم الدول العربية بمساندة مطلب اقامة السلطة الوطنية المستقلة على أي جزء يتحرر من الارض الفلسطينية ، ودعا للحفاظ على الوحدة الوطنية الفلسطينية ، واعلن التزام الدول

العربية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للعمل الفلسطيني(٢٢) .

وبهذا القرار تمت الاستجابة العربية ، معبراً عنها في وثيقة على مستوى القمة ، لنص ومضمون المادة ٢٦ من الميثاق الوطني الفلسطيني التي تعتبر منظمة التحرير هي المسؤولة « عن حركة الشعب العربي الفلسطيني في نضاله من اجل استرداد وطنه وتحريره والعودة اليه وممارسة حق تقرير المصير فيه ، في جميع الميادين العسكرية والسياسية والمالية ، وسائر ما تتطلبه قضية فلسطين على الصعيدين العربي والدولي »(٢٣) .

ثم ذهب وفد منظمة التحرير بعد ذلك بقليل (تشرين الثاني ١٩٧٤) ليشترك في مناقشات الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة ، تطبيقاً لقرار اتخذته الجمعية سمح للمنظمة بأن تشترك في مناقشاتها لقضية فلسطين . وكان هذا الوفد ، الأول من نوعه ، مسلحاً ببرنامج النقاط العشر ، وبالاجماع العربي على قرار قمة الرباط وبالجهود التي بذلتها الدول العربية في سياق تطبيقه ، وبالتأييد الدولي المتزايد للمنظمة وللمطالب الفلسطينية . وفي الأمم المتحدة خاطب ياسر عرفات ممثلي دول العالم في الجمعية العامة ، ممن استقبلوه بحفاوة ملفتة للنظر ، بقوله : « أتوجه اليكم أن تقفوا مع نضال شعبنا من اجل تطبيق حقه في تقرير مصيره ، هذا الحق الذي كرسه ميثاق منظمتكم ، وأقرته جمعيتكم الموقرة في مناسبات عديدة . وانني أتوجه اليكم أيضاً أن تمكنوا شعبنا من العودة من منفاه الاجباري ، الذي دفع اليه تحت حراب البنادق وبالعسف والظلم ، ليعيش في وطنه ودياره وتحت ظلال أشجاره حراً سيداً متمتعاً بكافة حقوقه القومية ، ليشارك في ركب الحضارة البشرية وفي مجالات الابداع الانساني بكل ما فيه من امكانيات وطاقات ، وليحمي قدسه الحبيبة كما فعل عبر التاريخ ويجعلها مثله حرة لجميع الأديان بعيداً عن الارهاب والقهر » . وقال أيضاً : « أتوجه اليكم بأن تمكنوا شعبنا من اقامة سلطته الوطنية المستقلة وتأسيس كيانه الوطني على أرضه » . وأعلن . « لقد جئتكم بغصن الزيتون مع بندقية الثائر ، فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي »(٢٤) .

وبعد المناقشة أصدرت الجمعية العامة (١٩٧٤/١١/٢٢) قرارها ذا الرقم ٣٢٣٦ الذي أشرنا إليه سابقا والذي تضمن في حيثياته الاقرار بأن منظمة التحرير هي ممثلة الشعب الفلسطيني . ونص على أن الجمعية العامة تؤكد الحقوق الثابتة لشعب فلسطين ، وهي طبقا لنص القرار .

« أ ــ حقه في تقرير المصير دون أي تدخل خارجي ،

ب ــ حق الاستقلال الوطني والسيادة ،

حـ ــ حق الفلسطينيين الذين طردوا من دياهرم وممتلكاتهم منذ العام ١٩٤٧ بالعودة اليها » . ودعا القرار الى عودتهم في اقرب وقت ممكن(٣٥)

بقي أن نقول أن اقرار البرنامج السياسي المرحلي ، الذي افتتح مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ، لم يلغ بطبيعة الحال الخلافات التي كانت قائمة حول بنوده بين فرقاء منظمة التحرير ، وقد رأينا كيف انعكست هذه الخلافات حتى داخل البرنامج ذاته في الصياغات الملتوية التي وضعت للتوفيق بين أفكار متعارضة . وهذه الخلافات عادت تعبر عن نفسها حتى منذ الأيام الأولى التي تلت اعلان البرنامج للرأي العام ، في حوار أخذ في بعض

الحالات اشكالا حادة . غير ان ذلك كله لا يلغي الحقيقية التي اكدها اقرار المجلس الوطني للبرنامج ، وهي ان الغلبة على ساحة الفكر السياسي الفلسطيني الوطني قد تأكدت منذ ذلك الحين للمواقف الجديدة التي عبر عنها البرنامج صراحة أو موارية ، أي للمواقف الايجابية التي اكدت أنصع ما في وجه الحركة الوطنية الفلسطينية وهو عدالة قضيتها ، وأهلية هذه العدالة لأن تصبح مفهومة على أوسع نطاق حين يتولى الفلسطينيون طرحها على النحو الذي يحقق التوازن بين العدالة المطلقة وبين المطالب العادلة في كل مرحلة من مراحل النضال ، وفق طبيعة تلك المرحلة ومنطقها ووفق موازين القوى القائمة فيها .

---

(١) **قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤** ، مراجعة وتحقيق د . جورج طعمة ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز الوثائق والدراسات ، أبو ظبي ، **الطبعة** الثانية ١٩٧٥ ، ص ٢١٠ .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع ، مثلا ، **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٤** ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٧ فصل حركة المقاومة الفلسطينية ، ص ٤ وما بعدها .

(٣) راشد حميد ، **مقررات المجلس الوطني الفلسطيني ١٩٦٤ ـ ١٩٧٤** ، بيروت ، مركز الأبحاث ١٩٧٥ ، ص ٣٦ .

(٤) عربي عواد ، عضو قيادة التنظيم الشيوعي للحزب الشيوعي الأردني في الضفة الغربية ، عضو المجلسين الوطني والمركزي في م . ت . ف . (مقابلة شخصية ، تموز ١٩٧٩) .

(٥) راجع نصه في **الهدف** (بيروت) ، ١٩٧٣/٩/٢٩ .

(٦) نص الرسالة في **محفوظات مركز الابحاث** ، بيروت .

(٧) محمود عباس (أبو مازن) ، عضو اللجنة المركزية لفتح (مقابلة شخصية ، أيار ١٩٧٩) ، وعواد ، **مصدر سبق ذكره** .

(٨) عباس ، **المصدر نفسه** .

(٩) راجع بهذا الصدد موقف الجبهة مفصلا كما عرضته سبعة مقالات نشرتها **الحرية** (بيروت) تحت عنوان : المسألة الوطنية بين اليسار الحقيقي والتطرف اللفظي ، بين ١٩٧٣/١١/٧ ، و ١٩٧٣/١٠/٨ . وراجع أيضا حديث نايف حواتمه ، الأمين العام للجبهة الشعبية الديمقراطية وردوده على أسئلة الجمهور ، في **المصدر نفسه** ١٧و ١٩٧٣/١١/٢٤ .

(١٠) نص البلاغ الذي أصدرته اللجنة المركزية عن اجتماعها هذا في ١٩٧٣/١١/١٧ في **محفوظات مركز الأبحاث** ، بيروت .

(١١) نص المذكرة في **المصدر نفسه** .

(١٢) نص التقرير في **المصدر نفسه** .

(١٣) حميد ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٢٩ .

(١٤) نصت الفقرة ب من القرار على « انهاء جميع ادعاءات أو حالات الحرب ، واحترام سيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة والاعتراف بذلك ، وكذلك استقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرة من التهديد أو أعمال القوة » بينما نصت الفقرة أ على « سحب القوات المسلحة الاسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في النزاع الأخير » أي في حرب حزيران ١٩٦٧ . راجع النص الكامل للقرار في : قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والنزاع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤ ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٦٧ .

(١٥) نصه الكامل في **المصدر نفسه** ، ص ٤ وما بعدها .

(١٦) راجع نصه الكامل في قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤ ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٤ .

(١٧) كراس **ياسر عرفات في الأمم المتحدة** ، بيروت ، دار القدس ، بلا تاريخ ، ص ٢٤ .

(١٨) **المصدر نفسه** ، ص ٢٥ .

(١٩) راجع ، مثلا ، توصيات اللجنة السياسية للدورة الاستثنائية (العاشرة) في حميد ، **مصدر**

سبق ذكره ، ص ٢٠٥ ، والبرنامج السياسي المقر من الدورة الحادية عشرة في **المصدر نفسه** ، ص ٢٣١ .

(٢٠) راجع بهذا الصدد حديث ياسر عرفات لمجلة **شؤون فلسطينية** ، أيلول ١٩٧٤ . وراجع أيضا نص البيان المشترك حول محادثات وزيري خارجية سوريا والاتحاد السوفياتي الذي صدر في ١٩٧٤/١/٢٥ في **الوثائق العربية ١٩٧٤** ، بيروت ، مكتبة نعمة يافت والجامعة الأميركية ١٩٧٧ ، ص ٢٢٩ .

(٢١) الأعضاء الأربعة هم د . سعيد حمود وهو من الجبهة الشعبية ، وناجي علوش من فتح ، وكلاهما من الكتاب ، ويوسف الخطيب وهو عضو قديم في حزب البعث العربي الاشتراكي دخل المجلس بصفة مستقل وهو شاعر وصاحب دار نشر ، ورفعت النمر وهو صاحب ومدير بنك بيروت للتجارة وعضو مجلس ادارة البنك العربي .

(٢٢) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢ ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١١٣ .

(٢٣) حميد ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٢٥ .

(٢٤) ياسر عرفات في الأمم المتحدة ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٦ .

(٢٥) راجع نصه الكامل في قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والنزاع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤ ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٥٥ و ١٥٦ .

محمود اللبدي

التضامن العالمي والانفتاح الاوروبي على القضية الفلسطينية

لم تعد فلسطين منبوذة كما كانت عليه في السابق . لقد تغير العالم منذ ثلاثين عاماً حتى الآن ، وتغيرت معه موازين القوى الدولية التي كانت سائدة في ذلك الوقت . ومع تغير الموازين الدولية لصالح الشعوب المقهورة في العالم الثالث ، بدأت النظرة الى فلسطين تتغير أيضاً . لقد فرض تحرر الشعوب مفاهيم جديدة على العالم الرأسمالي الغربي مما اضطر دوله الصناعية والغنية الى أن تغير في مواقفها تجاه الدول النامية وقضاياها السياسية والاجتماعية . كما أن مصالحها وارتباطاتها بدأت تفرض عليها أن تغير وجهة نظرها لصالح القضية الفلسطينية ، التي كانت معزولة ، بل وغير موجودة في قاموسها السياسي .

لقد أطلقت البندقية الفلسطينية شرارة التغيير في الشرق الأوسط ، ولا بد لهذا العالم أيضا أن يتغير وان ينتصر للحق ضد الظلم والاضطهاد والاستغلال . ولا بد للعقل الفلسطيني من أن يغير ليس فقط الرأي العام الدولي لصالح الحق الفلسطيني والنضال الفلسطيني العادل فحسب ، بل لا بد من تغيير موازين القوى في هذه المنطقة والتي رسخها وحافظ عليها الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، لكي تخدم مصالحهم المعادية للحق والحرية . ومما لا شك فيه أن مجموعة النضالات الفلسطينية ، عسكرية وسياسية ودبلوماسية ، قد أسهمت ولا تزال تسهم في تغيير الرأي العام الغربي لصالح القضية الفلسطينية . فالتضامن العالمي مع فلسطين آخذ في النمو والازدياد . ومع زيادة الوعي بالجوانب المختلفة للقضية الفلسطينية ، وخصوصاً بالجانب الانساني منها ،يزداد التعاطف مع فلسطين . ومع زيادة التعاطف العالمي مع الحق الفلسطيني يقل التعاطف مع الدولة الصهيونية الغاصبة . فالمستقبل دائما للشعوب التي تقاتل من اجل حقها وحريتها ، فمن له قضية عادلة كقضية فلسطين ، وعلى استعداد للقتال من أجلها ،فلا بد أن يكون النصر حليفه .

نظرة تاريخية

نشطت الحركة الصهيونية منذ نشأتها في نهاية القرن الماضي في مجال اجراء الاتصالات مع القوى العظمى في ذلك الوقت ، لاقناعها بالفكرة الصهيونية القائلة بتهويد فلسطين . وكان

من أهم الشعارات التي استعملتها الحركة الصهيونية ونشرتها بكثرة لاقناع الرأي العام بالفكرة الصهيونية هو « حل المسألة اليهودية » . أي أن حل المسألة اليهودية لا يمكن أن يتم الا اذا تأسست دولة خاصة باليهود ، يعيشون فيها بعيداً عن الملاحقة والاضطهاد اللاحق بهم في أوروبا الشرقية .

ومن جهة أخرى ، فقد سعت الحركة الصهيونية إلى ربط هذه الدولة « اليهودية » المنتظرة بمصالح الدول الكبرى والمسيطرة في ذلك الوقت ، ولهذا سعى تيودور هرتسل للاتصال بالاتراك العثمانيين ، وذهب إلى اسطنبول ، وعرض على السلطان التركي عبد الحميد ذهباً وأموالا اذا وافق على « تهويد » فلسطين . وبعد أن فشل في مساعيه لدى الاتراك العثمانيين ، ذهب هرتسل نفسه الى القيصر الالماني فلهلم ، وكان حليفاً للاتراك في ذلك الوقت ، وعرض عليه ، أن يربط مصالح الدولة الصهيونية بالمصالح الالمانية ، على أن تكون هذه الدولة ناطقة باللغة الالمانية ، ولكن من دون جدوى . وبعد وفاة هرتسل مؤسس الحركة الصهيونية في العام ١٩٠٤ ، تابع قادة الصهاينة مساعيهم الجادة لبلوغ هدفهم .

وبعد ان فشلوا في مساعيهم لدى محور الوسط (التحالف الالماني العثماني) ، ارتد الصهاينة الى الحلفاء الغربيين (خصوم محور الوسط) لمتابعة مساعيهم في تهويد فلسطين . فجاءت الحرب العالمية الأولى ووجد الصهاينة الفرص سانحة للاستفادة من هذه الحرب لبلوغ أهدافهم . فالتقت المصالح البريطانية الاستعمارية بالاطماع الصهيونية لتهويد فلسطين . وفي معاهدة سايكس ــ بيكو ١٩١٦ ــ حرص البريطانيون على الاستئثار بفلسطين ، وجعلوها من حصتهم في عملية تقسيم تركة الرجل المريض الرابض على البوسفور ، وحاكم المشرق العربي .

وهنا لا بد من طرح السؤال الآتي : هل كانت بريطانيا العظمى ، كدولة استعمارية في ذلك الوقت ، حريصة على حل المسألة اليهودية في اوروبا ؟ بالتأكيد لا .

طبعا ليس للاطماع البريطانية اي مصلحة في حل المسألة اليهودية ــ كما أن بريطانيا « العظمى » كدولة استعمارية لم يكن يعنيها من يقتل وكم يقتل من اليهود الأوروبيين . كما أن الاستعمار والامبريالية بشكل عام لا يهمها عدد القتلى والجرحى من يهود أو غيرهم ، فالرأسمال لا يعرف الانسانية والامبريالية لا يهمها سوى الارباح والأموال ومضاعفتها . فعلى سبيل المثال لم تهتم الامبريالية الامريكية بعدد القتلى والجرحى والمشردين من الشعب الفيتنامي ابان الحرب الشرسة لاخضاع فيتنام . والامبريالية الامريكية والاستعمار الاستيطاني الصهيوني لا يهمه كم عدد القتلى والجرحى الفلسطينيين واللبنانيين في جنوب لبنان وفي فلسطين سابقاً .

ولذلك فان الدعم البريطاني لتهويد فلسطين لم يكن بسبب الحس الانساني لدى الامبراطوريةالبريطانية، أو من أجل انقاذ اليهود المعذبين والملاحقين في أوروبا . لقد دعمت بريطانيا الفكرة الصهيونية لاسباب سياسية محضة ، تصب كلها في خدمة الاطماع الاستعمارية البريطانية .

للغرب مصلحة قديمة في زرع الشقاق في العالم العربي ، كما أن سياسة « فرق تسد » هي شعار استعماري قديم طبقته بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط لخدمة مصالحها . ان

انتزاع فلسطين من السيادة العربية ، وزرع جسد غريب فيها ، هو من صميم السياسة الاستعمارية . فهو يفصل المشرق العربي عن مغربه ، بالاضافة الى ذلك فهو يؤمن الممرات الاستراتيجية التي تستخدمها بريطانيا للوصول الى مستعمراتها في الهند وشرق آسيا . كما أن انتزاع فلسطين من المشرق العربي يصب في خدمة الأهداف والاطماع الاستراتيجية والاقتصادية الأخرى لبريطانيا في المنطقة .

قطعت حكومت جلالة الملكة البريطانية عهدا باعطاء اليهود وطنا قوميا في فلسطين. وجاء ذلك على لسان وزير خارجية بريطانيا العظمى بلفور إلى صاحب البنوك الصهيوني الثري اللورد روتشلد . وعائلة روتشلد معروفة بثرائها ، حيث تملك بنوكاً في بريطانيا وفرنسا . وبالرغم من أن روتشلد لم يكن زعيم الحركة الصهيونية في ذلك الوقت ، الا أن قطع العهد البريطاني الى الرجل الثري يدل دلالة واضحة على أن الصهاينة قد دعموا بريطانيا بالأموال لتمويل الحرب ، أو جزء منها ، ضد محور الوسط في ذلك الوقت . ومعروف أيضا بأن الحركة الصهيونية وضعت جنودا بتصرف بريطانيا ليحاربوا معها ضد محور الوسط ، ومكتشفات علمية حديثة استخدمت في الحرب العالمية الأولى .

ان قطع العهد البريطاني للصهيونيين بمنحهم وطناً قومياً في فلسطين لم يكن بلا مقابل ، ولم يكن لأسباب انسانية كما قلنا في السابق ، وانما كان نتيجة لصفقة بين الحركة الصهيونية وبريطانيا العظمى. كما كان تعبيراً عن اهداف مشتركة وارتباط المصالح البريطانية والصهيونية في المشرق العربي . ولو كانت بريطانيا مهتمة بالنواحي الانسانية لحرصت أيضا على مستقبل الشعب الفلسطين والمآسي والويلات التي ستحل به ، فيما اذا طرد من وطنه ، وشرد في معسكرات اللاجئين .

استفاد الصهيونيون من فترة الانتداب البريطاني التي ابتدات عمليا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى . ومنذ العام ١٩١٨ ، بدأوا يعملون بشكل منظم على زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين وتمويلها من قبل صندوق المال اليهودي الذي أقر تأسيسه اثناء انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل ١٨٩٧ .

لقد وصل عدد اليهود المهاجرين الى فلسطين عام ١٩٣١ الى ١٧٤,٦٠٦ نسمة ، ولكن هذا العدد تصاعد بشكل محلوظ منذ أن استلم هتلر الحكم في المانيا ، في العام ١٩٣٣ ، وبدأ بملاحقة اليهود واعتقالهم . لقد وجد الصهيونيون ضالتهم المنشودة في هتلر الذي بدأ باضطهاد اليهود ، وهذا مما شجع على زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين . فقد عقد قادة الحركة الصهيونية اتفاقاً مع النظام النازي بتهجير اليهود الالمان الى فلسطين . وهذا مما زاد عدد المهاجرين اليهود بشكل ملحوظ ، حيث وصل في العام ١٩٤٤ الى ما يزيد عن نصف مليون ، أي ٥٢٨,٧٠٢ نسمة .

واستفادت الحركة الصهيونية من النظام النازي ، ليس فقط لاجتذاب المهاجرين اليهود الى فلسطين ، ولكن لكسب الرأي العام العالمي أيضا . وهنا بدأت قضية حل المسألة اليهودية تطرح نفسها من جديد ، بعد أن هدأت لفترة تزيد عن الثلاثين عاماً . استفادت الحركة الصهيونية من الحقبة النازية الى أبعد الحدود ، حيث نشطت لتحريك الرأي العام العالمي .

وبدأت تنشط بشكل ملحوظ داخل الولايات المتحدة ، حيث هاجر عدد كبير من يهود أوروبا . إن تحريك الجانب الانساني لدى الشعوب الاوروبية والامريكية قد زاد من دعم هذه الشعوب للاطماع الصهيونية وأهدافها في تهويد فلسطين ، دون النظر لما قد يحل بسكان فلسطين الاصليين . وما من شك في أن بريطانيا قد وجدت نفسها في وضع يشجعها على فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ، بالرغم من احتجاج سكان البلاد الاصليين المتزايد ضدها . لقد بدأ الفلسطينيون يشعرون بزيادة الخطر الذي يتهددهم من جراء هذه الهجرة ومن تصرفات هؤلاء المهاجرين واستعداداتهم العسكرية وشراء الأراضي وبناء المستوطنات . ومن أجل ذلك فقد استخدم الصهيونيون نفوذهم في الولايات المتحدة للضغط على بريطانيا وخصوصا في عهد الرئيس الامريكي ترومان .

اسرائيل والغرب

اذا استعرضنا فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، وخصوصا اذا نظرنا الى الانتفاضات الفلسطينية ضد الهجرة الصهيونية من جهة ، والانتداب البريطاني من جهة أخرى ، فسنجد أن فلسطين وقعت ضحية التآمر الدولي عليها وعلى سكانها مما خدم المطامع الصهيونية والأهداف البريطانية . ففي فترة الانتداب البريطاني ازداد التكالب الدولي على فلسطين خصوصا إذا نظرنا الى ما دار داخل أروقة الأمم المتحدة من تآمر وتواطؤ مع الحركة الصهيونية . فمن ورقة بيضاء إلى ورقة سوداء ، ومن لجنة تقصي الحقائق الى أخرى لكي تقضي على ما في داخل فلسطين من ثورات وتذمرات وصدامات وتمكين الصهيونيين من فرض سيطرتهم عليها ، يساعدهم في ذلك تواطؤ الدول الكبرى مع أهداف الحركة الصهيونية .

ومما لا شك فيه أن اسرائيل تعتبر ، بكل تأكيد ، وليدة للغرب ، وخادمة لاطماعه في المنطقة العربية . واذا ما نظرنا الى التوازنات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية ، فانها ولا شك قد لعبت دوراً حاسماً في انشاء دولة اسرائيل في فلسطين . لقد انتصر الحلفاء على الحلف النازي ـ الياباني ـ الفاشي ، ولهذا فقد كان للدول المنتصرة الدور الحاسم في تأسيس دولة اسرائيل . وعندما وصلت قضية فلسطين الى مرحلة التقسيم في عام ١٩٤٧ كان عدد الدول المستقلة في ذلك الوقت والتي تتمتع بعضوية الأمم المتحدة ٥٦ دولة . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، صوتت ٣٣ دولة لصالح التقسيم ، و ١٣ دولة عارضت التقسيم وامتنعت ١٠ دول عن التصويت .

ونظرة الى هذا التقسيم الجائر ترينا أنه أعطى السكان العرب الأصليين ٤٤ ٪ من مساحة أرضهم بينما أعطى المهاجرين اليهود الغرباء ٥٦ ٪ من مساحة فلسطين ، هذا مع العلم بأن عدد سكان فلسطين العرب كان يبلغ في ذلك الوقت حوالي ٠٠٠ ٢٠٠ ,١ نسمة بينما يبلغ عدد المستوطنين اليهود حوالي ٠٠٠ ,٦٠٠ ألف . أي ظلم هذا الذي يرتكب بحق فلسطين وشعبها ويبارك بشرعية دولية ؟ فمن الذي منح هذه المؤسسة الدولية الحق بتشريد شعب وتقسيم وطنه بينه وبين مستوطنين غرباء ؟ ولكن الحقيقة هي أن هذه الصورة كانت تعكس الموازين الدولية السائدة في ذلك الوقت والتي نتجت عن الحرب العالمية الثانية . فاذا كانت الحرب العالمية الأولى قد وضعت الحجر الاساسي في بناء الدولة الصهيونية فان الحرب العالمية الثانية قد أكملت هذا البناء وأعطته الشرعية الدولية السائدة في ذلك الوقت .

لقد وافقت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية ، أي أوروبا الغربية ودول المعسكر الاشتراكي وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية . وهي الدول الصناعية على انشاء الدولة الصهيونية في فلسطين . ولم يفكر الا أقلها في ذلك الوقت بما قد يحل بشعب فلسطين من مآس وويلات . واذا كان الغرب قد وافق على تأسيس دولة صهيونية في فلسطين للأسباب التي ذكرناها سابقاً ، أي لتقسيم العالم العربي ، ولخدمة المصالح السياسية والاستراتيجية والاقتصادية فلا بد من تفحص الاسباب التي حملت دول الشرق الاشتراكي على الاعتراف بهذه الدولة المصطنعة . فلا أحد ينكر التعاطف العالمي مع اليهود من جراء الويلات التي عانوها على أيدي النازية ، ولكن يظهر أن الغياب العربي عن الساحة الدولية حيث أن الدول العربية كانت ضعيفة ومستعمرة سياسياً واقتصادياً ترك المجال للصهاينة يسرحون ويمرحون ويقنعون الشرق والغرب بأهدافهم ومطامعهم .

تأسيس دولة اسرائيل عام ٤٨ والرأي العالمي

لقد نظر العالم بارتياح الى تأسيس دولة اسرائيل على أرض فلسطين في عام ٤٨ . كما أن الرأي العام الدولي المتأثر بالدعاية الصهيونية وبالجرائم النازية ضد اليهود قد نظر بعطف الى الدولة الصهيونية وأيدها . ودخل شعب فلسطين المشرد طي النسيان ، ولم يكترث بمعاناته أحد . وللتخفيف عن الرأي العام من عبء ذنب جديد أو ظلم جديد ذهبت الدعاية الصهيونية تقول للعالم أن فلسطين كانت فارغة ، وأرضها بلا شعب ، وهذا مما دعا العالم شرقه وغربه الى تأييد الدولة الصهيونية . لقد حرص الغرب والشرق على اسرائيل كما يحرص الانسان على بؤبؤ عينه ، وكل من يطعن بوجود اسرائيل وبحقها في البقاء والاستمرار كان منبوذاً أو صوتاً في الصحراء ، الا أن الغرب أخذ يدعمها بالمال والسلاح . وقد استفادت اسرائيل من عقدة الذنب لدى الشعب الالماني ، وحصلت نتيجة لذلك ونتيجة للضغط الغربي على المانيا الاتحادية على دعم كان العامل الحاسم في تطوير ونمو الدولة الصهيونية الجديدة في ذلك الوقت (مجموع ما حصلت عليه اسرائيل من المانيا الاتحادية ٢٣ مليار مارك غربي حتى عام ١٩٦٨) .

وما من شك في أن الدول العربية قد أسهمت بقسطها الهام في دعم الدولة الصهيونية ، فأمدتها بالسكان ، أي باليهود العرب حيث يبلغ عدد السكان اليهود الشرقيين الآن حوالي ٦٠ ٪ من سكان اسرائيل . بالاضافة الى ذلك فقد حافظت هذه الدول على حدود اسرائيل ومنعت أي عمل فدائي من عبور الحدود للقيام بأي عمل عسكري ، ضد الدولة الغاصبة والمعتدية . ولا نريد هنا أن نهاجم الدول العربية ولكن هنا يصدق المثل القائل « الجاهل عدو نفسه » . والدول العربية السبع في عام ٤٨ والتي كانت مستقلة اسماً في ذلك الوقت ، لم يكن لأولي الأمر فيها حول ولا قوة ولا حتى حرية القرار . أضف الى ذلك الجهل والتخلف الموروث عن الامبراطورية العثمانية التي تخلفت عن الركب الحضاري والتكنولوجي ما يزيد عن مائتي سنة . والعرب بعد ذلك الجيل كانوا لدرجة كبيرة اميين، لا يقرأون ولا يكتبون ، بينما المهاجرون الصهيونيون جاءوا الى المنطقة من مناطق أرقى علماً وحضارة وتقدماً ، ولهذا فقد وجدوا عدواً سهلا . أضف الى ذلك تآمر الدول الكبرى على شعبنا وبلدنا ومنطقتنا .

الرأي العام العالمي المعادي للعرب : حرصت اسرائيل على أن ترسم لنفسها صورة معينة في أذهان الغربيين ، وما من شك في أن هذه الصورة « Image » التي نمتها وغذتها الدعاية الصهيونية قد خدمت اسرائيل لفترة طويلة ولا تزال رواسبها باقية في أذهان الاوروبيين حتى الآن . فالصورة التي روجتها الدعاية الصهيونية لنفسها ولاعدائها كانت على النحو التالي :

١ ــ اسرائيل ضعيفة أمام قوة العرب الهائلة (خصوصا أيام عبد الناصر) .
٢ ــ اسرائيل صغيرة أمام انتشار الأراضي العربية من المحيط الى الخليج .
٣ ــ اسرائيل متقدمة أمام التخلف العربي .
٤ ــ اسرائيل ديمقراطية أمام دكتاتورية العرب .
٥ ــ اسرائيل غربية وأوروبية أمام المشرق العربي والمشارقة المسلمين .
٦ ــ اسرائيل تحب السلام أمام العرب الذين يحبون سفك الدماء .
٧ ــ اسرائيل ملجأ لليهود الفارين من معسكرات الاعتقال وأفران الغاز ، بينما العرب ، وخصوصا أيام عبد الناصر ، يلاحقونهم ويريدون رميهم في البحر .

هذه هي الصورة التي بثتها وروجتها الدعاية الصهيونية عن اسرائيل لكي تكسب التعاطف الغربي . وفي المقابل طبعت في أذهان الغرب صورة مغايرة ومغلوطة عن العرب تخدم أهدافهم . فالانسان الغربي يعرف عن العرب ما يسمعه من الدعاية الصهيونية فقط . وما من شك في أن هذه الصورة التي بثتها اسرائيل وروجتها كانت تدعم لحد كبير من قبل أجهزة الدعاية العربية . فكلام العرب أكبر من فعلهم ، فهم فعلا كانوا يتكلمون عن الحرب وان كانوا لا يستعدون لها . فأجهزة الدعاية العربية كانت تصور للغرب وكأن اسرائيل يمكن القضاء عليها بأربع وعشرين ساعة .ومامن شك في أن كلام الانسان المتخلف علمياً وحضارياً وتقنياً دائماً يفوق حجمه الحقيقي . فالعرب الحاليون هم أشبه بابن فاشل لاب عظيم . ونحن العرب الحاليين ابناء تلك الأمة المجيدة التي وصلت فتوحاتها وأمجادها من الاندلس غرباً الى الصين شرقاً . ولهذا فنحن نعيش في عقدة نقص دائمة تزول فقط إذا استعادت هذه الأمة دورها التاريخي .

ولهذا فقد كان الكلام العربي الكبير أكبر مسيء للعرب ومفيد لاسرائيل التى كانت تصيد الأخطاء والهفوات من أجهزة الاعلام العربية . وبالرغم من عدالة قضية فلسطين كان العرب اسوأ مدافعين عنها . واستفاد العدو من ذلك . وترك الرأي العام العالمي فريسة سهلة للدعاية الصهيونية النشطة التي كانت على علم ومعرفة ودراية بكيفية مخاطبة الرأي العام العالمي وطرق كسبه . وهنالك نقطة ساعدت الصهاينة في نشر دعايتهم الكاذبة ضد العرب وتقبل الغربيين لهذه الدعاية وهي العداء التاريخي بين الشرق المسلم العربي وبين الغرب المسيحي . طبعا اذا عدنا للتاريخ فان الغرب يمكن تحريضه بسهولة على المشرق بسبب اختلاف الحضارات هذا اذا ما عدنا الى غزوات الفرنجة على المشرق العربي والتي حملت لواء الصليب منذ ثمانماية عام تقريباً . وهنا لا بد من تذكير الغربيين بأن الحضارة المسيحية التي اعتنقوها هي جزء من حضارة المشرق بل انها تنبع من الشرق . فالسيد المسيح من اصل فلسطيني ولهذا فلا فرق بين الاسلام والمسيحية في الشرق ، فهما حضارتان مكملتان لبعضهما البعض . ولا بد لهاتين

الحضارتين أن تتعاونا مع بعضهما البعض ، ثم انه لا يوجد في هذا العالم حضارة منفصلة انفصالا تاماً عن الأخرى ، لان تاريخ الانسانية واحد وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً عبر العصور منذ بدء التاريخ المعروف لدينا حتى الآن .

حرب ١٩٦٧ وبداية التحول

حافظت اسرائيل على صورتها المتفوقة اعلامياً على العرب ونمت وغذت هذه الصورة حتى جاءت حرب حزيران ٦٧ . وابتهج العالم فرحاً وسروراً لانتصار اسرائيل ولهزيمة العرب ، وزاد من فرح العالم الغربي لانتصار اسرائيل مفاجأته بالنصر الاسرائيلي الذي لم يكن يتوقعه . فحسب كلام أجهزة الدعاية والاعلام لدى الطرف الاسرائيلي والطرف العربي سيكون النصر حتما لصالح العرب . فمسكينة اسرائيل في نظر الدعاية الغربية « وجوع يا سمك » على رأي اذاعة صوت العرب من القاهرة . اذن ما من شك في أن العالم سينتصر للضعيف ضد القوي .

ثم إن العالم العربي نفسه قد صعق لهذه الهزيمة النكراء . فمن كان يتوقع ذلك ؟ لقد كان الجميع ضحية لاعلامنا العربي ، ووصلت المعنويات العربية الى الحضيض بعد الهزيمة ؟ حتى استطاعت المقاومة الفلسطينية بعملياتها الجريئة بعد هزيمة حزيران ان تعيد الثقة الى النفوس وذلك بتصعيد عملياتها العسكرية داخل الأراضي المحتلة . فبدأ الانسان العربي يستعيد ثقته بنفسه رويداً رويداً . وجاءت معركة الكرامة بعد أقل من مرور عام على هزيمة حزيران أي في ٢٣ آذار ١٩٦٨ لكي تعيد بعض الكرامة المهدورة للانسان العربي وتهزم اسطورة السوبرمان الاسرائيلي الذي لا يقهر .

لقد فقدت اسرائيل جزءاً من صورتها التي رسمتها للعالم الغربي بانتصارها الحاسم والخاطف . ولم تعد تلك الدولة الضعيفة المستضعفة والمسالمة . والاحتلال الذي نتج عن تلك الحرب الخاطفة ، وممارسات اسرائيل كدولة احتلال في الاراضي المحتلة ، قد أفقدها بعض التعاطف الأوروبي والامريكي ، بل أفقدها أيضا التعاطف العالمي . وبدأت المقاومة الفلسطينية تأخذ شرعيتها الدولية رويداً رويداً . فالمقاومة الفلسطينية بدأت تشبه وتقارن بالمقاومة الأوروبية ضد الاحتلال النازي ـ وهذا حق مشروع . كما أن تعنت اسرائيل ، ورفضها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ والخلاف الذي دار حول تفسير هذا القرار بالانسحاب من الأراضي المحتلة أو من أراض محتلة ، أفقدها كثيراً من التعاطف الأوروبي والدولي وخصوصا على الصعيد الشعبي .

وبالرغم من نشاط أجهزة الدعاية الصهيونية في مدح الاحتلال وتلميع صورته على أنه احتلال حضاري أو انساني أو ديمقراطي الا أن رفض الفلسطينيين للاحتلال في الداخل والخارج قد فضح اسرائيل أكثر فأكثر . وبدأت المقاومة الفلسطينية تبرز كثورة انسانية وتقدمية وخصوصا في الفترة القصيرة التي عايشت نمو وصعود الثورة الفلسطينية في الأردن حتى عام ١٩٧٠/ ١٩٧١ .

الاعلام الفلسطيني بعد ١٩٦٧

لم يقتصر النشاط الاعلامي للثورة الفلسطينية على الاهتمام فقط بالمناطق المحتلة ١٩٦٧ ولكن بدأت قضية الشعب الفلسطيني ككل تطرح نفسها على الرأي العام العالمي . وبالرغم من

خروج الثورة الفلسطينية من الأردن ولجوئها ولجوء اجهزتها الاعلامية السياسية الى لبنان فقد استطاعت ان تستمر وان تناضل بكافة الوسائل للتعبير عن حقها وعن أهدافها . ولم يعد شعب فلسطين منبوذاً ومجهولا أو مرمياً في غياهب النسيان . لقد بدأ الشعب الفلسطيني يسترد حياته من جديد باعتماد المقاومة المسلحة كوسيلة وحيدة يفهمها الصهاينة واعتماد النضال السياسي والدبلوماسي والاعلامي لشرح القضية الفلسطينية من أولها الى آخرها . ونستطيع أن نقول هنا أن فلسطين قد عادت الى الحياة السياسية والى « الخريطة السياسية العالمية » كما قالها الأخ أبو عمار في المجلس الوطني الثالث عشر في القاهرة في آذار ١٩٧٧ .

لقد تعلمت الثورة الفلسطينية من أخطاء الماضي واقلعت عن استعمال الكلام الكبير الذي يخدم العدو الصهيوني . فبدلا من رمي اليهود في البحر طرحت الثورة الفلسطينية شعار التعايش ضمن دولة ديمقراطية واتبـاع كافة الاديان السماوية . وهذا شعار حضاري متقدم وانساني يتقبله الغرب . وبدلا من الاتهامات التي كانت توجه للعرب على أنهم معادون لليهودية والسامية ، فان شعار الدولة الديمقراطية العلمانيـة أثر تأثيراً كبيراً لدى الرأي العام العالمي في نهاية الستينات وبداية السبعينات . رفضت اسرائيل هذا الشعار على أنه يهدف الى تدميرها ولكنه على الأقل كان متقدماً عن الطروحات السابقة قبل هزيمة ٦٧ .

ومما لا شك فيه أن هذا الشعار الانساني قد أربك الدعاية الصهيونية ووضعها في الزاوية اذ أنها لم تعد تستفيـد من اخطاء العرب السابقة والفاحشة .

لقد قفز الاعلام الفلسطيني قفزة نوعية الى الامام من خلال طروحاته الجديدة ومنطقه الثوري الجديد . ومع هذه الطروحات المتقدمة انتقل الاعلام الفلسطيني من الدفاع الى الهجوم . كان في السابق يرد على هجمات اسرائيل الاعلامية بأسلوب دفاعي ضعيف كمن يرد عن نفسه الاتهام . لقد استطاع الاعلام الصهيوني حتى عام ١٩٦٧ أن يضع العرب في قفص الاتهام ، وكأنهم هم المذنبون وهم الذين قتلوا وسلبوا ونهبوا . ولكن المنطق الثوري الجديد الذي رافق البندقية الثورية استطاع أن يعيد الأمور الى وضعها الحقيقي . فاسرائيل هي المتهمة وهي المذنبة وليس العرب ولا الفلسطينيون، الذين طردوا واضطهدوا وشردوا من أوطانهم .

ومع انتقال الاعلام الفلسطيني من مرحلة الدفاع الى الهجوم بدأت اسرائيل تدافع عن باطلها وتعنتها وتوسعها ، وكان ذلك بحد ذاته انتصاراً كبيراً للقضية الفلسطينية . ان اسرائيل هي الموجودة الآن في قفص الاتهام على الصعيد الدولي ، أما الفلسطينيون فهم الذين يتصدرون ويهاجمون اعلامياً وسياسياً ودبلوماسياً . لقد باتت اسرائيل تستعمل حججاً ضعيفة وغير مقنعة للرأي العام العالمي بل وتستعمل أحياناً حججاً متغطرسة تماما كما كان عليه الوضع العربي قبل حزيران ١٩٦٧ ، مما يثير الاشمئزاز لدى الغربيين نحو اسرائيل ، ويزيد التعاطف مع ا الفلسطينيين وقضيتهم العادلة .

استمرار التحول العالمي لصالح فلسطين : لقد خاضت الأمة العربية حرب تشرين الأول (أو رمضان) في العام ١٩٧٣ . ولا نريد هنا أن ندخل في تفاصيل تلك الحرب أو خلفياتها . ثم تلتها النتائج المخزية والمهينة للأمة العربية جمعاء وهي اتفاقيات كامب ديفيد ، ومعاهدة الصلح الساداتية ـ الاسرائيلية المنفردة .

لم تكن حرب تشرين حرباً تحريرية ، اي لتحرير الأرض المغتصبة ٦٧ أو لتحرير فلسطين، بل كانت حرباً تحريكية محدودة الابعاد للخروج بالمنطقة من الجمود السياسي التي غرقت فيه منذ حرب حزيران ٦٧ . وكما يقول كيسنجر فانه لا بد من تسخين الاجواء السياسية قبل البدء بالمفاوضات .

ومهما تكن الاسباب فقد خلقت حرب رمضان وضعاً سياسياً جديداً بالنسبة للقضية الفلسطينية ولمنظمة التحرير ، وكان لا بد من التعاون مع الواقع الجديد . ما من شك بأن الخلاف الذي دار داخل اطراف منظمة التحرير بين رفض وقبول قد أضعف الساحة الفلسطينية . وهذا مما أفاد العدو الصهيوني على الصعيد الاعلامي ، وجعله يبرز هذا الخلاف وجوانبه وليتغنى به لكي يضعف من مصداقية منظمة التحرير الفلسطينية وحقها الشرعي في تمثيل الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج وليطعن في حقها بالمطالبة بالأرض الفلسطينية كما نص عليه قرار المجلس الوطني في دروته الثانية عشرة في القاهرة في حزيران عام ١٩٧٤ ٠ إي عند اقرار برنامج السلطة الوطنية الفلسطينية على أي شبر يتم تحريره أو يجلو عنه الاحتلال.

لم تستطع جبهة الرفض أن تنال من المد الاعلامي الفلسطيني بالرغم من دهاء وحنكة اسرائيل للاستفادة من هذا الوضع . واستمرت منظمة التحرير تتابع نضالها السياسي والدبلوماسي والاعلامي مستندة على النضال العسكري الذي لم يتوقف . واستمرت الهجمة الاعلامية الفلسطينية على الصهيونية ، تطالب بالسلطة الوطنية التي رفضتها اسرائيل رفضا قاطعاً ، بينما لقي هذا الشعار تفهماً أكثر فأكثر على الصعيد العالمي ومنه الأوروبي . ولم تجد اسرائيل سوى حجج واهية للتعبير عن رفضها لهذا الشعار المرحلي و « المعتدل » ، حيث ركزت على انه يهدف الى « تدمير اسرائيل » واتهمت الدعاية الصهيونية « المعتدلة » في منظمة التحرير بأنهم يريدون تدمير اسرائيل مثلهم كمثل « المتطرفين » في المنظمة .

لقد كان الشعار المرحلي ، أي شعار السلطة الوطنية ، هو الأرضية التي استند اليها الانتصار السياسي والاعلامي الكبير الذي وصل قمته في دعوة الاخ أبو عمار ، قائد الثورة للذهاب الى مقر الأمم المتحدة في نيويورك في تشرين الثاني ١٩٧٤ . لقد كانت زيارة الأخ أبو عمار الى الأمم المتحدة حدثاً عالمياً وتاريخياً وهو الأول من نوعه ، حيث لم يسبق لحركة تحرر أن دعيت للتحدث أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة وذلك بدعوة مقدمة من ١٠٥ دول أعضاء في هذه المنظمة الدولية . وبهذه الدعوة ارادت ١٠٥ دول ، بالاضافة الى تأييدها لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وأهدافها ونضالها أن تقول لا لتعنت اسرائيل ، ولا لغطرسة اسرائيل .

لقد عبر خطاب الأخ أبو عمار في الأمم المتحدة عن شعور كافة المظلومين في هذه الأرض كما عبر عن شعور كافة المناضلين من اجل الحرية والاستقلال . وجن جنون اسرائيل بهذا النجاح الاعلامي و السياسي للمنظمة ، كما جن جنون الحاقدين والامبرياليين والمستعمرين من أمثال كيسنجر وغيره . ولكن الشعب الفلسطيني بقيادة ثورته بدأ يشعر بوجوده ويسترد ثقته بنفسه ، حيث خرج الناس الى الشوارع في مدن الضفة وغزة كما أطلقت المخيمات الفلسطينية في لبنان الرصاص ابتهاجاً بهذا الحدث التاريخي العظيم .

مؤامرة كيسنجر وضرب لبنان : كان لا بد من ضرب هذه الانتصارات التي حققتها منظمة التحرير الفلسطينية على الصعيد الدولي . فلم يكد الأخ أبو عمار أن يعود الى بيروت بعد خطابه في الأمم المتحدة حتى بدأت القلاقل تبرز في لبنان . وبعد ثلاثة أشهر تقريبا أي في شهر شباط ١٩٧٥ أغتيل المناضل معروف سعد في صيدا . ثم تبعتها حادثة الباص في عين الرمانة في نيسان ١٩٧٥ . وهكذا أخذت الحرب الأهلية في لبنان تستفحل وتكبر دون أن يستطيع أحد كبح جماحهاأو انهائها بالرغم من كافة الوساطات .

انشغلت الثورة الفلسطينية في الدفاع عن نفسها ، وصمودها الذي فاجأ العالم أكسبها مزيداً من المد الاعلامي ، وفشلت مساعي الصهاينة لتصوير الحرب اللبنانية على أنها حرب طائفية ــ بين مسلمين ومسيحيين ــ أو حرب لبنانية ضد فلسطين أو العكس . إن فشل هذه الحرب في القضاء على الثورة الفلسطينية قد زاد من الاعجاب العالمي ومن التعاطف مع المقاومة الفلسطينية . ولا نريد هنا أن نضخم الدورالاعلامي الفلسطيني في كسب هذه المعركة الاعلامية على القوى الانعزالية ــ ولكننا نستطيع أن نستشهد بقول بيار الجميل رئيس حزب الكتائب الذي اعترف للفلسطينيين بتفوقهم الاعلامي كما اعترف بذلك الرئيس حافظ الأسد . ولا نستطيع أن نتجاهل الممارسات الفاشية والأخطاء الكتائبية والشمعونية التي استفاد منها الاعلام الفلسطيني لكسب معركته الاعلامية .

لقد كانت تكاليف هذه الحرب باهظة جداً خصوصا على صعيد العنصر البشري والخسائر المادية ، ولكن الثورة الفلسطينية استطاعت أن تتابع نشاطها السياسي والاعلامي على الصعيد الدولي ، كما أن صمودها في الحرب الأهلية قد جعل منها رقماً سياسياً هاماً لا يمكن تجاهله ، أو أنه لا يمكن القفز فوق رأس منظمة التحرير الفلسطينية اذا أريد التوصل الى حل دائم وشامل في منطقة الشرق الأوسط .

وبالرغم من استفادة اسرائيل من هذه الحرب القذرة التي دبرتها بمساعدة المخابرات المركزية الامريكية ، وذلك من خلال سياسة تعريب الحرب ، الا أن الحضور الاعلامي الفلسطيني لم يترك لاسرائيل اية ثغرة تنفذ منها لتشويه سمعة المنظمة وصورتها .

لقد أثبت الفلسطينيون في هذه الحرب انهم متحضرون أكثر من غيرهم ، ممن يدعون الحضارة والمدنية ، وخاضوا غمار هذه الحرب اللبنانية دفاعا عن النفس بكل شرف ومسؤولية . لقد كان الفلسطينيون الوحيدون الذين لا يعرفون الطائفية ولا القتل على الهوية ، فالهوية النضالية الفلسطينية لا تعرف الطائفية ولا الحقد ، وهذا مما رفع من سمعة الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير في الخارج . كما أن مجازر مخيم تل الزعتر وضبية وجسر الباشا قد أكسبت الفلسطينيين عطفا عالميا خصوصا معركة تل الزعتر التي ركزت أنظار العالم بأسره لمدة سبعة وخمسين يوما على قضية الشعب الفلسطيني ونضاله العادل للدفاع عن النفس . كما ان الثورة لم تنس ولو للحظة ان عدوها الرئيسي هو العدو الصهيوني وليس الكتائب ولا غيرهم من الأحزب اليمينية اللبنانية .

حرب الجنوب : خرجت الثورة الفلسطينية من الحرب الأهلية اللبنانية منتصرة ولكن الصهاينة وعملاءهم لم ترقهم نهاية الحرب على هذا الشكل . إن هدفهم كان استمرار الحرب

ولم يفكروا في أن تنتهي الحرب دون القضاء على الثورة أو اخضاعها للسيطرة والوصاية ولهذا فان القوى الانعزالية استمرت في الحرب الباردة والتحريض ضد الثورة الفلسطينية ووجودها المؤقت في لبنان . ولكن الحق الفلسطيني كان أقوى من كل المؤامرات وفوق كل تشويش لسمعة الثورة وصورتها .

استمر النشاط السياسي والدبلوماسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ــ هذا بالاضافة الى النشاط الاعلاميوالعسكري، فلم تترك المنظمة بابا دبلوماسياً الا وطرقته ، ولم تترك مؤتمراً دولياً الا وحضرته . لقد بات الحضور الفلسطيني أمراً واقعاً على كل المؤتمرات الدولية ــ من قمة أفريقية الى قمة دول عدم الانحياز الى مؤتمر الدول الاسلامية الى دول المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفياتي . وفي جميع هذه الأطر بالاضافة الى مؤسسات الأمم المتحدة كانت الثورة الفلسطينية تجد آذاناً صاغية وتعاطفاً ملموساً ومتزايداً،وهذا مما بدأ يزيد من عزلة اسرائيل على الصعيد الدولي أكثر فأكثر .

أما النشاط العسكري للثورة الفلسطينية ، والذي لم يتوقف ، فقد وصل قمته في حرب المواجهة التي شنها الاسرائيليون على جنوب لبنان في منتصف آذار ١٩٧٨ . لقد استفادت الثورة الفلسطينية من هذا العدوان الاسرائيلي بحد ذاته ، كما استفادت على الصعيد الاعلامي من الصمود الذي أبداه المقاتلون الفلسطينيون أمام الوحشية الاسرائيلية . إن تفوق السلاح الاسرائيلي عتاداً وعدة على السلاح الفلسطيني قد زاد من التعاطف مع الضعيف أي مع الثورة الفلسطينية ، التي هي أقل عتاداً وعدة وعدداً .

كانت تصريحات الصهاينة متغطرسة في بداية الحرب حيث أعلنوا أنهم سينهون مهمتهم في ٢٤ ساعة ثم في ثماني واربعين ساعة ولكن الصمود الفلسطيني واللبناني الوطني كان عظيماً حتى استمر ثمانية أيام بلياليها الى أن طلبت اسرائيل نفسها وقف اطلاق النار . وكان ذلك لسببين ــ أولا الصمود الفلسطيني المفاجىء أمام القوة الجبارة ، وثانيا : بسبب ضغط الرأي العام الدولي .

وقف الرأي العام الدولي ضد عدوان اسرائيل على جنوب لبنان وعلى الثورة الفلسطينية ، ولهذا اضطرت اسرائيل أمام ضغط الرأي العام الدولي الى التراجع من جنوب لبنان . كما قرر مجلس الأمن الدولي ارسال قوات دولية لكي تحل محل القوات الغازية .

لقد خدمت حرب الجنوب الثورة الفلسطينية على عدة أصعدة ، ليس فقط على الصعيد العسكري والاعلامي والسياسي ، بل أيضا على صعيد التصدي لسياسة السادات الاستسلامية واتفاقه مع العدو الصهيوني . كانت حرب الجنوب ضربة كبيرة للسادات الذي كان قد زار القدس قبل أربعة أشهر فقط ــ في ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٧ واعلانه في الكنيست الاسرائيلي أن لا حرب بعد الآن ، فكانت حرب الجنوب صفعة له حيث اثبتت للعالم أجمع وللجماهير العربية أن لا فائدة من المهادنة ، وان سياسة الثورة الفلسطينية هي السياسة الصحيحة والسليمة ، وان تقييم الثورة الفلسطينية لسياسة العدو الصهيوني هي أكثر دقة وموضوعية .

إن قدوم القوات الدولية الى جنوب لبنان زاد من تألق الثورة الفلسطينية وانفتاح العالم الغربي عليها . لقد ثبت للجميع الآن أن التخوفات والتحسبات التي خوفت بل نفرت بعض الأطراف الفلسطينية من القوات الدولية ، ليست في موضعها ولم تكن صائبة . وبالرغم من الحساسيات السابقة بين قوات الأمم المتحدة وبعض الأطراف الفلسطينية واللبنانية في الجنوب ، الا أننا نستطيع أن نقول الآن وبارتياح بأن الثقة بدأت تترسخ بين الطرفين مما خلق وضعاً مرتاحا في الجنوب ، وهذا مما جعل القوات الدولية تزداد تفهما للوضع السائد في الشرق الأوسط . ان العلاقة اليومية والطيبة التي تولدت مع الزمن قد غيرت من مفاهيم الجنود والضباط الدوليين لصالح القضية الفلسطينية ، بينما كانوا يحملون قبل قدومهم الى الجنوب وجهة النظر السائدة في الغرب والمعادية للقضية الفلسطينية والمؤيدة لاسرائيل . فعلى سبيل المثال عاد الجنود الفرنسيون الى بلدهم وقد تحولوا من خصوم الى متفهمين لحقيقة الوضع في المنطقة . هذا بالاضافة الى اهتمام اجهزة الاعلام في البلدان المشاركة بأبنائها الجنود في جنوب لبنان ، مما اضطرها الى نشر أخبار أكثر فأكثر عن الشرق الأوسط من الجانب العربي والفلسطيني . وهنا لا بد وأن نذكر باعتزاز الاسلوب الحضاري الذي تعاملت به الثورة الفلسطينية مع القوات الدولية. فبدلا من أن يكونوا أعداء لها كما أريد لهم في البداية فقد تحولوا الى متفهمين لطبيعة الصراع ، وبدأوا يفهمون من هو المعتدي ومن هو المعتدى عليه . ولهذا نستطيع أن نقول أن القوات الدولية قد اسهمت من حيث لا تدري في تغيير الرأي العام الدولي لصالح القضية الفلسطينية . كما خيبت كل الآمال التي بنت عليها اسرائيل وعملاء اسرائيل في المنطقة .

الانفتاح الأوروبي على القضية الفلسطينية

إن عدالة القضية الفلسطينية هي أهم سلاح اعلامي وسياسي في وجه العدوان الاسرائيلي ، كما أن ضعف امكانيات الثورة الفلسطينية أمام شراسة اسرائيل وغطرستها جعل العالم يتعاطف مع الضعيف ضد القوي المتغطرس والمعتدي . وما من شك في أن أخطاء اسرائيل وتعنتها ورفضها للقرارات الدولية وتماديها في الاحتلال وبناء المستوطنات قد أفاد الثورة الفلسطينية على الصعيد الاعلامي . لقد رفضت اسرائيل ولا تزال الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وهي تستمر في رفضها لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتحاول لكسب الوقت والماطلة الاستمرار في اختلاق الحجج والاكاذيب لاشغال الناس وخصوصا الأوروبيين عن الاعتراف بالحقيقة الفلسطينية . فهي أي اسرائيل ، تروج تارة أن المنظمة تريد تدمير اسرائيل واخرى تقول ان الدولة الفلسطينية حتى الصغيرة تهدد بزوالها وتصر على انها لا تريد ان تعترف بالمنظمة لان دستور المنظمة أي الميثاق الوطني الفلسطيني ، يهدف الى تدميرها ... والخ. طبعا الاعلام الصهيوني لا يزال يستمر في الترويج بأن المنظمة الفلسطينية هي منظمة ارهابية وتستغل عمليات عسكرية للمقاومة للدلالة على ذلك . واسرائيل تحاول ، بهذه الحجج ، أن تستغبي العالم أو أن تستمر في استغبائه من خلال تزوير الحقائق ، كما زورتها لفترة ثلاثين سنة مضت . ولكن السلاح الاعلامي الاسرائيلي لم يعد مؤثراً كما كان في السابق .

أما بالنسبة للرأي العام الأوروبي فان المواقف الاسرائيلية باتت غير مفهومة ، خصوصا

وأن اسرائيل ترفض ايضا اشتراك المنظمة في اية تسوية سياسية في الشرق الأوسط . ولا نستطيع هنا أن ننكر الدور الاعلامي الذي تقوم به الثورة الفلسطينية لكسر الحواجز الصهيونية ، التي بنتها أجهزة الاعلام الصهيونية للانسان الأوروبي لتمنعه من التفكير الحر ومن الانتصار للحق والعدالة . فقد استطاعت الثورة الفلسطينية أن تخترق الحواجز وان تنفذ الى العقل الأوروبي لتقول له الحقيقة . وهذا ما خلق الفجوة أو الفارق بين الرأي العام الأوروبي الذي بدأ يزداد تفهماً للقضية الفلسطينية وبين الموقف الرسمي لدول اوروبا المؤثر عليه من قبل الولايات المتحدة . فنستطيع أن نقول أن موقف الرأي العام الأوروبي هو أكثر تقدماً من مواقف حكوماته .

لقد تبنت دول أوروبا الغربية موقف اسرائيل في معاداة الثورة الفلسطينية ، واستعملت حجج اسرائيل للتعبير عن مواقفها . ولا نستطيع هنا الا أن نذكر باجلال موقف الرئيس الفرنسي شارل ديغول الذي كان أول من وقف بحزم ضد التوسع وضد الاحتلال الاسرائيلي . ولكن عدم وجود شخصيات بنفس المستوى في أوروبا مكن الصهيونيين من التأثير على مواقف الدول الأخرى . وقد استفادت اسرائيل من عضويتها في الأممية الثانية أو الاشتراكية الدولية لفرض هيمنتها على الأحزاب الاشتراكية الحاكمة في غرب أوروبا ، كسيطرتها على حزب العمال البريطاني أو الحزب الاشتراكي الالماني أو الايطالي أو كسيطرتها على الأحزاب الاشتراكية الموجودة في المعارضة مثل الحزب الاشتراكي الفرنسي بقيادة ميتران وغيره . وكان أول من تمرد على اسرائيل داخل الاشتراكية الدولية رئيس وزراء السويد أولاف بالمه الذي قابل سراً الأخ أبو عمار في عام ١٩٧٤ في الجزائر ، وهاجمته أجهزة الاعلام الصهيوني ورتبت حملة مضادة في البرلمان السويدي ولدى الرأي العام حتى أجلسته على مقعد المعارضة .

ولكن خروج حزب العمل الاسرائيلي من الحكم واستلام كتلة الليكود بقيادة الارهابي بيغن لدفة الحكم في اسرائيل قد خفف من التأثير الاسرائيلي داخل الاشتراكية الدولية . ولا شك في أن بيغن استفز الرأي العام الأوروبي بتصريحاته الفاشية السافرة ، مما بدأ يخلخل ويزعزع مواقف حلفائه الغربيين .

النفط العربي والتحول العالمي

خرجت الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية منتصرة عسكرياً واقتصاديا وماليا ، ولم تخرج كأقوى دولة في العالم فقط ولكنها خرجت كأغنى دولة في العالم أيضا ، اذ تجمع لدى خزانتها أكبر كمية من مخزون الذهب في العالم . وهذا ما جعلها تفرض على العالم الدولار الامريكي كعملة رئيسية في العالم . ولكن الدولار الذي ربط بالذهب في العام ١٩٧٤ فقد قيمته الآن وأصبحت الأونصة الذهبية تساوي ٤٧٧ دولار . ان هذه النسبة العالية من التضخم أو فقدان القيمة راجع لعدة أسباب داخلية وخارجية لا نريد أن نتطرق لها هنا . ولكن هذه النسبة المرتفعة من فقدان الثمن مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبترول ، هذا بالاضافة الى تمويل حرب فيتنام وحروب الشرق الأوسط ومؤامرات أمريكا عبر العالم .

لقد فقدت الولايات المتحدة نسبة كبيرة من احتياطي الذهب ، وهذا مما جعل رؤوس الأموال تنتقل من خزائنها الى الدول البترولية . وقيمة الدولار الآن محفوظة اصطناعياً بشراء الكميات

الهائلة منه التي تعرض في الأسواق من قبل المارك الالماني الغربي أو الين الياباني ، أو من الدولار البترولي الذي يحول في النهاية الى بنوك وخزائن الولايات المتحدة .

إن هذا يدل على اختلال التوازن العالمي على الصعيد المالي ، ولم تعد أمريكا أغنى دولة في العالم،هذا اذا ما نظرنا ايضا الى المشاكل الداخلية من بطالة وغيرها في المجتمع الامريكي . بالاضافة الى ذلك فان دول أوروبا الغربية أي دول المجموعة الأوروبية التسع قد بدأت تكون نفسها كمجموعة اقتصادية متماسكة ، للخروج من دائرة التأثير الامريكية ، وبدأوا يفكرون فيها في استعمال عملة جديدة غير الدولار الامريكي من اجل تسهيل التبادلات التجارية فيما بينها . إن قرب أوروبا الغربية من الشرق واعتمادها على بترول الشرق الأوسط وحاجتها الماسة اليه جعلها تحسب حسابا للدول العربية وتبتعد قليلا عن أمريكا . إن المطالبة بربط البترول بالقضية الفلسطينية واستعمال البترول كسلاح في المعركة بدأ يفرض نفسه على الساحة ، وقد جربت أوروبا الغربية ذلك في حرب ١٩٧٣ ، عندما أعلن العرب عن وقف ضخ البترول الى الخارج مما أفزع الأوروبيين وجعلهم يفكرون ملياً في مواقفهم المؤيدة لاسرائيل .

وما من شك في أن سلاح البترول قد أرغم كثيراً من الدول الأوروبية على تغيير مواقفها من منظمة التحرير الفلسطينية ولا تزال بريطانيا مثلا تضع شرطاً للحوار مع م . ت . ف أن تعترف المنظمة بوجود اسرائيل . وكان هذا الموقف سائداً لدى المجموعة الأوروبية . ولكن حتى هذا الموقف بدأ يتراجع أمام الحق الفلسطيني والصمود العربي .

إن الموقف الصلب الذي وقفه الأخ أبو عمار في قمة بغداد وفي مؤتمر وزراء الخارجية والمالية في بغداد كان له أثر ايجابي في تصلب الموقف العربي ضد اتفاقية كامب دايفيد . ومع صلابة الأمة العربية تراجعت مواقف أوروبا الغربية الرسمية لصالح القضية الفلسطينية . فالضغط الشعبي الأوروبي بدأ يزداد على حكوماتها ، وهو آخذ في الازدياد أيضا . فأصبح على الحكومات أن تختار بين مصالحها الحقيقية المرتبطة مع بترول الشرق الأوسط وأسواق الشرق الأوسط الغنية ، وبين دعمها لاسرائيل ولعدوانها وغطرستها .

الاختراق

بالاضافة الى الاعلام الفلسطيني النشط والذي ساهم بشكل متواضع في تغيير مفاهيم الرأي العام فقد ساهمت الدبلوماسية الفلسطينية الهادئة في عملية التحول والاختراق . والاختراق هنا مقصود به إختراق الحواجز الصهيونية المفروضة على أوروبا الغربية .

إن ثورة ايران التي انتصرت على نظام فاشي متخلف في شباط ١٩٧٩ قد شدت من أزر الثورة الفلسطينية ورفعت من قيمتها وزادت قناعة الدول الأوروبية بأن الثورة الفلسطينية هي مفتاح الحل في الشرق الاوسط وانه لا يمكن الوصول الى حل دون منظمة التحرير الفلسطينية . وقد رددت منظمة التحرير هذا الشعار مراراً ولا تزال ترددة مشيرة بذلك الى أن قضية فلسطين هي محور الصراع في الشرق الأوسط ، ولا حل بدونها أو على حسابها .

ولا بد من ذكر العوامل الأخرى التي ساهمت في عملية الاختراق ــ وهنا نذكر صمود الفلسطينيين في الأرض المحتلة ورفضهم لمؤامرة الحكم الاداري الذاتي مما وضع العراقيل أمام

محادثات الحكم الذاتي التي يقودها النظام المصري الساداتي مع العدو الصهيوني . لقد فشلت أمريكا واسرائيل في ايجاد بديل لمنظمة التحرير الفلسطينية من قيادات الداخل وخصوصا من رؤساء البلديات . لقد تجلت وحدة الموقف الفلسطيني في الداخل والخارج عندما أعلن جميع رؤساء البلديات أن ممثلتهم الشرعية هي منظمة التحرير الفلسطينية ولا يوجد أحد غيرها ، وهذا مما دعم مواقف المنظمة أيضا . إن مظاهرات الداخل ضد الاحتلال،بما تمكنه من ارتفاع روح المقاومة ضده، قد زادت من التعاطف العالمي مع القضية الفلسطينية . كل هذه العوامل مجتمعة أدت الى الاعتراف الأوروبي بالحقيقة الفلسطينية .

وما من شك في أن الفضل الكبير للاعتراف الأوروبي بمنظمة التحرير الفلسطينية يعود الى المستشار النمساوي ، اليهودي الأصل برونو كرايسكي ، والذي قام بدعوة الأخ أبو عمار لزيارة النمسا في شهر تموز من عام ١٩٧٩ . وما من شك أيضا في أن هذه الدعوة قد كشفت عن جرأة وحنكة هذا المستشار النمساوي والذي تحدى أبناء طائفته وقام بدعوة منظمة التحرير للنمسا . لقد كانت هذه الزيارة ، التي تعبر عن اعتراف بالمنظمة الفلسطينية ، ضربة للغطرسة الاسرائيلية والاحتلال والتوسع . كما أنها شجعت حكومات أوروبية أخرى على الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية .

كانت هذه الدعوة المقدمة من المستشار النمساوي ضربة لاسرائيل داخل الاشتراكية الدولية حيث اشترك في الحوار مع الأخ أبو عمار والوفد المرافق له رئيس الاشتراكية الدولية الحالي ورئيس الحزب الاشتراكي الالماني المستشار الالماني السابق فيلي برانت . وقد جن جنون اسرائيل بهذه الزيارة وبدأت تهاجم المستشار كرايسكي والرئيس برانت ولكن ذلك لم ينفعها،فالأبواب قد فتحت ولم يعد بمقدور اسرائيل اقفالها . وتبع ذلك دعوة رئيس م . ت . ف لزيارة اسبانيا قدمها حزب الوسط الديمقراطي الحاكم ، والتي لاقت استحساناً وتأييداً من كافة الاحزاب الاسبانية المشتركة في البرلمان الاسباني .

ثم جاءت الدعوة من تركيا البلد الاسلامي والغربي في توجهه السياسي والعضو في حلف الأطلسي في تشرين الأول ١٩٧٩ وتلتها الدعوة من حكومة البرتغال ، فذهبت م . ت . ف الى البرتغال في ٢ تشرين الثاني . لقد أعد الحزبان الشيوعي والاشتراكي البرتغاليان مهرجانا جماهيريا كبيراً حضره عشرة آلاف شخص كانوا يهتفون بحماس غير متوقع لمنظمة التحرير وقائدها ياسر عرفات . إن هذا الحماس لفلسطين يدل دلالة واضحة على ان الرأي العام الأوروبي الغربي قد بدأ يتحول عن اسرائيل ، واذا كانت الشريحة الاشتراكية والشيوعية والتقدمية عموماً من المجتمعات الأوروبية قد بدأت تتحول لصالح القضية وتنتصر للحق ، فان هذه الشريحة التقدمية تشكل ولا شك أداة ضاغطة على الحكومات المحافظة والمترددة في اتخاذ خطوات ايجابية نحو منظمة التحرير الفلسطينية والاعتراف بها كممثلة شرعية للشعب الفلسطيني .

واذا أخذنا بعين الاعتبار نمو التيار التقدمي في أوروبا الغربية ، أي نمو الحركة الاشتراكية والشيوعية في ايطاليا وفرنسا على سبيل المثال فاننا نجد أن المستقبل في أوروبا على الصعيد الشعبي والرسمي سيكون لصالح فلسطين . كما أنه يجب أن لا ننسى القوى المحافظة الأخرى ، وخصوصا المسيحية منها والتي بدأت تتعرف على الجوانب الانسانية لمأساة فلسطين،

فهي أيضا ستزداد تأييداً كلما فهمت الحقيقة وعلمت ما يجري في بلد المسيح من ظلم واضطهاد ضد العرب المسيحيين والمسلمين على حد سواء .

بالاضافة الى ذلك فان الشعور الاوروبي المتنامي بالاستقلالية عن أمريكا سيجعل أوروبا تتوجه أكثر فأكثر للشرق حيث يكمن البترول الذي تحتاجه للطاقة ، وحيث الأسواق الاستهلاكية الخصبة لتسويق منتجاتها .

خاتمـــة

تتضامن الشعوب مع الضعيف ضد القوي ، ومع المظلوم ضد الظالم ، ومع الحق ضد الباطل ، وتبقى المواقف الرسمية للحكومات تسيرها مصالح وتؤثر عليها الارتباطـات والمواثيق . ولكن هذه الشعوب تستطيع أن تضغط على حكوماتها لارغامها على اتخاذ المواقف العادلة والانسانية ، هذا اذا علمت الحقيقة . وفي العصر الحديث فان للرأي العام أهمية خاصة في التأثير على القرار السياسي .

وللاعلام دور مهم في اقناع الرأي العام بعدالة القضية التي يناضل من أجلها . ولكن الاعلام ليس سهلا ، اذ انه علم قائم بذاته ، فهو فن مخاطبة البشر بالاساليب التي تناسب مستواهم ووضعهم الاجتماعي والسياسي . فالاعلام هو بحد ذاته قضية حضارية ، يرقى برقي القضية وحملة هذه القضية . فلا يمكن مخاطبة الناس بعقول متخلفة ، خصوصا اذا كانوا في مرحلة حضارية متقدمة .

يعكس الاعلام المستوى الحضاري الذي وصل اليه أصحاب القضية ككل والاعلاميون بشكل خاص . فكلما ارتفع الاعلام وارتقى كلما كان مقنعا أكثر فأكثر للرأي العام المطلوب مخاطبته ، وكسبه . فالاعلام يعمل بشكل مباشر على رفع مستوى الوعي والمعلومات لدى المخاطب . ولهذا فالكلام المقنع يكسب الناس أكثر بينما الحجج الضعيفة تنفر بل وتخدم العدو .

لم يعد العالم كبيراً ومنتشراً كما كان في عصر الجمل والحصان ، فالعالم أصبح صغيراً بتطور طرق المواصلات وأجهزة الاتصال الحديثة . فأي خبر أو تصريح يصدر في اية بقعة صغيرة يكون حول العالم في بضع دقائق . وما من شك في أن خبر السوء هو أكثر انتشاراً من الخبر الجيد خصوصا وان العدو الصهيوني والأجهزة التابعة له تتربص بنا للاستفادة بأكبرقدر ممكن من اخطائنا . ولهذا فان غلطة رجل الاعلام الصغيرة لا يمكن اخفاؤها لأنها منشورة في الجرائد والمجلات ، بينما رجل السياسة لا يعلم أحد بخطئه خصوصا وان أغلب المحادثات السياسية تدور خلف الأبواب المغلقة وفي الكواليس . ولكننا بلا شك نلاحظ نتائج هذه الأخطاء من خلال انعكاساتها السلبية على سير الأمور .

فالاعلام سلاح هام لا بد من احسان استخدامه حتى يكون فاعلا ومؤثرا في كسب عقول البشر وقلوبهم لصالح القضية التي يناضل من اجلها . ومن يستطيع أن يكسب عقول الناس وقلوبهم فانه قادر على توسيع دائرة التضامن مع قضيته ومع نضاله العادل . وما من شك في أن التضامن العالمي المتزايد مع قضية فلسطين سوف يدفعها الى النصر .

ولكن الاعلام الفلسطيني بالرغم من تطوره الا أنه لا يزال يجابه بقوة الاعلام الصهيوني وفعاليته في أوروبا الغربية . فالسيطرة الصهيونية على عقول الأوروبيين وقلوبهم لا تزال قوية . ولهذا فان المراحل التي مر بها الاعلام الفلسطيني في مجابهة الاعلام الصهيوني على الصعيد الأوروبي لم تكن سهلة ، كما أنه لا تزال هناك معارك اعلامية قادمة لا بد للاعلام الفلسطيني من أن يخوضها ويكسبها ، خصوصا في بريطانيا وهولندا ، هذين البلدين الأكثر تحُلفا في مواقفهما تجاه فلسطين .

لم نتطرق في هذا البحث الى القلعة الاعلامية الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية ، فهذه تستلزم بحثاً خاصاً ومفصلا ، لأن الولايات المتحدة تشكل الرأس الأكبر الذي تسيره الدعاية الصهيونية لخدمة مصالحها وأهدافها .

رياض منصور

الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة

دوافع الهجرة والواقع الديموغرافي

مقدمة

تزايد عدد المهاجرين الفلسطينيين الى الولايات المتحدة باطراد، وبشكل ملحوظ، خصوصا في العقد الحالي . فبينما كان الفلسطينيون يهاجرون في الاربعينات الى الولايات المتحدة بمعدل لا يصل الى ١٠٠ شخص سنويا[١] ، وفي الخمسينات بمعدل حوالى ٥٠٠ شخص سنويا[٢] ، قفز الرقم في السبعينات ليصل الى معدل ٢٥٠٠ شخص سنويا[٣]. ان هذا الرقم العالي من المهاجرين الفلسطينيين ، مصحوبا ببروز قضية الشعب الفلسطيني بقيادة ممثله الشرعي والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية كقضية وطنية على المسرح الدولي ، فرض ويفرض حاجة ماسة وضرورية لدراسة واقع هذا الشعب المناضل والمشتت ، لا في المناطق المحتلة والاردن فحسب ، بل دراسة واقعة في بلاد الشتات كذلك ، ومن ضمنها الولايات المتحدة ، بغرض تشخيص مشاكله وهمومه ، وامكانات تطوير برامج للتعامل معها لحلها او التخفيف عن حدتها .

---

* استقينا الارقام الواردة في جداول هذه الدراسة ، من التقارير السنوية الصادرة عن دائرة الهجرة والتجنس التابعة لوزارة العدل في الولايات المتحدة الاميركية . *Annual Report:* Immigration and Naturalization Service, 1941- 1976. والجداول التي استعملت من تلك التقارير تقع بين جدول رقم « ٦ » الى جدول رقم « ٤٧ » لكل تقرير سنوي . ولقد غطت هذه الدراسة التقارير السنوية للفترة ما بين ١٩٤١ و١٩٧٦ . وكان المهاجرون الفلسطينيون يسجلون ، في التقارير والجداول ، تحت اسم فلسطين الى عام ١٩٥٨ . ولكن بعد ١٩٥٨ بدأ تسجيلهم كاردنيين .

ونظرا لعدم توفر معلومات منفصلة عن الشرق اردنيين والفلسطينيين كل على حده ، ونظرا لان معظم المهاجرين من الاردن قد قدموا اصلا من الضفة الغربية ، ونظرا لان الفلسطينيين في الاردن يشكلون اغلبية السكان ، فان هذه الدراسة اعتبرت جميع المهاجرين المسجلين تحت خانة فلسطين او الاردن بمثابة مهاجرين فلسطينيين . ومع ان هذا الاعتبار يشكل محدودية لهذه الدراسة ، الا ان بالوسع الجزم بان نسبة عدد الشرق اردنيين ضئيلة بين صفوف الجالية الفلسطينية ــ الاردنية ، بحيث لا تشكل خللا كبيرا يدفع لرفض نتائج هذه الدراسة .

كما يجب بيان انعدام او عدم دقة الدراسات الميدانية الديمغرافية عن الفسلسطينيين في الولايات المتحدة الاميركية ، مما جعل هذا البحث الميداني مطلبا ملحا ، لا لمجرد ملء فراغ في هذا المضمار ، بل لشق بداية الطريق نحو المزيد من الابحاث الميدانية المتخصصة في مجالات حياة الفلسطينيين في اميركا بجوانبها المتعددة . فحول تقدير عدد الفلسطينيين في اميركا مثلا ، تتضارب ارقام الباحثين بشكل مريع . يذكر ابراهيم ابو لغد[٤] في احد ابحاثه أن عدد الفلسطينيين في اميركا بلغ في عام ١٩٧٠، ٧٠٠٠ شخص. وقد استقى هذا الرقم من دراسة لنبيل شعث[٥] ، الذي استقاه اصلا من دراسة لمركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير ، بينما تشير معلومات « ملفات العالم العربي »[٦] الى ان عدد الفلسطينيين في اميركا كان يقدر ، حتى نهاية ١٩٦٩، بـ ٢٥,٠٠٠ شخص بحسب المعلومات الاسرائيلية ومصادر اخرى . بينما يذكر اسماعيل شموط ان عدد الفلسطينيين في اميركا كان يبلغ حتى نهاية ١٩٧١ ٤٥,٠٠٠ شخص[٧] .

ومن هذه المصادر يتبين بشكل بارز تماما التضارب الصارخ والفروقات الكبيرة في الأرقام ، مما يدفع الى استخلاص ان هذه الارقام تخمينية ، وغير مبنية على دراسات علمية دقيقة لعدد الفلسطينيين في اميركا ، كما انه يتعذر على الانسان استعمال اي من الأرقام اعلاه بارتياح ، اذا اراد الدقة في معرفة عددهم . هذا النقص والتضارب في الأرقام ،كانا دافعين آخرين لانجاز هذا البحث لوضع حد لمثل هذه التناقضات الواسعة ، غير المفيدة لجميع الاشخاص المهتمين في مجالات العمل بين صفوف الجالية الفلسطينية في اميركا ، او حتى المهتمين في مجالات البحث العلمي من زاويته الاكاديمية .

الهجرة : أسبابها ومراحلها

لقد مرت هجرةالفلسطينين الى اميركا بثلاث مراحل مميزة . كانت المرحلة الأولى قبل عام ١٩٤٨ . والثانية بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ ،والثالثة مرحلة ما بعد ١٩٦٧ .

المرحلة الاولى : كانت فلسطين ترزح ، مع مطلع القرن الحالي ، تحت نير الاستعمار العثماني في اواخر لحظات حياته ، ومعظم ابناء الشعب الفلسطيني يعانون من ويلات ذلك الاستعمار،خصوصا في مجالات الضرائب والتجنيد والتمييز الديني بالنسبة لمسيحيي بلاد الشام ، وفلسطين من ضمنها . ولقد واكب هذا الوضع الغزو الثقافي والديني الغربي بما فيه الاميركي ، لبعض مناطق فلسطين ، لا سيما رام الله ؛ حيث اسست عدة مؤسسات تربوية ثقافية دينية ، منها كلية بيرزيت ومدرسة الفرندز للبنين والفرندز للبنات في رام الله ، ذات الصلات بكنائس ومؤسسات اميركية تمثل الاطماع الامبريالية . وقد اوجد هذا مناخا من الاحتكاك والتأثير الثقافي الاميركي في وسط الضفة الغربية (رام الله ــ القدس ــ بيت لحم) عبر الاقنية الدينية ، اذانها من المراكز الرئيسية لتجمع الفلسطينيين المسيحيين.لذلك ، فان عوامل الضغط الاستعماري العثماني ، والمشاكل التي خلقتها ، من ناحية ، وتوفر مناخ من الاحتكاك الغربي الذي وفر فرصة خيار « الخلاص » من هذه المشاكل ، من ناحية اخرى ، هي الاسباب الرئيسية لهجرة الالاف من السوريين واللبنانيين المسيحيين في نهاية القرن المنصرم وبدايات القرن الحالي . ولهذا ، ليس غريبا ان نرى ان الاغلبية الساحقة من المهاجرين الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ كانوا من مدينة رام الله وكانوا مسيحيين (حوالى ١٥٠٠ شخص

من مجموع حوالى ٢٠٠٠ شخص)[٨] .كما ان الهجرة في هذه الفترة اتسمت بأنها هجرة فردية للرجال ، مما يكشف اسبابها العميقة القائمة في الوضع السياسي والاقتصادي المتدهور ، سواء تحت نير الاستعمار العثماني ، او ما تلا ذلك من استعمار بريطاني واستيطان اسرائيلي .

لقد تبع انتهاء الحكم العثماني وقوع فلسطين تحت سلطة الانتداب البريطاني الذي لم يؤد إلا الى مزيد من التدهور الاقتصادي، بما حمله معه من اهداف استعمارية، وبما اعطاه من وعود للحركة الصهيونية ، وبما قدمه من مساعدات لهذه الحركة ، لتنشىء وطنها على حساب الحق الفلسطيني ، سواء بالنسبة للهجرة ، او لاقامة المستوطنات ، او للاستيلاء على الارض، او لانهاض اقتصاد مستقل على حساب الاقتصاد الفلسطيني الذي يشكو بالاساس من التدهور . وامتد الصراع مع الاستعمار البريطاني ومع الاستعمار الصهيوني الاستيطاني ، دفاعا عن الحق العربي في فلسطين لاكثر من ثلاثين سنة ، عبر الانتفاضات السياسية وعبر الثورات المسلحة والمتلاحقة : هذا الصراع ، وما رافقه من نهب متتابع ومصادرة للارض ، انعكس على الاوضاع المعيشية الصعبة ، التي يعاني منها الشعب ، خصوصا في المناطق الجبلية ذات الموارد الزراعية القليلة ، مما ادى الى البحث عن الخلاص بالهجرة . وقد ساعدت الصلات المعقودة ، عبر مدارس وكنائس التبشير ، في توجيه هذه الهجرة الى البلدان التي جاء منها اولئك المبشرون . واذ كانت هذه الهجرة تخص الرجال (اي القوة المنتجة فقط) فهي تشير بهذا الى هدفها المؤقت وهو تحسين الظروف الاقتصادية الفردية ، قبل ان تصبح هجرة مستقرة نتيجة تلاحق الاضطرابات وسوء الأحوال الاقتصادية

وبالرغم مما ذكر اعلاه ، فان هجرة الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ كانت بسيطة جدا ، لم تتجاوز المئة شخص في العام خلال الاربعينات .

المرحلة الثانية

ومع نشوب حرب ١٩٤٨ وقيام دولة اسرائيل ، دخلت الهجرة الفلسطينية الى اميركا مرحلتها الثانية . ان قيام هذه الدولة ، بقوة السلاح وبدعم كامل من الامبريالية ، استكمالا لمصالح هذه الامبريالية وبالتوافق معها . على انقاض الحق الفلسطيني في ارضه ، وما رافق ذلك من عمليات قتل وتشنيع وتدمير ومصادرة واستيلاء على الارض ، ادى الى هجرة مئات الالوف من الشعب الفلسطيني عن وطنه الى الأرض المجاورة في الضفة وغزة ، والى الاراضي العربية الأخرى ، لا سيما سوريا ولبنان. وأكمل هذا المخطط بمصادرة الشخصية الوطنية الفلسطينية ، وبطمسها قسرا ، حين الحق ما تبقى من فلسطين بالمملكة الاردنية ، او بالحكومة المصرية ، فمزق الوطن على هذا النحو الى عدة اجزاء تمهيدا لطمس وانهاء الهوية الفلسطنية المستقلة .

وقد اخذت سياسة الحكومة الاردنية على عاتقها تحقيق انهاء الشخصية الفلسطينية ، ضمن المخطط الامبريالي . لذا سارت هذه السياسة ، على قاعدة اضطهاد الشعب سياسيا واجتماعيا عبر سلسلة متتابعة من القوانين والاجراءات ، لمنع تبلور اي حركة وطنية فلسطينية تطالب بحقوقها .

ان قيام دولة اسرائيل ، وتشريد ابناء الشعب الفلسطيني اديا ـ ـ فيما اديا ـ ـ الى فصل

الاكثرية الساحقة من هؤلاء ، فلاحين وعمالا ، عن وسائل انتاجهم ، وبالتالي الى تحطيم علاقات الانتاج التى كانت قائمة . وبذلك نشأ جيش كامل من العاطلين عن العمل ، في اوضاع معيشية وسكنية واقتصادية سيئة جدا . ولم تكن الضفة الغربية ولا البلاد العربية المجاورة — بما تعانيه اصلا من اقتصاد متخلف وسيىء - بقادرة على استيعاب كل ذلك العدد من العاطلين . بل ان الحكم الاردني ، بسياسته القمعية والاضطهادية الالحاقية ، وبسياسته الاقتصادية المكملة ، فاقمت من الوضع بدلا من ان تعالجه ، مما ادى الى حركة نزوح اخرى بحثا عن لقمة العيش ومن ضمن ذلك الى الولايات المتحدة .

اتسمت سياسة الحكم الاردني الاقتصادية بالتركيز على انماء المؤسسات العسكرية والامنية وما يستتبع ذلك من انماء للقطاع الثالث (ادارة . نقل . خدمات . تجارة) مع اهمال للقطاع الزراعي الذي يشكل القطاع الاهم في الضفة الغربية. اما بالنسبة للصناعة، فان الضفة الغربية لم تشهد تطورا ملموسا في هذا المجال ، وما تحقق من تطور ، على ضآلته ، شهدته الضفة الشرقية وحدها . وحتى في مجال الخدمة الحكومية وبعد التمييز الذي اصبح سياسة دائمة لها ، فلم تفسح المجال امام الفلسطيني ، وقدمت عليه الاردني في حقل التوظيف ، مما سد ابواب عمل اخرى امامه ، ودفعته ، نتيجة للازمة الاقتصادية ونتيجة للتمييز الاقليمي ، الى البحث خارج الوطن عن العمل وعن لقمة الخبز .

ونشطت الدوائر الاستعمارية خلال هذه المرحلة (١٩٤٨ — ١٩٦٧) بطرح المشاريع لاكمال انهاء الوجود الوطني الفلسطيني ، فكانت مشاريع التوطين المتتالية التي رفضها الفلسطينيون حلا ومخرجا للوضع السيىء الذي يعانون منه. .

ودخل الشعب الفلسطيني معركة مواجهة هذه المؤامرة وهو مثخن بالجراح، مسلوب الوطن مهزوما ومشتتا بدون قيادة، فاقدا للبرنامج السياسي الواضح وللقوى المنظمة والقيادة الواعية للتعامل مع الظروف المستجدة ، وصار الهم هو صوان يبحث عن لقمة الخبز من اجل البقاء . في مثل هذه الظروف كان الفلسطيني يعامل بالتهديد والقمع والسجن اذا ما عمل من اجل استعادة شخصيته الوطنية ، والترغيب من خلال ابراز التوطين كمخرج من كل هذه المشاكل ، وخصوصا قضية الخبز . ورافق هذه المعركة خطأ ملحوظ من قبل قوميي حركة التحرر الوطني العربية ، الا وهو طرحهم لقومية المعركة انطلاقا من مفهوم اندماج الفلسطينيين مع العرب الاخرين في المعركة العربية — الاسرائيلية ، بدون ابراز دور مميز للفلسطينيين يحافظ على شخصيتهم الوطنية الفلسطينية المهددة بالاندثار ، ليصب هذا النهج ، الذي كان سائدا في تلك الفترة ، في نهر التوطين المعادي .

وقد كانت ضخامة المؤامرة في تلك المرحلة الثانية ، وقساوة ظروف الحياة الاقتصادية خاصة في الأردن، في مقدمة الاسباب الرئيسية لزيادة عدد المهاجرين الفلسطينيين ، لا الى اميركا فحسب ، بل الى بلدان الجزيرة العربية والخليج (خاصة الكويت) ايضا .

واثر هذا الوضع على الهجرة لاميركا بعد عام ١٩٤٨ بشكل بارز ومباشر كما ونوعا . فمن حيث الكم قفز معدل المهاجرين الى اكثر من ٥٠٠ شخص سنويا ما بين الاعوام ١٩٤٨ — ١٩٦٧ ، اي بزيادة ٥٠٠٪ من المرحلة التي سبقتها . ومن حيث النوع اتسمت الهجرة

بظاهرتين ، اولاهما هجرة عائلات بأكملها للالتحاق بذويهما الذين كانوا في اميركا قبل عام ١٩٤٨ (وهذا شكل بدايات النزوح النهائي من المنطقة العربية) . والثانية هجرة جيش جديد من الايدي العاملة طلبا للعمل وسدا لحاجات عائلاتهم الاقتصادية . وكانت نسبة عالية من هذا الجيش من اللاجئين الفلسطينيين ، حيث لعب القانون الاميركي لـ « مساعدة اللاجئين » ، المجاز عام ١٩٥٣ ، دورا هاما في تسهيل هجرة حوالى الف لاجيء في بضع سنوات في منتصف الخمسينات .

الجدول رقم (١)

عدد المهاجرين ونسبة المهاجرين القادمين من فلسطين والاردن لمجموع المهاجرين سنويا .

السنة	عدد المهاجرين	عدد المهاجرين القادمين من فلسطين والاردن	نسبة القادمين من فلسطين والاردن الى مجموع المهاجرين
١٩٥٠	٢٢٦	١٦٨	٪٧٤
١٩٥١	٢٨٤	١٦٤	٪٥٨
١٩٥٢*	٢٨٨	٣٤	٪١٢
١٩٥٣	٣٠٤	٣٢	٪١١
١٩٥٤	٣٤٦	٣٩	٪١١
١٩٥٥	٤١١	٣٤	٪٨
١٩٥٦	٨١٤	٤٠	٪٥
١٩٥٧	٩٩٤	٢٨	٪٣
١٩٥٨**	٥٢٨	٤٤٢	٪٨٤
١٩٥٩	٦٠٧	٥٧٨	٪٩٥
١٩٦٠	٥٣٦	٤٤٢	٪٨٣
١٩٦١	٦٥٨	٥٥٤	٪٨٤
١٩٦٢	٧٧١	٦٥٧	٪٨٥
١٩٦٣	٧٥٢	٦٠١	٪٨٠
١٩٦٤	٧٢٦	٥١٩	٪٧٢
١٩٦٥	٧٠٢	٥٠٤	٪٧٢
١٩٦٦	١٣٢٥	١١٣٣	٪٨٦
١٩٦٧	١٦٠٤	١٤٣٧	٪٩٠
١٩٦٨	٢٠١٠	١٧٢٦	٪٨٦
١٩٦٩	٢٦١٧	٢٢٤٤	٪٨٦
١٩٧٠	٢٨٤٢	٢٣٥٢	٪٨٣

السنة	عدد المهاجرين	عدد المهاجرين القادمين من فلسطين والاردن	نسبة القادمين من فلسطين والاردن الى مجموع المهاجرين
١٩٧١	٢٥٨٨	٢٢٧٩	٨٨٪
١٩٧٢	٢٧٥٦	٢٤١٩	٨٨٪
١٩٧٣	٢٤٥٠	٢١٢٠	٨٧٪
١٩٧٤	٢٨٣٨	٢٥٢٩	٨٩٪
١٩٧٥	٢٥٧٨	٢٣٤٩	٩١٪
١٩٧٦	٢٥٦٦	٢٤١٦	٩٤٪
المجموع	٣٥١٢١	٢٧٨٤٠	٧٩٪

يوضح الجدول رقم (١) عدد المهاجرين بدءا من عام ١٩٥٠ وحتى العام ١٩٧٦ ، والذي يبلغ مقداره ٣٥,٢١٢ . كما يوضح اثر الحروب على الهجرة ، خصوصا عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ، حيث تضاعف العدد في كل من هذه السنوات . واذا كانت الهجرة قد تضاعفت بدءا من عام ١٩٦٦ فهذا المؤشر الذي حدث قبل الحرب انما هو نتيجة لسياسة اسرائيل الانتقامية ضد القرى العربية بهدف التوسع . واخيرا ، يوضح الجدول ايضا النسبة المرتفعة من المهاجرين من الاردن نتيجة للاسباب التي ذكرناها ، والتي تعود للوضع السياسي والاقتصادي السيىء ، وهذا شبيه بالهجرة الى اماكن اخرى مثل الكويت .

ويذكر بلال الحسن في مجرى عرضه للمناطق التي قدم منها المهاجرون الفلسطينيون للكويت ، ان معظمهم قدموا من الاردن للأسباب التالية .

☐ ١ ضخامة عدد الفلسطينيين في الاردن، لاجئين ومقيمين ، في الضفة الغربية مقارنة بعدد الفلسطينيين في المناطق الاخرى .

☐ ٢ ـ واجهت هذه الضخامة السكانية النسبية للفلسطينيين في الاردن حالة من الضعف الاقتصادي العام ، الذي جعل امكانيات البلد الاقتصادية عاجزة عن استيعاب القوة البشرية العاملة . فالامكانيات الزراعية للضفة الغربية لم تستطع

---

* كانت الارقام تحسب تحت خانة فلسطين . وبما ان فلسطين توزعت ما بين اسرائيل والاردن اساسا ، فان انخفاض نسبة الارقام بعد ١٩٥١ ، يعود اساسا لقلة عدد الذين كانوا يحملون جوازات سفر فلسطينية من ايام الانتداب البريطاني .

* بما ان الارقام قبل عام ١٩٥٨ كانت تحسب تحت خانة القادمين من فلسطين ، فان الارقام تحت خانة « عدد المهاجرين القادمين من فلسطين والاردن » تلك العام غير صحيحة ، لان فلسطين اصبحت بعد ٤٨ جزءا اسرائيليا وجزءا اردنيا ، مما عنى قلة عدد المهاجرين من حملة الجوازات الفلسطينية او من كانوا يعتبرون قادمين من فلسطين بهويات فلسطينية (غزة ـ لبنان مثلا) .

استيعاب اللاجئين اليها ، وافتقاد الخطط التي ترفع من طاقة الانتاج الزراعي للأرض زاد من حدة المشكلة مع ازدياد النمو الطبيعي للانسان وبقاء الطاقة الانتاجية على حالها .

☐ ٣ ــ ركزت خطة التنمية الاقتصادية في الأردن على اعطاء الاولوية في بناء المصانع للضفة الشرقية ، وفي ظل وضع من هذا النوع لم تفتح مجالات كافية لمواجهة البطالة ونوفير فرص جديدة للعمل في الضفة الغربية .

☐ ٤ ــ اذا اضفنا الى ذلك تخطيط النظام الاردني بعناية لاستيعاب القسم الاكبر من القطاع الشرق اردني في مؤسسات الدولة (ابناء الريف والبدو في الجيش ، او ابناء المدن والمتعلمين في دوائر الدولة وفي قطاع الجيش) ، بنسبة تفوق نسبة التوزيع السكاني ، نجد ان هذا الواقع يلعب دوره ايضا في نمو عملية الهجرة[٩] .

جدول رقم (٢)

نسبة غير العاملين (ربات بيوت واطفال وعاطلين عن العمل) الى مجموع المهاجرين

السنة	عدد المهاجرين	عدد ربات البيوت والاطفال والعاطلين عن العمل	نسبة غير العاملين الى مجموع المهاجرن
١٩٥٩	٦٠٧	٣٤٩	٪٥٨
١٩٦٠	٥٣٦	٢٧٤	٪٥١
١٩٦١	٦٥٨	٣٨٠	٪٥٨
١٩٦٢	٧٧١	٤٦٣	٪٦٠
١٩٦٣	٧٥٢	٤٠١	٪٥٣
١٩٦٤	٧٢٦	٣٨٨	٪٥٣
١٩٦٥	٧٠٢	٣٥٩	٪٥١
١٩٦٦	١٣٢٥	٧٧٠	٪ ٥٨
١٩٦٧	١٦٠٤	٩٩١	٪٦٢
١٩٦٨	٢٠١٠	١٣٨٤	٪٦٩
١٩٦٩	٢٦١٧	١٧٨٠	٪٦٨
١٩٧٠	٢٨٤٢	١٨١٩	٪٦٤
١٩٧١	٢٥٨٨	١٦١٥	٪٦٢
١٩٧٢	٢٧٥٦	١٦٣٥	٪٥٩
١٩٧٣	٢٤٥٠	١٤٩٧	٪٦١
١٩٧٤	٢٨٣٨	١٨٤٤	٪٦٥
١٩٧٥	٢٥٧٨	١٧٣٦	٪٦٧
١٩٧٦	٢٥٦٦	١٧١٤	٪٦٧
المجموع	٣٠٩٢٦	١٩٣٩٩	٪٦٣

ونظرة الى الجدول رقم ٢ ، تبرز النسبة العالية للمهاجرين من العاطلين عن العمل . حيث كانت بين عامي ١٩٦٠ ــ و١٩٦٧ حوالى ٨٢٪ من مجموع المهاجرين ، وبين عامي ١٩٦٨ ــ و ١٩٧٦ حوالي ٨٨٪ من مجموع القادمين من الاردن مقارنة بالمهاجرين الفلسطينيين القادمين من مناطق الشتات الاخرى . وهي تثبت ان الأسباب الانفة الذكر ، بالنسبة للمهاجرين الفلسطينيين الى الكويت ، تنطبق على المهاجرين الفلسطينيين الى اميركا .

ويوضح الجدول رقم ٢ ما ذكر عن هجرة العائلات . فهذا الجدول يبدأ من عام ١٩٥٩ ، وفيه يتبين ان هجرة النساء والاطفال والعاطلين عن العمل تتعدى نصف عدد المهاجرين . والمقصود من العاطلين عن العمل بتقديرنا كبار السن والمعالين وهم لا يتجاوزون في الجدول كله ٢٧٥فردا.وهذه الهجرة للعائلة الكاملة لا يفسرها الا نلك الاقتلاع الوحشي الناتج عن الاحتلال الاسرائيلي لباقي الارض الفلسطينية ، وما رافق نلك الاحتلال من تدمير واضطهاد ومصادرة للارض ونسف للبيوت واستيلاء على وسائط المعيشة .

جدول رقم (٣)
نسبة المتجنسين غير العاملين (ربات بيوت واطفال وعاطلين عن العمل) الى مجموع المتجنسين

السنة	مجموع المتجنسين	عدد ربات البيوت والاطفال والعاطلين عن العمل	نسبة غير العاملين الى مجموع المهاجرين
١٩٥٩	٢٠٩	٧٥	٣٦٪
١٩٦٠	٢٢٧	٨٠	٣٥٪
١٩٦١	٢٨٧	٧٧	٢٧٪
١٩٦٢	٥٦٥	١٤٨	٢٦٪
١٩٦٣	٤٣٥	١٦٠	٣٧٪
١٩٦٤	٣٣٣	١٢١	٣٦٪
١٩٦٥	٣٩٠	١٤٢	٣٦٪
١٩٦٦	٤٠١	١٥٧	٣٩٪
١٩٦٧	٣٨٤	١٣٩	٣٦٪
١٩٦٨	٣٩٩	١٣٤	٣٤٪
١٩٦٩	٣٩٧	١٣٨	٣٥٪
١٩٧٠	٤٢٩	١٢١	٢٨٪
١٩٧١	٥٤٤	١٩٨	٣٦٪
١٩٧٢	٨٥٤	٢٨٦	٣٤٪
١٩٧٣	١٠٠٦	٢٧٧	٣٨٪

* استخلص هذا الرقم من طرح مجموع الاناث المذكورين في الجدول رقم (٥) وهم ١٢,٧٨٢ + مجموع الذين هم دون العشرين من الجدول رقم (٧) وهم ٦٢٤٢ من المجموع النهائي للمهاجرين (١٩,٣٩٩) .

السنة	مجموع المتجنسين	عدد ربات البيوت والاطفال والعاطلين عن العمل	نسبة غير العاملين الى مجموع المهاجيرين
١٩٧٤	١١٥٧	٤٦٢	٪٤٠
١٩٧٥	١٣٦٤	٤٦٣	٪٣٤
١٩٧٦	١٣١٢	٤٥٧	٪٣٥
المجموع	١٠٦٩٣	٣٧٣٥	٪٣٥

اما الجدول رقم ٣ فهو يوضح مآل قسم من هؤلاء بعد عدد من السنين (٣ ــ ٥ سنوات) وبعدتجنسهم، وفيه نجد ان نسبتهم قد تدنت نتيجة اضطرارهم للعمل ، بما في ذلك النساء ومن هم دون العشرين وكبار السن ، لظروف الحياة الصعبة التي يواجهونها في المجتمع الجديد ، مما يوضح ان حياتهم السابقة والبائسة ليست وحدها التي اناخت بثقلها عليهم ، فالظروف الجديدة تمارس ضغطا آخر عليهم ، وهم يقيمون ويحاولون التكيف ، مما يضطر ما يقارب نصفهم الى النزول للعمل . وتتضح هذه الصورة القاتمة عندما نذكر ان عدد كبار السن والمعالين ينخفض الى ١٥** مما يعني ان معظم هؤلاء اضطر الى ذلك العمل للحصول على لقمة العيش . ومما يكشف الاهداف الخطرة للدعاية الامبريالية التي حرضت على الهجرة ، لايجاد حل للعاطلين عن العمل ولايجاد حل للبؤس الذين هم فيه ، بقدر ما ، كان ابعاد الفلسطيني عن وطنه وابعاده عن مكان الصراع ، وحتى لا يحمل السلاح ليدافع عن بيته وليدافع عن حقه .

المرحلة الثالثة

ثم جاءت المرحلة الثالثة ، مرحلة ما بعد عام ١٩٦٧، لتعيد تكرار ما جرى بعد حرب ١٩٤٨ بالنسبة للمهاجرين الفلسطينيين ، فقفز معدل المهاجرين السنوي الى حوالى ٢٥٠٠ شخص سنويا ، اي بارتفاع ٥٠٠٪ عن المرحلة التي سبقت ، كذلك هجرة عائلات واشخاص عازبين . ولقد كان للصدمة الكبيرة بهزيمة العرب سنة ١٩٦٧ بعد التعويل الواسع من قبل الجماهير العربية ، بما فيها الفلسطينيون ، على جيوش الحكومات العربية لتحرير فلسطين بضربة خاطفة ، وللمآسي الاضافية التي ولدها احتلال باقي المناطق الفلسطينية (الضفة والقطاع) ، وتشرد مئات الالاف من الفلسطينيين الجدد ، الخ ... الاثر الرئيسي في الزيادة الضخمة لعدد المهاجرين الفلسطينيين لاميركا في هذه المرحلة .

من التحليل اعلاه ، يستنتج بدقة ان السبب الرئيسي والمباشر لهجرة الفلسطينيين الى

** استخلص هذا الرقم من طرح مجموع الاناث في الجدول رقم ٦ وهو ٣٦٧٨ ومجموع من هم دون العشرين من الجدول رقم ٨ وهو ٤٢ : اي ٣٧٢٠ من المجموع النهائي للمجنسين وهو ٣٧٣٥ . ان المقارنة بطبيعة الحال يجب ان تأخذ بعين الاعتبار ان الرقم ٣٧٥ هو للمهاجرين و١٥ للمتجنسين ، وبالقيمة المطلقة تنخفض النسبة من ١,٢٪ الى ٠,١٪ .

اميركا هو العدوان الاسرائيلي ـ الصهيوني ـ الامبريالي الاميركي ، ثم الممارسات الرجعية الاردنية ضد الشعب وارضه ، وما ولده الوضع الاقتصادي المشوه من آثار على هذا الشعب . ولم نجد داعيا لتكرار التحليل السابق عن المرحلة الثانية ، اذ ان هذه المرحلة امتداد للمرحلة السابقة من حيث استمرار السياسة الامبريالية والصهيونية ، وكذلك من حيث استمرار السياسة الاردنية .

الجالية ديمغرافيا

بلغ عدد المهاجرين* الفلسطينيين للولايات المتحدة حوالى ٥٥,٠٠٠ نسمة حتى نهاية شهر حزيران (يونيو) ١٩٧٦ . ويوضح الجدول رقم ٤ عدد المهاجرين القادمين للولايات المتحدة والعدد بعد الزيادة الطبيعية والمجموع الاجمالي سنويا . والزيادة الطبيعية قدرت بحسب نسبة سنوية مقدارها ٣٥/١٠٠٠ (١٠) اضيفت بشكل مركب على مدى الاعوام المختلفة .

لقد اختيرت هذه النسبة لاعتبارين اساسيين . الاول هو نسبة الزيادة الطبيعية للفلسطينيين في الأردن ، والثاني هو نسبة زيادة الفلسطينيين في اسرائيل . لان معظم المهاجرين الفلسطينيين قد جاءوا من فلسطين او الاردن . ولذلك فان نسبة الزيادة الطبيعية للفلسطينيين في المنطقتين هي خير مؤشر على نسبة زيادتهم الطبيعية في اميركا .

يتزايد الفلسطينيون في الاردن بنسبة سنوية مركبة مقدارها ٤١/١٠٠٠ (١١) ، كما يتزايدون في اسرائيل بنسبة سنوية مركبة مقدارها ٣٥/١٠٠٠ (١٢) . ويتضح من هذين الرقمين ان اختيار نسبة سنوية مركبة مقدارها ٣٥/١٠٠٠ للزيادة الطبيعية للفلسطينيين في اميركا ، هو اختيار محافظ ، خصوصا اذا اخذنا بعين الاعتبار التقدم في المجال الصحي في الولايات المتحدة مقارنة بالاردن واسرائيل، مما يعني تقليل نسبة الوفيات الفلسطينية ، وبالتالي ارتفاع نسبة الزيادة السنوية الصافية في اميركا مقارنة مع نظيراتها في البلدين الاخرين . ولذلك فاننا نستطيع ان نقول بأن نسبة ٣٥/١٠٠٠ هي نسبة قريبة جدا من الدقة التقديرية .

ويبرز الجدول رقم (٤) ما يلي :

١ ـ زيادة مطردة للهجرة بخط بياني تصاعدي ، فمن هجرة بضعة مئات في بداية الخمسينات الى هجرة بضعة آلاف في منتصف السبعينات .

٢ ـ قفزة غير طبيعية لعدد المهاجرين في عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ ، وذلك بسبب العدد الكبير من اللاجئين الفلسطينيين الذين دخلوا اميركا في العامين ، بناء على قرار الحكومة الاميركية لـ « مساعدة اللاجئين » ، المجاز عام ١٩٥٣ .

٣ ـ قفزة نوعية كبيرة لعدد المهاجرين لعامي ١٩٦٦ و١٩٦٧ . والسبب في ذلك عائد اساسا لالغاء قانون الكوتا ، الذي لم يكن يسمح بهجرة اكثر من حوالى ٢٠٠ مهاجر سنويا ،

---

* بما في ذلك المتكاثرون طبيعيا من خلال التوالد .

جدول رقم (٤)

عدد المهاجرين سنويا ثم المجموع الكلي سنويا ثم المجموع الكلي بعد اضافة الزيادة الطبيعية سنويا

السنة	عدد المهاجرين	مجموع عدد الفلسطينيين قبل الزيادة الطبيعية	مجموع الفلسطينيين بعد الزيادة الطبيعية	الزيادة الطبيعية السنوية
قبل ١٩٤٩	—	—	٢٠٠٠**	٧٨
١٩٤٩	٢٣٤	٢٢٣٤	٢٣١٢	٧٨
١٩٥٠	٢٢٦	٢٥٣٨	٢٦٢٧	٨٩
١٩٥١	٢٨٤	٢٩١١	٣٠١٣	١٠٢
١٩٥٢	٢٨٨	٣٣٠١	٣٤١٧	١١٦
١٩٥٤	٣٤٦	٤١٩٧	٤٣٤٤	٩٤٧
١٩٥٥	٤١١	٤٧٥٥	٤٩٢١	١٦٦
١٩٥٦	٨١٤	٥٧٣٥	٥٩٣٦	٢٠١
١٩٥٧	٩٩٤	٦٩٣٠	٧١٧٣	٢٤٣
١٩٥٨	٥٢٨***	٧٧٠١	٧٩٧١	٢٧٠
١٩٥٩	٦٠٧	٨٥٧٨	٨٨٧٨	٣٠٠
١٩٦٠	٥٣٦	٩٤١٤	٩٧٤٤	٣٣٠
١٩٦١	٦٥٨	١٠٤٠٢	١٠٧٦٦	٣٦٤
١٩٦٢	٧٧١	١١٥٣٧	١١٩٤١	٤٠٤
١٩٦٣	٧٥٢	١٢٩٦٣	١٢١٣٧	٤٤٤
١٩٦٤	٧٥٢	١٣٨٦٣	١٤٣٤٨	٤٨٥
١٩٦٥	٧٠٢	١٥٠٥٠	١٥٥٧٧	٥٢٧
١٩٦٦	١٣٢٥	١٦٩٠٢	١٧٤٩٤	٥٩٢
١٩٦٧	١٦٠٤	١٩٠٩٨	١٩٧٦٦	٦٦٨
١٩٦٨	٢٠١٠	٢١٧٧٦	٢٢٥٣٨	٧٦٢
١٩٦٩	٢٦١٧	٢٥١٥٥	٢٦٠٣٥	٨٨٠
١٩٧٠	٢٨٤٢	٢٨٨٧٧	٢٩٨٨٨	١٠١١

** من اصل الـ ٢٠٠٠ ، هناك حوالي ١٥٠٠ منهم من مدينة رام الله ، (اسعد قسيس ، ١٩٧٠) .
* حسبت الزيادة الطبيعية بنسبة ٣٥/١٠٠٠ سنويا وبشكل مركب ، (جانيت ابو الغد ١٩٧١ ، ص ١٦٢) .
*** منذ عام ١٩٥٨ . ويسجل المهاجرون الفلسطينيون تحت اسم « اردنيين » بحسب التقرير السنوي لدائرة الهجرة ١٩٥٨ .

تابع جدول رقم ٤

السنة	عدد المهاجرين	مجموع عدد الفلسطينيين قبل الزيادة الطبيعية	مجموع الفلسطينيين بعد الزيادة الطبيعية	الزيادة الطبيعية السنوية
١٩٧١	٢٥٨٨	٣٢٤٧٦	٣٣٦١٣	١١٣٧
١٩٧٢	٢٧٥٦	٣٦٣٦٩	٣٧٦٤٢	١٢٧٣
١٩٧٣	٢٤٥٠	٤٠٠٩٢	٤١٤٩٥	١٣٤٣
١٩٧٤	٢٨٣٨	٤٤٣٣٣	٤٥٨٨٥	١٥٥٢
١٩٧٥	٢٥٧٨	٤٨٤٦٣	٥٠١٥٩	١٦٩٦
١٩٧٦	٢٥٦٦	٥٢٧٢٥	٥٤٥٧٦٠	١٨٤٥

المجموع: ١٥٦٧٢

بالاضافة للمهاجرين من اصحاب القرابة المباشرة لعائلات المتجنسين (آباء ، وامهات وزوجات وازواجا واطفالا) ، واستبدال ذلك القانون بقانون جديد هو قانون ٣/١٠/١٩٦٥ (قانون التفضيل)[١٣] اعطى اولوية الهجرة للابناء البالغين والعازبين من المتجنسين ، والاولوية الثانية للزوج او الزوجة وابناء المهاجرين غير المتزوجين (حملة البطاقة الخضراء) والاولوية الثالثة للمتعلمين الفنيين (اطباء ، مهندسين ، الخ) ، والاولوية الرابعة للابناء المتزوجين من المتجنسين ، والاولوية الخامسة لاخوة واخوات المتجنسين ، والاولوية السادسة للمهرة الذين يحتاج اليهم في اميركا . هذا القانون الجديد جعل ارقام المهاجرين لعام ١٩٦٦ يقفز بزيادة حوالى ٥٠٠ مهاجر. فبدلا من ٢٠٠ شخص ، حسب قانون الكوتا ، هاجر ٧٧٢ شخصا من مجموع ١٩٢٥ ، تحت البند الذي عوض بند الكوتا . وفي عام ١٩٦٧ كان عدد المهاجرين تحت البند الذي عوض بند الكوتا هو ١١٤٢ شخصا من مجموع ١٦٠٤ اشخاص .

لكن القضية ليست في مجرد قوانين اميركية عامة ، تنظم الهجرة وتعالج وضعا خاصا في الولايات المتحدة .وانما في ما عاناه الشعب الفلسطيني نتيجة للحروب الاسرائيلية التوسعية ، وما كان يشكوه من وضع سياسي واقتصادي سيىء . وحتى نستطيع الربط بين هذا السبب الاساسي وبين قوانين الهجرةالاميركية العامةلاي مهاجر من أي بلد، علينا ان ننظر في كيفية تعامل السفارات والمكاتب الاميركية في المنطقة مع هذه القواني . لقد قدمت هذه السفارات والمكاتب كل انواع التسهيلات العملية .من اجل الهجرة ، بل انما كانت تقوم بعملية اعلامية بارزة للتشجيع عليها في الصحف المختلفة، خصوصا بعد الحروب ، موظفة العديد من عملائها للتحريض وللجذب ، محققة بذلك العديد من الاهداف واولها تذويب الشخصية الوطنية ، وابعادها عن اجواء الصراع ، الى جانب الاستئثار بالادمغة (اطباء ، مهندسين) والحصول على ايد عاملة فنية رخيصة .

٤ ــ بعد عام ١٩٦٧ قفز عدد المهاجرين السنوي الى ما فوق الـ ٢٠٠٠ شخص سنويا ، ولم

يهبط منذ سنة ١٩٦٨ عن الـ ٢٠٠٠ ، بل قارب الى ٣٠٠٠ ، عامي ١٩٧٠ و١٩٧٤ .

٥ ـ يلاحظ بان معدل الهجرة السنوية في السبعينات وصل الى اكثر من ٢٥٠٠ شخص ، مصحوبا في الفترة نفسها ، بزيادة طبيعية قريبة من الـ ٢٠٠٠ ، مما يعني ان اكثر من ١/١٠٠٠ (٤٥٠٠ شخص سنويا) من مجموع سكان فلسطين ، يتراكمون سنويا في اميركا ، اي بمعدل ١٪ من مجموع سكان فلسطين كل عقد

٦ ـ مجموع الفلسطينيين في اميركا هو حوالى ٢٪ من مجموع الشعب الفلسطيني* .

الفلسطينيون في اميركا بحسب الجنس

لا تتوفر احصاءات دقيقة عن نسبة الذكور للاناث من الفلسطينيين في الولايات المتحدة قبل عام ١٩٥٩ ، لان دائرة الهجرة الاميركية ، في تقاريرها السنوية ، لم تصنف المهاجرين الفلسطينيين بحسب نلك التقسيم . الا ان الاحصاءات بعد عام ١٩٥٩ تعتبر مؤشرا مناسبا لتقدير نسبة الذكور للاناث في الفترة ما قبل عام ١٩٥٩ ، وقد كانت اكثر اختلالا لمصلحة الذكور عن الفترة التي تبعت عام ١٩٥٩ : لان اغلبية المهاجرين جاءوا لعوامل اقتصادية (العمل) ولم يبدأوا باحضار عائلاتهم الا بعد حرب ١٩٤٨ بشكل ملحوظ . وبما ان المجتمع الفلسطيني آنذاك كان مجتمعا ينيط بالرجل مسألة التغرب من اجل العمل ، فاننا ، بناء على هذا ، نستطيع ان نستنتج بأن اغلبية المهاجرين في تلك الفترة كانوا ذكورا .

الجدول رقم (٥)

تقسيم المهاجرين عند قدومهم بحسب الجنس

السنة	مجموع المهاجرين	الذكور	الاناث	نسبة الذكور	نسبة الاناث
١٩٥٩*	٦٠٨	٣٨٣	٢٢٥	٦٣٪	٣٧٪
١٩٦٠	٥٣٦	٣٤٠	١٩٦	٦٣٪	٣٧٪
١٩٦١	٦٥٨	٤٠٣	٢٥٥	٦١٪	٣٩٪
١٩٦٢	٧٧١	٤٥٠	٣٢١	٥٨٪	٤٢٪
١٩٦٣	٧٥٢	٤٨٥	٢٦٧	٦٥٪	٣٥٪
١٩٦٤	٧٢٦	٤٦٨	٢٥٨	٦٥٪	٣٥٪
١٩٦٥	٧٠٢	٤٥٢	٢٥٠	٦٤٪	٣٦٪
١٩٦٦	١٣٢٥	٨٢٧	٤٩٨	٦٢٪	٣٨٪

* هذا على اعتبار ان مجموع الشعب الفلسطيني هو ٣,٥ ملايين نسمة ، وعلى اعتبار ان الفلسطينيين في اميركا زادوا بمقدار ١٠٠٠٠ شخص تقريبا ، في سنتي ١٩٧٧ و١٩٧٨ ، عن طريق الهجرة والتكاثر الطبيعي ، ليصلوا الى ٦٥٠٠٠ شخص .

١٩٦٧	١٦٠٤	٩٣٣	٦٧١	٪٥٨	٪٤٢
١٩٦٨	٢٠١٠	١١٣٩	٨٧١	٪٥٧	٪٤٣
١٩٦٩	٢٦١٧	١٤٩٢	١١٢٥	٪٥٧	٪٤٣
١٩٧٠	٢٨٤٢	١٦٠٠	١٢٤٢	٪٥٦	٪٤٤
١٩٧١	٢٥٨٨	١٥٣٧	١٠٥١	٪٥٩	٪٤١
١٩٧٢	٢٧٥٦	١٦٨٥	١٠٧١	٪٦١	٪٣٩
١٩٧٣	٢٤٥٠	١٤٤٠	١٠١٠	٪٥٩	٪٤١
١٩٧٤	٢٨٣٨	١٦٠٧	١٢٣١	٪٥٧	٪٤٣
١٩٧٥	٢٥٧٨	١٤٧٩	١٠٩٩	٪٥٧	٪٤٣
١٩٧٦	٢٥٦٦	١٩٢٤	١١٤٢	٪٥٦	٪٤٤
المجموع	٣٠٩٢٦	١٨١٤٤	١٢٧٨٢	٪٥٩	٪٤١

ونظرة متفحصة على الجدول رقم (٥) تبرز ، بشكل ملموس ، استمرارية طغيان نسبة الذكور على نسبة الاناث بين المهاجرين ، خلال الاعوام من ١٩٥٩ الى ١٩٧٦ . ويلاحظ ان نسبة الذكور للاناث ، ما بين ١٩٥٩ و١٩٦٧ ، كانت ٦٣٪ للذكور و٣٧٪ للاناث ، بينما تغيرت هذه النسبة ، ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٦ ، الى ٥٧٪ ذكورا الى ٤٣٪ اناثا . ان هذه التغييرات تعيد تأكيد الاستنتاج الذي توصل اليه سابقا عند تحليل اسباب القفزات الكبيرة في عدد المهاجرين بعد الحروب الاسرائيلية ــ الفلسطينية والعربية ، تلك الاستنتاج الذي مفاده ان العائلات الفلسطينية ، بعد الحروب كانت تهاجر بكاملها (ذكورا واناثا) . واذا ما رسمنا خطا بيانيا لنسبة الذكور للاناث من الفلسطينيين في اميركا ، فانا نرى ان هذا الخط سيبدأ من نقطة قريبة جدا من نسبة ١٠٠٪ ذكورا الى ١٠٠٪ اناثا، ثم يقترب تدريجيا من الوضع الطبيعي . واذا اعتبرنا ان الفلسطينيين الموجودين في اميركا هم فقط المهاجرون ما بين ١٩٥٩ و١٩٧٦ واحفادهم ، وهم حقيقة يشكلون نسبة ٤٦٥٩٩/٥٤٥٧٠*، اي ٨٥٪ من مجموع الفلسطينيين في اميركا ، فاننا نستطيع استنتاج ان نسبة الذكور الى الاناث من الفلسطينيين هناك هي ٥٩٪** ذكورا و٤١٪ اناثا*** (بدون ادخال الزيادة الطبيعية في هذه النسب) . وبما ان نسبة الذكور للاناث قبل عام ١٩٥٩ كانت اكثر اختلالا لصالح

---

* الرقم ٤٦٥٩٩ هو حصيلة مجموع المهاجرين (ذكورا واناثا) ما بين عام ١٩٥٩ وعام ١٩٧٩ (الجدول رقم ٤) مضافا اليه مجموع الزيادة الطبيعية خلال الفترة نفسها من الجدول المذكور .

** مجموع الذكور من سنة ١٩٥٩ الى سنة ١٩٧٦ هو ١٨١٤٤ ، من اصل ٩٢٧ ــ ٣ ، بناء على المعلومات الواردة في الجدول رقم (٥) ، ٥٩٧١٪ من مجموع الفلسطينيين .

*** مجموع عدد الاناث بين ١٩٥٩ و١٩٧٦ هو ١٢٧٨٣ من اصل ٣٠٩٢٧ بناء على المعلومات في الجدول رقم (٥) ، اي ٤١٪ من مجموع الفلسطينيين .

الذكور عنها بعد عام ١٩٥٩ (الجدول رقم ٦ الذي يبين نسبة الذكور والاناث لمجموع المتجنسين بينهم من الذكور حوالي ٧٠٪ و٣٠٪ من اناث ، بمعنى ان المهاجرين قبل ٥ سنوات من عام ١٩٥٩ على الاقل ، كانوا موزعين كما يلي . ٧٠ ذكورا الى ٣٠٪ اناثا) ، فاننا نستطيع القول بأن نسبة الذكور للاناث من الفلسطينيين في اميركا لا تقل عن نسبة ٦٠٪ ذكورا الى ٤٠٪ اناثا .

جدول رقم (٦)
تقسيم المتجنسين حسب الجنس

السنة	مجموع المتجنسين	الذكور	الاناث	نسبة الذكور	نسبة الاناث
*١٩٥٩	٢٩٠	١٤٦	٦٣	٧٠٪	٣٠٪
**١٩٦٠	٢٢٧				
١٩٦١	٢٨٧	١٠٦	٨١	٧٢٪	٢٨٪
١٩٦٢	٥٦٥	٣٩٠	١٧٥	٦٩٪	٣١٪
١٩٦٣	٤٣٥	٢٨١	١٥٤	٦٥٪	٣٥٪
١٩٦٤	٣٣٩	٢١٥	١١٨	٦٥٪	٣٥٪
١٩٦٥	٣٩٠	٢٥٠	١٤٠	٦٤٪	٣٦٪
١٩٦٦	٤٠١	٢٣٩	١٦٢	٦٠٪	٤٠٪
١٩٦٧	٣٨٤	٢٥٠	١٣٤	٦٥٪	٣٥٪
١٩٦٨	٣٩٩	٢٦٤	١٩٥	٦٦٪	٣٤٪
١٩٦٩	٣٩٧	٢٧٢	١٢٥	٦٩٪	٣١٪
١٩٧٠	٤٢٩	٢٧٠	١٥٩	٦٣٪	٣٧٪
١٩٧١	٢٠٤٤	٩٥١	١٩٩	٦٥٪	٣٥٪
١٩٧٢	٨٥٤	٥٩٠	٢٦٤	٦٩٪	٣١٪
١٩٧٣	١٠٠٦	٦٤٤	٣٦٢	٦٤٪	٣٦٪
١٩٧٤	١١٥٧	٧١٥	٤٤٢	٦٢٪	٣٨٪
١٩٧٥	١٣٦٤	٨٦٩	٤٩٥	٦٤٪	٣٦٪
١٩٧٦	١٣١٢	٨٣٦	٤٧٦	٦٤٪	٣٦٪
المجموع	١٠٦٩٣	٦٧٨٨	٣٦٧٨	٦٥٪	٣٥٪

* لم يعمل بهذا التقسيم قبل عام ١٩٥٩ .

** لم تتوفر المعلومات عن عدد الذكور وعدد الاناث لذلك العام ، بسبب خطأ في تقرير دائرة الهجرة لعام ١٩٦٠ ، حيث ان الجدول رقم (٤١) ، ص ٨١ ، اعاد طرح التقسيمات ، بحسب الجنس لعام ١٩٥٩ ، خطأ بدلا من عام ١٩٦٠ ، ولهذا انعدم توفر المعلومات .

ومزيدا من التمحيص في الجدول رقم (٦) يبرز بشكل واضح على ان حوالى ثلثي المتجنسين من الفلسطينيين هم ذكور . ومع ان هذه النسبة قريبة جدا من ٦٠٪ ذكورا الى ٤٠٪ اناثا بالنسبة للمهاجرين ، فان نسب توزيع الذكور للاناث للمهاجرين والمتجنسين غير متطابقة ، مما يوحي بأن نسبة ضئيلة (٥٪) من النساء المهاجرات لا يتجنسن لاسباب عديدة اهمها اثنان . الأول هو عدم معرفة اللغة الانجليزية من قبل النساء المعزولات في البيوت معظم الاوقات ، مما يصعب جدا حصولهن على الجنسية ، لا يحققن النجاح في فحص الجنسية ، والثاني هو الحاجة العملية للجنسية في تسهيل الامور التجارية (ملكية محلات البقالة او المشاريع الاقتصادية الاخرى) والتي يضطلع بها الرجال اكثر من النساء بناء على الاعراف التي لا تزال سائدة بين الفلسطينيين .

الفلسطينيون في اميركا بحسب الاعمار

ان اعمار اغلبية المهاجرين الفلسطينيين الى اميركا لا تتعدى الاربعين عاما : بمعنى انهم خيرة الايدي العاملة الجاهزة للمشاركة بحيوية في عملية الانتاج الاميركي . ويبرز الجدول رقم ٧ النسبة العالية للذكور من ذوي الاعمار التي هي دون العشرين ، حيث كانت تلك النسبة بين عام ١٩٥٩ وعام ١٩٦٦ في حدود الـ ٣٩٪ من مجموع الذكور ، ولقد قفزت هذه النسبة الى حدود الـ ٣٥٪ في الفترة ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٦ . ويرجع هذا ، مرة اخرى ، الى تأثير حرب عام ١٩٦٧ على نوعية المهاجرين الفلسطينيين الى اميركا (عائلات بكاملها) . كما يلاحظ من الجدول نفسه ان الذكور من ذوي الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ عاما ، والذين شكلوا اعلى نسبة مهاجرين من بين فئات الاعمار المختلفة للذكور ، قد هاجروا الى اميركا بنسبة قاربت الـ ٥٩٪ من مجموع الذكور المهاجرين ما بين الاعوام ١٩٥٩ و١٩٦٦ ، وانخفضت نسبتهم الى قرابة الـ ٥٣٪ في الفترة ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٦ . ويبرز بشكل جلي ان حرب ١٩٦٧ اثرت بشكل تصاعدي على نسبة المهاجرين من ذوي الاعمار ، ما دون العشرين عاما ، وبشكل انحداري على المهاجرين من ذوي الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ . وبالفارق النسبي نفسه (٦٪) هبوطا وصعودا . بينما بقيت فئة ذوي الاعمار فوق الـ ٤٠ عاما بالنسبة للذكور في حدود الـ ١٣٪ من مجموع الذكور بدون ان تتأثر هذه الفئة بشكل ملحوظ بسبب حرب ١٩٦٧ .

اما بالنسبة للاناث ، فقد تميزت هجرتهم بخصائص عامة شبيهة بالتي اثرت على هجرة الذكور (تأثيرات حرب ١٩٦٧) ولكن بشكل اخف حدة ، الا ان نسبة توزع الفئات الثلاث اختلفت بشكل ملحوظ بالنسبة للذكور ، فبينما تراوحت نسبة الذكور من ذوي الاعمار دون العشرين ما بين ٢٩٪ و٣٥٪ ، قبل وبعد حرب ١٩٦٧ ، فان نسبة الاناث من الفئة نفسها (دون العشرين عاما) تراوحت ما بين ٤١٪ قبل ١٩٦٧ و٤٤٪ بعد ١٩٦٧ .

أما للاناث من فئة الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ عاما فقد انخفضت نسبتهن من حوالي ٤٤٪ ما قبل ١٩٦٧ الى حوالي ٣٩٪ ما بعد عام ١٩٦٧ ، بينما كانت لذوات الاعمار ما فوق الـ ٤٠ عاما حوالي ١٦٪ .

الجدول رقم (٧)

تقسيم المهاجرين عند قدومهم حسب الأعمار والجنس

السنة	ذكور								اناث							
	تحت ٢٠ عاماً			٢٠ ـ ٣٩ عاماً		٤٠ فما فوق		المجموع	تحت ٢٠ عاماً			٢٠ ـ ٣٩ عام		٤٠ فما فوق		المجموع
	العدد	النسبة		العدد	النسبة	العدد	النسبة		العدد	النسبة		العدد	النسبة	العدد	النسبة	
١٩٥٩	١١٥	٪٣٠	٣٨٢	٢٢١	٪٥٨	٤٧	٪١٢	٢٢٥	٩٥	٪٤٢		٩٦	٪٤٣	٣٤	٪١٥	٢٢٥
١٩٦٠	٧٨	٪٢٣	٣٤٠	٢٢٢	٪٦٥	٤٠	٪١٢	١٩٦	٧٤	٪٣٨		٩٥	٪٤٨	٢٧	٪١٤	١٩٦
١٩٦١	١٢٠	٪٣٠	٤٠٣	٢٢٦	٪٥٦	٥٧	٪١٤	٢٥٥	١١١	٪٤٤		١٠٤	٪٤١	٤٠	٪١٥	٢٥٥
١٩٦٢	١٤٣	٪٣٢	٤٥٠	٢٦٢	٪٥٨	٤٥	٪١٠	٣٢١	١٤٣	٪٤٥		١٤١	٪٤٤	٣٧	٪١١	٣٢١
١٩٦٣	١٢٧	٪٢٨	٤٨٥	٢٨٠	٪٥٨	٦٨	٪١٤	٢٦٧	١٠٨	٪٤٠		١٢٠	٪٣٩	٪١٥		٢٦٧
١٩٦٤	١٢٣	٪٢٦	٤٦٨	٢٩٨	٪٦٤	٤٧	٪١٠	٢٥٨	١٠٦	٪٤١		١٠٦	٪٤١	٤٦	٪١٨	٢٥٨
١٩٦٥	٩٨	٪٢٢	٤٥٢	٢٩٥	٪٦٥	٥٩	٪١٣	٢٥٠	١٠١	٪٤٠		١٠٢	٪٤١	٤٧	٪١٩	٢٥٠
١٩٦٦	٢٥٢	٪٣٠	٨٢٧	٤٤٥	٪٥٤	١٣٠	٪١٦	٤٩٨	١٩٥	٪٣٩		٢٢٠	٪٤٤	٨٣	٪١٧	٤٩٨
١٩٦٧	٣٣٩	٪٣٦	٩٣٣	٤٥٩	٪٤٩	١٣٥	٪١٥	٦٧١	٢٦٣	٪٣٩		٢٨٦	٪٤٣	١٢٢	٪١٨	٦٧١
١٩٦٨	٥٠٠	٪٤٤	١١٣٩	٥١١	٪٤٥	١٢٨	٪١١	٨٧١	٤١٤	٪٤٧		٩٠١	٪٣٥	١٥٦	٪١٨	٨٧١
١٩٦٩	٥٩٢	٪٤٠	١٤٩٢	٦٨٤	٪٤٦	٢١٦	٪١٤	١١٢٥	٤٩٤	٪٤٤		٤٥٣	٪٤٠	١٧٨	٪١٦	١١٢٥
١٩٧٠	٥٧٧	٪٣٦	١٦٠٠	٨٢٤	٪٥٢	١٩٩	٪١٢	١٢٤٢	٥٥٣	٪٤٥		٤٨٦	٪٣٩	٢٠٣	٪١٦	١٢٤٢
١٩٧١	٥٥١	٪٣٦	١٥٣٧	٨١٣	٪٥٣	١٧٣	٪١١	١٠٥١	٤٦٨	٪٤٥		٤١٣	٪٣٩	١٧٠	٪١٦	١٠٥١
١٩٧٢	٥٠٩	٪٣٠	١٦٨٥	٩٤٦	٪٥٦	٢٣٠	٪١٤	١٠٧١	٤٧٨	٪٤٥		٤٦٣	٪٤٣	١٣٠	٪١٢	١٠٧١
١٩٧٣	٤٥١	٪٣١	١٤٤٠	٨٠٨	٪٥٦	١٨١	٪١٣	١٠١٠	٤٢٦	٪٤٢		٤١٢	٪٤١	١٧٢	٪١٧	١٠١٠
١٩٧٤	٥٥٧	٪٣٥	١٦٠٧	٨٥٠	٪٥٣	٢٠٠	٪١٢	١٢٣١	٥٣١	٪٤٣		٥٠٧	٪٤١	١٩٣	٪١٦	١٢٣١
١٩٧٥	٥٦٦	٪٣٨	١٤٧٩	٧٢٩	٪٤٩	١٨٤	٪١٣	١٠٩٩	٤٨٨	٪٤٤		٤٣٦	٪٤٠	١٧٥	٪١٦	١٠٩٩
١٩٧٦	٥٣٤	٪٣٨	١٤٢٤	٧٠٤	٪٤٩	١٨٦	٪١٣	١١٤٢	٥٠١	٪٤٤		٤٣٦	٪٣٨	٢٠٣	٪١٨	١١٤٢
المجموع	٦٢٤٢	٪٣٤	١٨١٤٤	٩٥٧٧	٪٥٣	٢٣٢٥	٪١٣	١٢٧٨٣	٥٥٥١	٪٤٣		٥١٧٧	٪٤١	٢٥٥	٪١٦	١٢٧٨٣

ويبرز الجدول رقم (٨) (جدول تسيم المتجنسين بحسب الاعمار والجنس ، وتغييرا ملحوظا وجذريا على نسب فئات الاعمار الثلاث المذكورة اعلاه . فلقد انخفضت نسبة الذكور من ذوي الاعمار دون العشرين من حوالى ٢/١ مجموع الذكور ، الى حوالى ٦٪ من المجموع نفسه . وهذا التغيير الجذري بقارق حوالى ٢٨٪ يعود اساسا الى أن الاغلبية الساحقة من المهاجرين من ذوي الاعمار دون العشرين هم من الشبيبة ما بين الـ ١٥ و١٩ عاما ، اذن انه بعد أن تمكث تلك الفئة خمسة اعوام على الأقل في اميركا ، مما يضعها في خانة فئة الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ عاما تستطيع الحصول على الجنسية .

ولهذا نستطيع بسهولة معرفة سبب الارتفاع الكبير في نسبة فئة الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ عاما الى ما فوق الـ ٧٠٪ من مجموع الذكور ، وذلك عائد الى ضخامة الاعداد التي انتقلت من فئة دون العشرين الى هذه الفئة ، كذلك ارتفعت نسبة الذكور من فئة ما فوق الـ ٤٠ الى حوالي ٢٠٪ من مجموع المتجنسين .

وأما بالنسبة للاناث ، فان الاتجاهاف العامة التي صبغت تغييرات نسبة الفئات الثلاث للذكور هي كذلك التي صبغت تغييرات نسبة الفئات الثلاث للاناث . فلقد انخفضت نسبة الاناث من فئة دون العشرين عاما الى حوالى ١٢٪ ، بينما ارتفعت فئة ذوات الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ عاما الى حوالى ٦٦٪ وبقاء فئة ما فوق الاربعين عاما حوالى ٢٠٪ . وبالنسبة للمجموع الاجمالي حسب الاعمار ، فان الجدول رقم (٩) يشير الى ان الفلسطينيين المهاجرين ما بين ٥٩ و١٩٧٦ ، من فئة دون العشرين عاما من الذكور شكلوا ٣٤٪ من مجموع الذكور ، وشكلت الاناث ٤٣٪ من مجموع الاناث ، وان هذه الفئة بذكورها واناثها معا شكلت ٤٨٪ من مجموع المهاجرين . وأما الفئة الثالثة والاخيرة ، فئة ما فوق الـ ٤٠ عاما ، فلقد شكل ذكورها نسبة ١٣٪ من مجموع الذكور ، واناثها ١٦٪ من مجموع الاناث ، وكانت هذه الفئة بذكورها واناثها معا قد شكلت ١٤٪ من مجموع المهاجرين .

وأما بالنسبة للفلسطينيين المتجنسين في الفترة نفسها ، ما بين ١٩٥٩ ، فان الجدول رقم (١٠) يشير الى ان فئة دون العشرين عاما قد شكل ذكورها ٦٪ من مجموع الذكور شكلت اناثها ١٢٪ من مجموع الاناث وكلا الفئتان شكلتا ٨٪ من مجموع الذكور وشكلت اناثها نسبة ٦٦٪ من مجموع الاناث ، وشكلت الفئتان نسبة ٦٩٪ من مجموع المتجنسين الفلسطينيين . أما الفئة الاخيرة ما فوق الـ ٤٠ عاما ، فلقد شكل ذكورها ٢٣٪ من مجموع الذكور ، وأما الاناث فقد شكلن ٢٢٪ من مجموع الاثاث . ولقد شكل الذكو والاناث لهذه الفئة مجتمعين ٢٣٪ من مجموع المتجنسين الفلسطينيين .

ان التحليل اعلاه لا يعطي صورة شاملة عن نسب فئات الاعمار ، عام ١٩٧٦ لجميع الفلسطينيين في اميركا ، بغض النظر عما اذا كانوا مهاجرين أم متجنسين ، كما ان التحليل أعلاه لا يتطرق لمجموعة كبيرة من الفلسطينيين (بالاضافة الى الفلسطينيين قبل عام ١٩٥٩) الا وهم الفلسطينيون المولودون في أميركا خلال الاعوام السابقة لعام ١٩٧٦ ، والذين يشكلون قرابة مجموع الفلسطينيين في أميركا ، وجميعهم متجنسون بحكم ولادهتم في الولايات المتحدة . الا ان التحليل أعلاه مهم وضروري من زاوية معرفة اتجاهات تغييرات

الجدول رقم (٨)

تقسيم المتجنسين حسب الأعمار والجنس

السنة	المجموع	ذكور						انات					
		تحت ٢٠ عام		٢٠ ـ ٣٩ عام		٤٠ فما فوق		تحت ٢٠ عام		٢٠ ـ ٣٩ عام		٤٠ فما فوق	
		العدد											
١٩٥٩	١٤٦	٤	٣٪	١١٣	٧٧٪	٢٩	٢٠٪	٦٣	١٢	١٩٪	٤٥	٧١٪	٦	١٠٪
١٩٦٠*														
١٩٦١	٢٠٦	١٤	٧٪	١٥٦	٧٦٪	٣٦	١٧٪	٨١	٩	١١٪	٥١	٦٣٪	٢١	٢٦٪
١٩٦٢	٣٩٠	٢٧	٧٪	٢٤٩	٦٤٪	١١٤	٢٩٪	١٧٥	٢٥	١٤٪	١٠٥	٦٠٪	٤٥	٢٦٪
١٩٦٣	٢٨١	٣٨	١٤٪	١٨٠	٦٤٪	٦٣	٢٢٪	١٥٤	٢٩	١٩٪	٨٧	٥٦٪	٣٨	٢٥٪
١٩٦٤	٢١٥	٢٧	١٢٪	١٥٤	٧٢٪	٣٤	١٦٪	١٨	١٥	١٣٪	٨٣	٧٠٪	٢٠	١٧٪
١٩٦٥	٢٥٠	١٦	٦٪	١٨٩	٧٦٪	٤٥	١٨٪	١٤٠	١٩	١٤٪	٧٧	٥٥٪	٤٤	٣١٪
١٩٦٦	٢٣٩	٢٤	١٠٪	١٦٢	٦٨٪	٥٣	٢٢٪	١٦٢	٣٠	١٩٪	١١٤	٧٠٪	١٨	١١٪
١٩٦٧	٢٥٠	٢٥	١٠٪	١٧٩		٤٦	١٨٪	١٣٤	٢٦	١٩٪	٩١	٦٨٪	١٧	١٣٪
١٩٦٨	٢٦٤	٢٠	٨٪	١٩١	٧٢٪	٥٣	٢٠٪	١٣٥	١٦	١٢٪	٩٣	٦٩٪	٢٦	١٩
١٩٦٩	٢٧٢	٢٥	٩٪	١٩٤	٧١٪	٥٣	٢٠٪	١٢٥	٢٢	١٨٪	٧٥	٦٠٪	٢٨	٢٢٪
١٩٧٠	٢٧٠	١٢	٤٪	٢١٠	٧٨٪	٤٨	١٨٪	١٥٩	٢٢	١٤٪	١٠٧	٦٧٪	٣٠	١٩٪
١٩٧١	٣٥١	١٩	٥٪	٢٦٣	٧٥٪	٦٩	٢٠٪	١٩٣	٢٧	١٩٪	١٢٥	٦٥٪	٣١	١٦٪
١٩٧٢	٥٩٠	٢٨	٥٪	٤١٤	٧٠٪	١٤٨	٢٥٪	٢٦٤	٢٤	٩٪	١٧٨	٦٨٪	٦٢	٢٣٪
١٩٧٣	٦٤٤	٣٣	٥٪	٤٤٢	٦٩٪	١٦٧	٢٦٪	٣٦٢	٢٤	٧٪	٢٤٨	٦٨٪	٩٠	٢٥٪
١٩٧٤	٧١٥	٤٨	٧٪	٤٩٤	٦٩٪	١٧٣	٢٤٪	٤٤٢	٣٨	٩٪	٢٩٣	٦٦٪	١١١	٢٥٪
١٩٧٥	٨٦٩	٤٥	٥٪	٦١٤	٧١٪	٢١٠	٢٤٪	٤٩٥	٤٧	٩٪	٣٤١	٦٩٪	١٠٧	٢٢٪
١٩٧٦	٨٣٦	٤٢	٥٪	٦٠٠	٧٢٪	١٩٤	٢٣٪	٤٧٦	٣٩	٨٪	٣٢٨	٦٩٪	١٠٩	٢٣٪

النسب السكانية للفئات الثلاث المختلفة وأسبابها والمؤثرات عليها ، لان ذلك يشكل الارضية الأولية التي نرسي عليها كافة الاستنتاجات المتعلقة بطبيعة العمل بين صفوف هذه الفئات المختلفة وآفاق مستقبله .

الجدول رقم (٩)

مجموع عدد ونسبة المهاجرين بحسب الجنس والعمر
(١٩٥٩ ــ ١٩٧٦)

الجنس	المجموع	عدد ذوي الاعمار دون الـ ٢٠ عاما	نسبة دون الـ ٢٠ عاما للمجموع	عدد ذوي الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ عاما	نسبة فئة ما بين ٢٠ و٣٩ للمجموع	عدد ذوي الاعمار من فئة الـ٤٠ عاما وما فوق	نسبة فئة الـ ٤٠ عاما وما فوق للمجموع
ذكور	١٨١٤٤	٦٢٤٢	٣٤٪	٩٥٧٧	٥٣٪	٢٣٢٥	١٣٪
اناث	١٢٧٨٣	٥٥٥١	٤٣٪	٥١٧٧	٢١٪	٢٠٥٥	١٦٪
ذكور و اناث	٣٠٩٢٧	١١٧٩٣	٣٨٪	١٤٧٥٤	٤٨٪	٤٣٨٠	١٤٪

والسؤال الذي يطرح نفسه هو . ما هي نسب توزع الفلسطينيين جميعهم في أميركا (مهاجرين ومولودين) بحسب الفئات الثلاث للاعمار في نهاية عام ١٩٧٦ ؟ يعطي الجدول رقم (٩) جزءا من الأجابة ، بينما يبقى رقمان غير محسوبين فيه . الرقم الأول ، وهو مجموع الفلسطينيين الذين كانوا في اميركا قبل عام ١٩٥٩ ، وعددهم كان ٧٩٧١ (الجدول رقم ٤) . والرقم الثاني هو ١٥٦٧٢*، وهو مجموع الفلسطينيين نتيجة الزيادة الطبيعية ما بين ١٩٥٩ و١٩٧٦ . ولهذا ، فان مجموع الارقام التالية .

٧٩٧١ مجموع الفلسطينيين عام ١٩٥٩ (الجدول رقم ٤) .

٣٠٩٢٧ مجموع المهاجرين الفلسطينيين ما بين ١٩٥٩ و١٩٧٦ (الجدول رقم ٤) .

١٥٦٧٢ مجموع الزيادة الطبيعية للفلسطينيين في الولايات المتحدة خلال الفترة ١٩٥٩ ــ ١٩٧٦ (الجدول رقم ٤) .

يشكل المجموع العام للفلسطينيين في أميركا ، وهذا هو الرقم المتطابق مع

---

* هذا الرقم هو حصيلة جميع الزيادة الطبيعية للفلسطينيين ما بين ١٩٥٩ و١٩٧٦ ، وهذا العدد هو حصيلة مجموع الفارق في الجدول رقم (٤) ، ما بين الفلسطينيين بعد الزيادة الطبيعية وقبلها عبر الاعوام المعنية .

رقم المجموع العام ، بحسب الجدول رقم (٤) .

وبما أننا : بحسب التحليلات السابقة ، نعرف كيف يوزع الرقم ٣٠٩٢٧ بحسب فئات الاعمار ، فانه يبقى علينا تقسيم الرقمين المتبقيين لمعرفة نسبة توزع عموم الفلسطينيين بحسب فئات الاعمار الثلاثة . الرقم ١٥٦٧٢ يلحق بمجموعة الفئة دون العشرين عاما ، لان هذا الرقم حصيلة الاغلبية الساحقة للمولودين ما بين ٥٩ و١٩٧٦ (وهي فترة دون العشرين عاما)** . وأما الرقم الاخر ٧٩٧١ ، فان ١٥٤٢ منه جاؤوا نتيجة للزيادة الطبيعية للفترة ما قبل ١٩٥٩ . وبما ان اغلبية الفلسطينيين ابان تلك الفترة كانوا بالغين عازبين ، فاننا نستطيع تقدير أنه لا يوجد الان أي فرد من الرقم ٧٩٧١ يمكن اضافة الى خانة دون العشرين عاما ، ويمكن تقدير عدد فئة ما بين ٢٠ و٣٩ بحوالى ٢٠٠٠ شخص معظمهم من الرقم ١٥٤٢(المولودين ما بين ١٩٤٩ و١٩٥٩ ،والذين لا تتجاوز اعمارهم الـ ٣٩ عاما) . والعدد المتبقي ٥٩٧١ ينتمون لفئة ما فوق الـ ٤٩٠ عاما للاسباب التي ذكرت اعلاه .

الجدول رقم (١٠)

مجموع عدد ونسبة المتجنسين بحسب الجنس والعمر
(١٩٥٩ ـ ١٩٧٦)

الجنس	المجموع	عدد ذوي الاعمار دون الـ ٢٠ عاما	نسبة دون الـ ٢٠ عام للمجموع	عدد ذوي الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ عاما	نسبة فئة ما بين ٢٠ و٣٩ عاما للمجموع	عدد ذوي الاعمار من فئة الـ ٤٠ عاما وما فوق	نسبة فئة الـ ٤٠ وما فوق للمجموع
ذكور	٦٧٨٦	٤٤٧	٪٦	٤٨٠٤	٪٧١	١٥٣٥	٪٢٣
اناث	٣٦٧٨	٤٣٤	٪١٢	٢٤٤١	٪٦٦	٨٠٣	٪٢٢
ذكور و اناث	١٠٤٦٤	٨٨١	٪٨	٧٢٤٥	٪٦٩	٢٣٣٨	٪٢٣

وبهذا فان الصورة تصبح على الشكل التالي من حيث التوزع العام . مجموع الفلسطينيون دون العشرين عاما هو ١١٧٩٣ من جدول رقم (٩) مضافا الى رقم ١٥٦٧٢ (بحسب ما شرح أعلاه) ،فيصبح مجموع هذه الفئة ٢٧٤٦٥ فردا*. ومجموع الفلسطينيين

** لان الزيادة الطبيعية هي نسبة مجموع المواليد الى نسبة مجموع الوفيات . ولذلك فان الرقم الحقيقي للمولودين هو أعلى من ٢ ½ ٪ التي روعيت سنويا ، لانه حسم من الرقم الحقيقي للمولودين حوالي ١ ¼ ٪ نسبة الوفيات سنويا .

* هذا الرقم قليل نظرا لما شرح في حاشية سابقة .

ما بين ٢٠ و٣٩ هو ١٤٧٥٤ من الجدول رقم (٩) مضافا الى رقم ٢٠٠٠ (بحسب ما شرح اعلاه) فيصبح مجموع هذه الفئة ١٦٧٥٤ فردا . وأما مجموع الفلسطينيين فوق الـ ٤٠ عاما فهو ٤٣٨٠ من الجدول رقم (٩) مضافا الى رقم ٥٩٧١ (بحسب ما شرح اعلاه) فيصبح مجموع هذه الفئة ١٠٣٥١ فردا . ولهذا فان الجدول رقم (١١) يوضح أعمار الفلسطينيين في أميركا بحسب الفئات الثلاث في نهاية عام ١٩٧٦ .

الفلسطينيون بحسب الاعمار في الولايات المتحدة حتى نهاية حزيران ١٩٧٦

الجدول رقم (١١)

المجموع	تحت الـ ٢٠ عاما	النسبة المئوية للمجموع	٢٠ و٣٩ عاما	النسبة المئوية للمجموع	٤٠ فما فوق	النسبة المئوية للمجموع
٥٤٥٧٠	٢٧٤٦٥	٪٥٠	١٦٧٥٤	٪٣١	١٠٣٥١	٪١٩

ان الشبيبة دون العشرين عاما تشكل ، على الأقل ، ٥٠٪ من مجموع الفلسطينيين ، بينما يشكل الشباب ما بين ٢٠ و٣٩ عاما ٣١٪ من مجموع الفلسطينيين ، وما فوق الاربعين عاما يشكلون ١٩٪ من مجموع الفلسطينيين . كما تجدر الاشارة الى ان ٢/٣ الشبيبة (دون العشرين) هم من المولودين في اميركا مما يعني اعتبار اغلبيتهم الساحقة ، ان لم نقل جميعهم ، لا يعرفون اللغة العربية ، وجميعهم قطعا لا يعرفون العربية قراءة وكتابة .

---

(١) ***Annual Report,*** Immigration and Naturalization Service, 1941- 1950 Tab 6.

(٢) *Op. Cit.* 1951- 1960 Tab. 6.

(٣) *op. Cit.* 1970- 1976, Tab. 6.

(٤) Abu- lughod, ***Journal of Palestinian Studies,*** Vol. II, NB. 3 spring 1973, P. 97.

(٥) Nabil Shaath, High level Palestinian Manpover, ***Journal of Palestinian Studies*** , Vol. I No. 2, 1972, P. 81.

(٦) Arab World File, I- P. 24 august 13, 1975, No. 353.

(٧) I. Shammout, Palestine- Illestrated Political History, cultural and art section- Dept. of Information and National

---

** هذا الرقم مرتفع قليلا نظرا لان الوفيات (المطروحة من الزيادة الطبيعية) تأتي غالبا منه .

Guidance, P.L.O. 1972.

(٨) *Asaid S. Kasses, The People of Ramallah:* A People of Christian. Arab Heritage, unpublished dissertation. The Florida State University, 1971 PP. 50- 55.

(٩) بلال الحسن **الفلسطينيون في الكويت** ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ١٤ ـ ١٦ .

(١٠) Janet Abu- ughod, *The Demographic Transformation of Palestine*, P. 162.

(١١) *Statistical Abstract of Israel*, 1961, No. 12 (Jerusalem), and Ministry of Foreingn Affairs, Facts about Israel, 1963 (Jerusalem), table on, P. 48.

(١٢) *Department of Statistics*, Jordan, 1962, (Amman) table 7, P.7.

(١٣) *Annual Report:* Immigration and Naturalization Service, 1972, P. 6.

يصدر قريبا
عن مركز الأبحاث

التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني

الجزء الثاني
١٩٤٨ ـ ١٩٦٧

تاليف

نبيل أيوب بدران

يصدر قريبا
عن مركز الابحاث

اليوميات الفلسطينية
المجلد الحادي والعشرون

مجلد ضخم ، يعرض وقائع القضية الفلسطينية عرضا تفصيليا ، يوما بيوم ، بدءاً من ١/١/١٩٧٥ الى ٣٠/٦/١٩٧٥ .

حسام الخطيب

الحوار البرلماني العربي ـ الاوروبي

مدخل : الحوار ـ البرلماني والحوار الرسمي

تشكل تجربة الحوار البرلماني العربي الاوروبي ، بالنسبة للجانب العربي ، قناة اتصال دولية شديدة الاهمية ، تهدف الى اقامة جسر من التعارف والتفاعل بين البرلمانيين العرب والبرلمانيين الاوروبيين ، تحقيقا للتفاهم الدولي من جهة ، ومن جهة ثانية خدمة للقضية العربية في المجال البرلماني الدولي ، من خلال طرح اسس هذه القضية بدقة وايجابية ، وتعريف البرلمانيين بها على اوسع نطاق ، ومحاولة تشكيل سياج برلماني دولي مؤيد للحق العربي ولتطلعات الشعب العربي في الوحدة والتحرير والتنمية والعدالة الاجتماعية والاسهام الحضاري في العالم المعاصر .

ومنذ البدء اعتبر الحوار البرلماني مكملا لتجربة الحوار العربي الاوروبي الرسمي ، الذي ولدت فكرته في اعقاب حرب تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٣ ، نتيجة لشعور اوروبا الملموس بالمعاناة الاقتصادية وبالخطر الامني . وكان تأمين تدفق البترول بالنسبة لاوروبا عاملا اساسيا من عوامل اهتمامها بالحوار .

كذلك وجد لدى العرب شعور باهمية الموقف الاوروبي بالنسبة للقضية العربية . وهكذا اقر مؤتمر القمة العربي في الجزائر بتاريخ ٢٦/١١/١٩٧٣ بحث اسس العلاقات العربية الاوروبية وبدء الحوار ، كما اقر مؤتمر القمة للمجموعة الاوروبية (كوبنهاغن ، ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣) مبدأ الاسهام الاوروبي الموحد في حل نزاع الشرق الاوسط ، ومبدأ الترابط بين الاستقرار الاقتصادي وتسوية النزاع في الشرق الاوسط .

وقد شكل الاوروبيون من جانبهم لجنة خبراء وكذلك فعل العرب ، الا ان الحوار لم يأخذ طابعا جديا الا في وقت لاحق وذلك بسبب تفاوت المواقف السياسية الاوروبية وعدم ارتياح الولايات المتحدة الامريكية في البدء لظهور مبادرة اوروبية مستقلة .

وقد شهد عام ١٩٧٥ سلسلة من اجتماعات لجنة الخبراء العرب والاوروبيين (القاهرة

حزيران ـ يونيه) ، روما (تموز ـ يوليه) ، ابو ظبي (تشرين الثاني ـ نوفمبر) ، ووضح تماما ان الجانب الاوروبي يعمل على التركيز على النواحي الاقتصادية والتملص من اي بحث سياسي ، ولكن حتى بالنسبة للنواحي الاقتصادية كان موقفه شديد التحفظ .

واخيرا عقدت دورة لكسمبورغ في ايار (مايو) سنة ١٩٧٦ على صعيد اللجنة العامة ـ اي مستوى السفراء ، وتم ذلك بضغط من الدول العربية . وقد واجه الحوار صعوبات كثيرة في مؤتمر لكسمبورغ ، ومع ذلك تمخض المؤتمر عن انشاء لجان ومجموعات متخصصة لاعداد الدراسات التي تشمل النواحي التجارية والصناعية والتكنولوجية ومسائل البنية التحتية . وقد عكس بيان لكسمبورغ ، الذي ظهر بعد معاناة كبيرة ، وجود هوة في الموقف السياسي تجاه القضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الاوسط وهوة اخرى في الموقف الاقتصادي ، ومع ذلك فمن الممكن اعتباره خطوة الى الامام .

وقد تبعت هذه الخطوة المتأنية خطوة اخرى تمثلت في اجتماع الجمعية العامة للحوار العربي الاوروبي في تونس (٧ ـ ١٣ شباط ـ فبراير ١٩٧٧) حيث اتخذ الحوار طابعا اكثر شمولا واتضح فيه التباين بين الموقف العربي والموقف الاوروبي ليس على الصعيد السياسي فحسب بل كذلك على الصعيد الاقتصادي .

وفيما يلي بعض الملاحظات التي يمكن ان تساعد على تكوين فكرة عن حصيلة هذا الحوار .

☐ ١ ـ كرر البيان السياسي للاوروبيين المواقف السابقة للمجموعة الاوروبية ، بل اكثر من ذلك ألحق بتصريح مفاده « ان المجموعة الاوروبية لا يمكن ان تسمح لاخرين ان يحددوا لها ما يجب ان تكون عليه علاقات المجموعة باسرائيل. » ولا يخفى ما في هذه الجملة من استفزاز للطرف العربي .

☐ ٢ ـ وافق الجانب الاوروبي بصعوبة على تشكيل لجنة سياسية مشتركة خاصة بالمؤتمر ورفض تشكيل لجنة دائمة لمتابعة الحوار السياسي وان كان وعد بدراسة هذا الامر .

☐ ٣ ـ بدا تقدم واضح في موقف المجموعة الاوروبية من انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان في الاراضي المحتلة على النحو التالي .

☐☐ ـ ابداء مشاعر القلق نحو استمرار الاحتلال الاسرائيلي لمناطق كبيرة من الاراضي العربية .

☐☐ـ التمسك بانطباق اتفاقية جنيف الرابعة على سكان الاراضي المحتلة ومعارضة اية تعديلات في الطابع الاقليمي والسكاني لهذه المناطق وخاصة سياسة اقامة مستعمرات فيها . والمعارضة في اتخاذ خطوات من جانب واحد في تبديل كيان مدينة القدس .

☐☐ ـ رفض استمرار ما يسمى بسياسة (خلق الحقائق)التي تثير المصاعب امام المفاوضات .

ولكن الموقف من حقوق الشعب الفلسطيني لم يظهر اي تقدم بل اظهر ربطا لمفهوم اوسع للتسوية الشاملة.

□ ٤ ـ لم تتبلور اية خطوات محددة فيما يتعلق بالتعاون الاقتصادي ، وكان الجانب العربي يرافع لصالح اتفاقيات عامة تجارية وتكنولوجية بين الدول العربية والمجموعة الاوروبية، في حين اصر الجانب الاوروبي على الانطلاق من مشروعات صغيرة محددة وذات طابع تدريبي او بحثي ، كذلك اتضح تفضيل الجانب الاوروبي لعقد اتفاقيات ثنائية بين كل دولة واخرى بدلا من الاتفاقات الشاملة(*) . ومع ذلك يمكن القول ان هناك لجانا اختصاصية مهمة شكلت من اجل اعداد دراسات عينية محددة في مجال التبادل التجاري ونقل التكنولوجيا والتعاون المالي والايدي العاملة .

والحق انه بعد هذه الولادة العسيرة امكن عقد اجتماعات اكثر نجاحا فيما بعد ، اهمها دورتا اللجنة العامة لسنة ١٩٧٧ ، الاولى في تونس (شباط ـ فبراير) والثانية في بروكسل (تشرين الاول ـ اوكتوبر) ، وكانت هذه نقطة تحول بما تم فيها من اقرار مبدئي لبعض المشروعات ، وكذلك بنتيجة قرار الجامعة العربية برصد ١٥ مليون دولار لتمويل الحوار . وقد استكمل الحوار في هذه الدورة هيكله العام ووضحت خطوطه الرئيسية سواء من حيث التمويل او التنظيم والتنفيذ كما حدث تقدم ملموس في الموقف الاوروبي من القضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الاوسط ، اذ تبنى الطرف الاوروبي في الحوار بيان المجموعة الاقتصادية الاوروبية (السوق الاوروبية المشتركة) الذي صدر في ٢٩ حزيران ١٩٧٧ والذي طالب بانهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية ، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما في ذلك امكان قيام وطن لهذا الشعب من خلال تسوية متفاوض عليها .

وقد تعثر الحوار بعد ذلك بسبب انشقاق النظام المصري عن الصف العربي وسعيه وراء الحل الثنائي الاستسلامي والتعاون مع العدو . ومع ذلك امكن في نهاية عام ١٩٧٨(٩ ـ ١١ كانون الاول ـ ديسمبر) عقد لجنة الحوار العربي الاوروبي في دمشق مع تأييد قوي من الجمهورية العربية السورية ، وقد تمخض هذا الاجتماع عن تقدم ملموس في تحديد المشروعات العربية الاوروبية المشتركة . ويعتبر هذا الاجتماع بداية مرحلة الانتقال من النظريات والدراسات العامة الى المشروعات المحددة التي يجري العمل على بلورتها منذ ذلك التاريخ ، ولكن ببطء ملحوظ .

مؤتمر دمشق البرلماني وبداية الطريق

أتت قناة الحوار البرلماني الاوروبي لتكمل طريق الحوار الرسمي الذي يتم باشراف كامل من الجامعة العربية وجهاز المجموعة الاقتصادية الأوروبية . وقد بدأ الحوار البرلماني ب(المؤتمر التحضيري الاول للتعاون البرلماني العربي الاوروبي) الذي عقد في مقر مجلس الشعب بدمشق في الفترة الواقعة بين ١٢ ـ ١٩٧٤/٩/١٧ ، وحضره عن الجانب العربي وفود تمثل البرلمانات في الاقطار العربية التالية . الاردن ، البحرين ، تونس ، السودان ، سورية ، فلسطين ، الكويت ، لبنان ، مصر ، موريتانيا ، اليمن الديمقراطية ، وحضره من

---

* تقتضي الدقه أن نشير الى أن غدداً لا بأس من الدول العربية كان أحيل الى الاتفاقات الثنائية ، بل كان بعضها يخشى ان تؤثر الاتفاقات الشاملة على تعاملها الثنائي الخاص مع بعض الدول الاوروبية .

الجانب الاوروبي برلمانيون من دول المجموعة الاوروبية . هولندا ، المانيا الاتحادية ، ايطاليا ، ايرلندا ، بريطانيا ، بلجيكا ، فرنسا ، لكسمبورغ .

وقد كان الاعداد العربي للمؤتمر ممتازاً . ومنذ البدء حرص مجلس الشعب العربي السوري على حشد الامكانات البرلمانية العربية من خلال الاتصالات الثنائية مع البرلمانات الشقيقة من جهة ، وكذلك من خلال الاتحاد البرلماني العربي الذي كان وقتذاك مجرد بذرة في طريق النمو ، ذلك انه اسس في دمشق في ٢١/٦/١٩٧٤ ، وكانت رئاسة دورته الأولى لسورية (الرئيس محمد علي الحلبي) ، مما ساعد على توجيه طاقته منذ البدء لخدمة قضايا الوحدة والتحرر في الوطن العربي .

وقد وضع مجلس الشعب جميع امكاناته من مادية ومعنوية تحت تصرف (المؤتمر التحضيري للتعاون البرلماني العربي الاوروبي) . وجرى حشد الكفاءات العربية السورية المختلفة ولا سيما من اطاري جامعة دمشق ووزارة الخارجية ، واعدت الدراسات والمذكرات اللازمة ، بتعاون كامل من منظمة التحرير الفلسطينية ، ومشاركة متفاوتة من قبل البرلمانات العربية الأخرى التي كان اسهامها في الاتحاد البرلماني العربي ما يزال في مدارجه الأولية .

وواجهت تجربة الحوار مع البرلمانيين الاوروبيين مصاعب ناتجة عن تفاوت معرفة كل منهم بجوانب الصراع في الشرق الاوسط وتباين عواطفهم تجاه الطرفين . وقد كشف المؤتمر عن وجود مفهومات كثيرة مغلوطة لدى الجانب الاوروبي ، وعن جهل شديد لدى بعض المشاركين من الاوروبيين بحقائق الصراع العربي الصهيوني . وبعد مداولات شاقة امكن في النهاية التوصل الى مقررات سياسية واقتصادية وثقافية ذات شأن .

خلاصة مقررات مؤتمر دمشق

☐ أ ــ كان اهم ما قرره المؤتمر على **الصعيد السياسي :**

ــ تنفيذ قرارات هيئة الامم المتحدة المتعلقة بقضية فلسطين ومشكلة الشرق الاوسط .

ــ الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

ــ قيام اوروبا بدورها الهام في اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط واتخاذ خطوات تالية لتصريح الدول التسع في ٦ (تشرين الثاني ــ نوفمبر) ١٩٧٣ .

ــ حث جميع البرلمانيين في اوروبا وفي العالم لبذل كل الجهود لتأمين النجاح المنشود لمؤتمر جنيف للسلام .

☐ ب ــ وعلى **الصعيد الاقتصادي** اقر المؤتمر مبادىء اساسية من اهمها .

ــ الترابط الوثيق بين اقتصاديات اوروبا والعالم العربي .

ــ امكان التعاون الواسع من خلال التكنولوجيا الاوروبية والارصدة والمواد الاولية العربية .

ــ ضرورة توسيع التجارة بين البلدين .

ـ ضرورة تزويد اوروبا بكميات كافية من النفط وتلافي زيادات الاسعار عن طريق ايجاد استقرار عام في اسعار المواد الاولية والبضائع المصنعة .

ـ الاقتصاد في استخدام النفط والتعاون لايجاد مصادر بديلة للطاقة .

ـ استثمار الارصدة العربية في اوروبا والبلاد العربية استثمارا خلاقا ، وانشاء مشروعات مشتركة في كلتا المنطقتين .

ـ حق العرب في السيطرة على مصادرهم الطبيعية والمالية والاسهام في القضايا النقدية الدولية .

ـ اعتبار السلم ، وخاصة في الشرق الاوسط ومنطقة البحر الابيض المتوسط ، شرطا أوليا لتحقيق التنمية في العالم العربي واوروبا على حد سواء .

ـ دور التعاون الاقتصادي بين المنطقتين في احلال السلام وتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالشرق الاوسط وقضية فلسطين .

ـ ضرورة استئناف الحوار وتوسيعه .

ولم يكن من السهل في إبانه الاتفاق على النقاط السابقة، وقد استغرقت كل نقطة تقريباً وقتاً طويلا ومناقشات مضنية ، كما أثارت بعض النقاط جدلا حاداً بين المندوبين الأوروبيين أنفسهم .

□ جـ ـ وعلى **الصعيد الثقافي** اقر المؤتمر توصيات كثيرة تتعلق بايجاد السبل لتيسير التبادل الثقافي والفني والاعلامي وتعريف كل من الطرفين بتاريخ الطرف الآخر وثقافته والتعاون بين المؤسسات الفكرية والجامعية والاعلامية الاوروبية والعربية .

استمرار الاتصالات والتمهيد لمؤتمر لكسمبورغ

بعد مؤتمر دمشق استمرت الاتصالات مع الجانب الاوروبي ، وقد ساعد على ذلك نشوء جهازين يجمعان كل طرف ، ذلك ان كلا من **الاتحاد البرلماني العربي والرابطة البرلمانية للتعاون العربي الاوروبي** (مقرها باريس) استكملا بالتدريج وضعهما التنظيمي واخذا دورهما الاداري والتنسيقي كل فيما يخصه . وهكذا جرى تنظيم الاتصالات بعد مؤتمر دمشق عن طريق الامانة العامة للاتحاد والامانة العامة للرابطة . وقد عقدت اجتماعات ولقاءات مصغرة بين الاتحاد والرابطة كان ابرزها التقاء الوفود العربية مع اللجنة التنفيذية للرابطة في باريس في نهاية شهر نيسان واوائل شهر ايار من عام ١٩٧٦ على اثر انتهاء اجتماعات مجلس الاتحاد البرلماني الدولي في المكسيك . وتبع ذلك ايضا اجتماع في ايرلندا واتصالات بين الامانتين العامتين ، مما ادى الى وضوح طريق العمل نتيجة لرغبة الطرفين في تطوير البذرة التي بدأت في مؤتمر دمشق التحضيري . وشهد مطلع عام ١٩٧٧ نشاطا مكثفا بهذا الصدد بين الاتحاد والرابطة ، وتبلورت فكرة عقد مؤتمر عام للحوار البرلماني العربي الاوروبي في مقر البرلمان الاوروبي في لكسمبورغ في الفترة الواقعة بين ٣٠ حزيران الى ٢ تموز عام ١٩٧٧ .

وقد تولى الاتحاد البرلماني العربي التنسيق بين الشعب البرلمانية العربية من اجل الاعداد لمؤتمر لكسمبورغ ، وجرى توزيع العمل على البرلمانات العربيـة ، وعقـدت الاجتماعات التحضيرية التالية في دمشق .

□ **أ ـ اجتماع اللجنة التحضيرية العربية :** خلال يومي ٣٠ نيسان والاول من ايار ، وقد حضرها ممثلون عن الشعب البرلمانية في كل من الاردن ودولة الامارات العربية المتحدة وسورية ومصر وفلسطين والسودان والجمهورية العربية اليمنية ... وعقدت اللجنـة اجتماعات مكثفة فيها اعداد وجهة نظر عربية كاملة ازاء جدول الاعمال وخطوط الموضوعات المقترحة وطريقة تنظيم المؤتمر ، كما جرى اعداد اوراق عمل عربية مشتركة مبنية على اساس الاوراق التي قدمتها مختلف الشعب ، لكي تقدم هذه الاوراق الى اللجان الثلاث في لقاء لكسمبوزغ . اللجنة السياسية ، اللجنة الاقتصادية ، اللجنة الثقافية .

□ **ب ـ اجتماع اللجنة التحضيرية العربية الاوروبية :** وقد عقد هذا الاجتماع فور انتهاء الجانب العربي من اجتماعاته واستغرق يومي ٣,٢ ، ايار ١٩٧٧ ، وحضرته الوفود العربية المذكورة في الفقرة السابقة بالاضافة الى ممثلي الجانب الاوروبي السادة . ريمون اوفروا ، الرئيس المشارك لجمعية التعاون البرلماني العربي الاوروبي ، وتيجل دوكليرك (بلجيكا) ، وفان إلسن (هولندا) وروبرت سوان ، الامين العام للجمعية .

وقد التقى الطرفان العربي والاوروبي في الثاني من ايار في دمشق واستهل الاجتماع بكلمة ترحيبية القاها السيد الرئيس بهجت التلهوني رئيس الاتحاد البرلماني العربي ، والقى السيد ريمون اوفروا الرئيس المشارك لجمعية التعاون البرلماني العربي الاوروبي كلمة عامة تتعلق بالحوار العربي ـ الاوروبي وبالقضايا المشتركة بين اوروبا والوطن العربي .

وقد تابعت اللجنة المشتركة عملها خلال يومي ٣,٢ ايار (مايو) ١٩٧٧ وتداولت في اوراق العمل التي قدمت اليها من الجانبين العربي والاوروبي ،وانتهت الى اتفاق كامل حول الموضوعات التي ستطرح على جدول اعمال مؤتمر لكسمبورغ وعلى طريقة تنظيم عمل المؤتمر ولجانه ، وعلى البرنامج اليومي للمؤتمر ، كما جرى اقرار مواعيد معينة لتقديم الدراسات واوراق العمل ، وأنيط ترتيب كل هذه الامور بالامانة العامة للاتحاد .

□ **ج ـ اجتماع ما قبل المؤتمر :** كما عقد قبيل المؤتمر اجتماع نهائي في دمشق ضم المندوبين العرب الذين كلفوا بتحضير ورقات العمل السياسية والاقتصادية والثقافية ، وعقدت الاجتماعات في مقر الاتحاد البرلماني العربي وفي مجلس الشعب السوري الذي اسهم بكل امكاناته للتحضير النهائي لأوراق العمل . واسفرت الاجتماعات عن الاقرار النهائي لاوراق العمل العربية في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية .

مؤتمر لكسمبورغ

تم عقد المؤتمر الثاني للتعاون البرلماني العربي الاوروبي في لكسمبورغ في الفترة الواقعة بين ٢٩ حزيران يونيو ـ ٢ تموز (يوليو) ١٩٧٧ ، وكان مستوى الحضور العربي رفيعا ، واتى تمثيل البرلمانات العربية جيدا ، سواء من حيث الكفاءة السياسية او من حيث تنوع

الاختصاص ، اذ ضمت الوفود كفاءات سياسية واقتصادية وثقافية متنوعة ، وانضم اليها عدد من السفراء العرب ومندوبي الجامعة العربية في دول المجموعة الاوروبية .

وحضر من الجانب الاوروبي السيدة لينوليت فون بوثمر والسيد ريمون اوفروا رئيسا جمعية التعاون البرلماني العربي الاوروبي . وقد حضرت وفود من فرنسا وايطاليا وهولندا والمانية الاتحادية وبلجيكا وبريطانيا العظمى ولكسمبورغ . ولم يحضر احد من الدانمرك ولم يعط اي تفسير لذلك . كما ان ممثل ايرلندا السيد فلاناجان هو نائب سابق ومتقاعد . والحقيقة انه كان بين الممثلين الاوروبيين عدد من النواب السابقين . كما ان بعضهم حضروا ليوم واحد وغادروا المؤتمر. وكان من ابرز الاوروبيين السيد كريستوفر ماهيو (بريطانيا) وهو نائب سابق.وقد اسهم اسهاما جيدا في اعمال اللجنة السياسية السناتور ليليو باسو (ايطاليا). ودنيس ولترز واندرو فولدر (بريطانيا) وجورج كليرفيت وتيجيل دوكليرك (وكلاهما من بلجيكا) والجنرال فان ايلسن (نائب سابق) وكلاس دوفريز (من هولندا) وكانوا جميعا فعالين في المؤتمر .

ووفقا لما جرى عليه الاتفاق خلال اجتماعات اللجنة التحضيرية المشتركة ، عقدت جلسة الافتتاح في الساعة العاشرة من صباح يوم ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٧٧ والقيت فيها الكلمات التالية التي دلت على الطابع الرسمي للاجتماع .

١ ـ كلمة ممثل حكومة لكسمبورغ (وزير الزراعة)
٢ ـ كلمة ممثل البرلمان الاوروبي
٣ ـ كلمة ممثل الجامعة العربية
٤ ـ كلمة ممثل المجموعة الاقتصادية الاوروبية
٥ ـ كلمة رئيس الاتحاد البرلماني العربي
٦ ـ كلمة رئيس جمعية التعاون البرلماني الاوروبي العربي

وقد عقد مؤتمر صحفي عقب جلسة الافتتاح مباشرة .

وخلال جلسات المؤتمر بحثت الموضوعات التالية بناء على اوراق عمل مقدمة من قبل الجانبين العربي والاوروبي :

□ اللجنة السياسية

١ ـ الموقف الراهن في الشرق الاوسط
٢ ـ المبادرات الاوروبية المحتملة للتوصل الى حل عادل لمشكلة الشرق الاوسط .
٣ ـ حماية حقوق الانسان في الاراضي العربية المحتلة
٤ ـ الحوار الاوروبي العربي ومشكلاته

□ اللجنة الاقتصادية

١ ـ المشروعات المشتركة من اجل رخاء البلدان العربية والاوروبية والافريقية
٢ ـ التعاون الاقتصادي الاوروبي العربي

□ **اللجنة الثقافية**

١ ــ نحو برنامج لتحسين التفاهم المتبادل من خلال معرفة تاريخ وحضارة المجتمعين الاوروبي والعربي .

٢ ــ مقترحات لتطوير الصلات الثقافية والاجتماعية بين الوطن العربي واوروبا..

وقد انتهت اللجان الى تحليل واف بالغرض وتوصيات محددة نجلمها فيما يلي .

خلاصة مقررات مؤتمر لكسمبورغ

١ ــ **البيان السياسي** : يرحب المؤتمر البرلماني العربي الأوروبي ببيان الشرق الأوسط الذي اصدره المجلس الاوروبي في التاسع والعشرون من حزيران (يونيو) سنة ١٩٧٧ ، باعتباره يكشف عن عزم اجتماعي لدى اقطار المجموعة الاقتصادية الاوروبية لان تلعب دوراً بناء في البحث عن السلام وعن خطوة بارزة نحو تسوية عادلة .

ويلاحظ المؤتمر بارتياح أن الاعلام الجديد للمجلس الأوروبي يمضي قدماً باتجاه السياسة التي اقترحتها رابطة التعاون البرلماني العربي الأوروبي على مجلس وزراء المجموعة الأوروبية .

على أن المؤتمر يبدي أسفه لأن بيان المجلس لم ينص بالتحديد على أن وطن الشعب الفلسطيني يجب أن يكون دولة مستقلة ذات سيادة .

ومن خلال ادراك الخطر المرتقب لحرب جديدة لن تقتصر عواقبها غير المحدودة على بلدان الشرق الأوسط بل ستتناول العالم بأسره وأوربا بشكل خاص ، فان المؤتمر يطالب بالعمل السريع والفعال في سبيل ما يلي .

١ ــ انهاء الاحتلال المستمر للأراضي العربية والتأكيد على وجوب قيام جميع الأطراف المعنية بتطبيق مقررات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن .

٢ ــ ايقاف بناء المستعمرات الاسرائيلية في الأراضي العربية باعتبار أن كل مستعمرة تمثل ركيزة اعداد للحرب .

٣ ــ انهاء الانتهاك الاسرائيلي المستمر لحقوق الانسان وبشكل خاص ممارسة تعذيب السجناء السياسيين .

٤ ــ انهاء الوضع الخطير في جنوب لبنان حتى تتمكن السلطات الشرعية من إعادة السلام والأمن .

وباعتبار أن الأمن الأوروبي يعتمد على السلام في الشرق الأوسط ، فان المؤتمر يدعو الحكومات المعنية للعمل على .

أ ــ عقد مؤتمر جنيف في وقت مبكر ، مع مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني .

ب ـ إقامة جهاز دائم على المستويين الوزاري والبرلماني لتقوية التشاور السياسي من خلال الحوار العربي الأوروبي .

ويتطلع المؤتمر إلى مبادرات أوروبية أخرى باتجاه احلال السلام العادل ، ويعلن تأييده الكامل لمثل هذه المبادرات .

٢ ـ **المقررات الاقتصادية ـ برنامج العمل :** يدعو المؤتمر البرلماني العربي الأوروبي الى اقامة عمل دائم لصالح التعاون الاقتصادي العربي الاوروبي .

ويجب أن يكون الهدف النهائي لهذا التعاون هو الوحدة الاقتصادية الحقيقية لتأمين حياة انسانية أفضل للشعوب العربية والأوربية عن طريق تدعيم السلام والازدهار والعدالة ، وفقاً لما جاء في مؤتمر دمشق .

لذلك يحدد مؤتمر التعاون البرلماني العربي الأوروبي ما يلي .

١ ـ يجب أن ينبع التعاون الاقتصادي العربي الأوروبي من رغبة سياسية ، وأن يأخذ بعين الاعتبار المتطلبات السياسية لهذا التعاون . والظروف الضرورية للتطور الاقتصادي تكمن في إيجاد سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط . هذا يعني انهاء حالة الحرب واعادة الأراضي المحتلة من قبل اسرائيل واستعادة الحقوق القومية المشروعة للشعب الفلسطيني ، كما يعني ضمان أمن وازدهار أوروبا .

٢ ـ يجب أن توضع توصيات اللجنة العامة لمؤتمر تونس موضع التنفيذ ، كما يجب زيادة دعم الدول العربية والأوروبية للحوار العربي الأوروبي .

٣ ـ يستلزم الاعتماد والتكامل الاقتصادي المتبادل بين الدول العربية وأوروبا وضع سياسة متوسطة وأخرى طويلة المدى ، بصورة فورية ، لتحقيق التعاون الاقتصادي وذلك بحشد الطاقة البشرية العربية والمواد الأساسية ، والتكنولوجيا والادارة الأوروبية .

٤ ـ كما أنه لا بد للتعاون الاقتصادي العربي الأوروبي من تخطي مستوى التبادل التجاري ، ولهذا فانه ليس من الممكن حصر (أو تحديد) التعاون بالبترول أو أي مواد أساسية أخرى . بل على العكس يجب أن يهدف الى اتاحة الفرصة الكافية للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للدول العربية من خلال المشاريع الصناعية والاسكانية والخدمات الاجتماعية (الخبرات التعليمية ، الصحية ، الفنية ، والادارية) .

كما يجب اتاحة الفرصة لوصول (أو استخدام) التقنية الحديثة في مجالات التعاون الاقتصادي واعتماد الدول النامية عليها في مستلزماتها الاقتصادية والاجتماعية والمحيطية المعينة ، على مختلف مستويات تطورها . (قرار هيئة الأمم المتحدة رقم ٣٢٠٢ الصادر بتاريخ ١ أيار (مايو) ١٩٧٤ . لذلك كانت الاتفاقات الدولية التي تلي الاتفاقات الثنائية تحظى بأهمية كبرى .

٥ ـ يجب دراسة دور وضع الشركات المتعددة الأطراف ، وعلى الأخص بالنسبة للأخطار التي قد تنشأ عن بعض فعالياتها والتي تؤثر على سيادة الدول العربية فيما يختص ببرامجها المعدة للتطوير الاقتصادي ، وفيما يتعلق بمواردها القومية .

ويجب التحضير لفترة ما بعد عصر البترول بالنسبة للدول المنتجة للبترول وذلك بتطوير تركيبها الاقتصادي .

٦ ــ كذلك ينبغي الاهتمام بالدورة المالية للواردات (الدولارات) البترولية ، واستخدامها في إطار تطوير مختلف الدول العربية . كما يجب دمج الاستثمارات العربية في أوروبا والاستثمارات الأوروبية في الدول العربية . في مجموعة ضمانات متبادلة لتحقيق الاعتماد المتبادل بين المنطقتين ، وتوفير الضمانات اللازمة لمناخ ملائم للاستمثارات الخاصة .

٧ ــ يجب تحضير قائمة أولويات لتنفيذ التعاون والتنسيق من خلال المشاريع المشتركة في التطوير الصناعي والتطوير الزراعي الصناعي .

٨ ــ وفي مجال التطوير الزراعي يجب تحقيق التعاون بزيادة الانتاجية في الزراعة وزيادة عدد مزارع تربية الماشية وأحواض الأسماك .

٩ ــ ويجب التحضير لمشاريع التعاون المتعلقة بالبنية التحتية (الطرقات العامة ، السكك الحديدية ، المرافىء) وتسهيلات المواصلات ، والتدريب المهني للقوة العاملة .

١٠ ــ انشاء مشاريع مشتركة لتطوير حقول البترول والغاز الطبيعي الموجود حالياً واستكشاف وتطوير حقول جديدة في الدول العربية والافريقية .

١١ ــ يجب على دول السوق المشتركة أن تقدم للدول العربية التقنية المتقدمة لخلق مناخ ملائم للاستثمارات الأوروبية في الدول العربية . وبهذه المناسبة فان اللجنة توصي بأن تعطى أولوية في هذا المجال لتدعيم الجهد العربي المبذول في إعادة بناء لبنان بالمزيد من التقنية حتى يعود الى حالته الطبيعية في أقصر مدة ممكنة .

توصيات اللجنة الاقتصادية

١ ــ سيجري انشاء لجنة فرعية للجنة الاقتصادية على ان يسمى نصف اعضاء هذه اللجنة من قبل الجانب العربي ، والنصف الاخر من قبل الجانب الاوروبي ، على الا يتجاوز مجموع عدد أعضاء هذه اللجنة الفرعية ستة اعضاء .

٢ ــ تكون مسؤوليات هذه اللجنة الفرعية .

أ ــ اجراء مسح وتقييم لأولويات المشاريع التي يمكن تحقيقها .

ب ــ متابعة تطورات الحوار العربي الأوروبي بما أمكن من الدقة وبشكل انتقادي .

جـ ــ تحضير تقرير مشترك للقاء القادم لرابطة التعاون البرلماني .

٣ ــ لاحظت اللجنة الاقتصادية باهتمام بالغ قائمة الأولويات المرفقة بمسودة التقرير الاقتصادي المقدم من الجانب العربي ، وستقوم باحالة القائمة الى اللجنة الفرعية لبحثها .

٣ ــ **المقررات الثقافية** : وادراكاً من اللجنة بأن مجال الثقافة واسع ومتشابك وفي تطور دائم ، فقد ارتأت وجوب اعداد خطتين أولاهما بعيدة المدى ، تحدد الأهداف الرئيسية

التي يجب أن تتخذها الرابطة في الميدان الثقافي . والثانية قريبة المدى تحدد المهام العملية التي لا بد من تنفيذها في المستقبل القريب . وهناك اجماع على ضرورة عقد اجتماع سنوي للجنة على الأقل من أجل متابعة تنفيذ هذه التوصيات .

الخطة البعيدة المدى : ١ ـ تأسيس معهد للدراسات العربية في أوروبا ، يتناول بالبحث والتدريس الجوانب التاريخية القديمة والمعاصرة للعالم العربي والحضارة العربية .

٢ ـ تنظيم محاضرات وأسابيع ثقافية بالتعاون مع السلطات المحلية والجامعات والمدارس وغيرها . لتعميق معرفة كل طرف بثقافة الطرف الآخر .

٣ ـ تشجيع التبادل السياحي بين الطرفين وتنمية وسائل استقبال السواح الأوروبيين في البلاد العربية .

٤ ـ تكوين جمعيات الصداقة بين الطرفين وكذلك تكوين شعب للصداقة العربية الأوروبية في البرلمانات العربية والأوروبية .

٥ ـ تدريس اللغة العربية في المدارس والجامعات الأوروبية وتشجيع تعليم اللغات الأوروبية في المدارس العربية .

٦ ـ تنمية اعلام متوازن عن العالم العربي في البلاد الأوروبية .

٧ ـ نشر الكتب والفهارس والبحوث التي تتعلق بالحضارتين العربية والأوروبية وعلاقاتهما المتبادلة وترجمة الكتب الأوروبية التي تبحث في اسهام الثقافة العربية في الحضارة المعاصرة .

٨ ـ إعادة النظر في الكتب المدرسية التي يصدرها كل من الطرفين حول الطرف الآخر والعمل على تصحيح المعلومات واستبعاد التحامل والأحكام السلبية .

٩ ـ اتخاذ جميع الاجراءات الممكنة للمحافظة على التراثين الأوروبي والعربي .

١٠ ـ تشجيع تبادل الزيارات بين الطلاب ومنظمات الشباب والأساتذة والباحثين ورجال الفن والمهن والعمال والمنظمات النسائية .

١١ ـ العمل على حماية حقوق المهاجرين العرب والأوروبيين .

الخطة القريبة المدى : ١ ـ تكوين جمعيات برلمانية للصداقة بين الطرفين كلما أمكن ذلك أو على الأقل محاولة زيادة عدد الأعضاء في الشعب الوطنية لجمعية التعاون البرلماني العربي الأوروبي .

٢ ـ على الرابطة أن تتصل بمنظمة اليونسكو لتدعوها إلى شن حملة لانقاذ التراث الثقافي الفلسطيني المعرض للدمار .

٣ ـ أن تعمل سكرتارية الرابطة على نشر دليل عن الجامعات والمعاهد الأوروبية التي تهتم بالأدب العربي ودراسة اللغة العربية .

٤ ـ أن توصي الرابطة السلطات الأوروبية والعربية على كل المستويات (وطنياً

واقليميا) باتخاذ جميع الوسائل لحماية حقوق جماعات العمال المهاجرين ولقمع جميع أعمال العنصرية والتعصب الأجنبي .

٥ ــ أن تعمل أمانة سر اللجنة الثقافية على عقد الصلات مع منظمات الشباب الأوروبية ، مثل مجالس ومنظمات الشباب الأوروبي ، وفروعها الأقليمية ، ومجلس اللجان الوطنية للشباب الأوروبي ، ومنظمات التعليم ودعوتها الى تنظيم تبادل الزيارات مع الشباب العربي .

٦ ــ بالنظر للدمار الخطير الذي تعرضت له المؤسسات الثقافية في لبنان ، فان اللجنة تدعو الحكومات والمؤسسات العربية والأوروبية لتساعد بسرعة وبسخاء لاعادة بناء المؤسسة الثقافية اللبنانية وتقويتها .

٧ ــ تدعو اللجنة الثقافية الرابطة لأن تحدد بأقرب مدة ممكنة ثلاث أفضليات تمثل المسائل الأساسية التي يجب أن تشكل جدول أعمال الاجتماع القادم للجنة الثقافية المقرر لعام ١٩٧٨. ويجب أن تدرس هذه البنود من قبل الشعب العربية والأوروبية قبل القدوم الى الاجتماع . وتوصي اللجنة بأن يكون أحد بنود الاجتماع متابعة وتقييم الخطة القصيرة المدى المتضمنة في هذا التقرير .

تقييم للمؤتمر ونتائجه

☐ أ ــ كان المؤتمر من حيث المبدأ خطوة مهمة في مجرى الحوار العربي الأوروبي بوجه عام ، وخطوة حاسمة في مجرى التعاون البرلماني بوجه خاص . وقد كان هناك مغزى سياسي كبير .

☐ ١ ــ لعقد المؤتمر في مقر البرلمان العربي الأوروبي في لكسمبورغ .

☐ ٢ ــ لحضور ممثلين عن حكومة لكسمبورغ من جهة والمجموعة الأوروبية من جهة أخرى .

☐ ٣ ــ لطبيعة الكلمات التي ألقاها هذان الممثلان ، وهي بوجه عام لا تتعارض مع وجهة النظر العربية وفيها تنويه بالمبدأين الأساسيين اللذين يستند إليهما الموقف العربي وهما : الانسحاب الاسرائيلي وحق الفلسطينيين في وطن قومي .

وبالطبع هذه الأمور تكون تحصيل حاصل لو أن الحوار يجري اصلا مع البرلمانات الأوروبية نفسها ، ولكن أهميتها تنبع من أن جمعية التعاون البرلماني هي التي تتولاه ، وتفسير ذلك ان الحوار يتجه وجهة رسمية تمثيلية أي أن الحكومات الأوروبية تنظر بارتياح إلى هذا الحوار ، وربما كان لديها استعداد لتطويره بحيث تصبح مشاركة برلمانات دول المجموعة الأوروبية فيه مشاركة رسمية تمثيلية لا مشاركة طوعية شخصية كما هو الحال الآن .(*) .

---

* تجري في الوقت الحاضر اتصالات مبدئية لاستئناف الحوار البرلماني على أساس تمثيلي ولا سيما مع المجلس الاوروبي .

□ ب ـ اكتسب المؤتمر أهمية سياسية كبيرة بسبب ظهور بيان لندن في التاسع والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٧٧ اي في العشية التي سبقت انعقاد المؤتمر . وقد تضمن هذا البيان لأول مرة احكاما من دول السوق الاوروبية المشتركة على ضرورة الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة وعلى ضرورة قيام الوطن الفلسطيني ، وكذلك استنكر سياسة اقامة المستعمرات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة، ويعتبر هذا البيان مهما بوجه خاص لانه كان معدا منذ عدة شهور ـ حسبما اوردت الانباء ـ ولم يصدر الا بعد مشاورات طويلة بين الحكومات الاوروبية وكذلك مع الولايات المتحدة الاميركية .

□ جـ انتهت اللجان الثلاث في المؤتمر إلى مقررات اجماعية ذات نغمة معتدلة جداً ، وروعي في المقررات أن تكون عملية وغير استفزازية وغير مضخمة .

قد راعت اللجنتان الاقتصادية والثقافية بوجه خاص النواحي العملية وطالبتا بتشكيل لجنة متابعة وتنفيذ للمقررات وهذا يدل على وجود الرغبة الصادقة في مباشرة العمل المشترك .

□ د ـ من ايجابيات المؤتمر الأساسية أن الوفود العربية انطلقت من خلال المذكرات التي أعدت أثناء الاجتماعات التحضيرية ولم تخرج غالباً عن هذه المذكرات ، وبدت موحدة الموقف والهدف ومنسقة التخطيط والتحرك . ولم يفت المندوبين أن يلاحظوا هذا الامر، بينما كان الجانب الأوروبي يعتمد على مساهمات شخصية وظهرت أوراقه موسومة بتواقيع شخصية ، ولم تكن صفتها التمثيلية قوية وإن لم يظهر في المؤتمر أي خلاف بين الأوروبيين فيما يتعلق بالمجالين الاقتصادي والثقافي .

وقد جرت بعد مؤتمر لكسمبورغ استعدادات عربية واوروبية واسعة لمتابعة الحوار والبدء بدراسة اساليب تنفيذ مقررات هذا المؤتمر . وشكل الجانب العربي لجانا خاصة لهذا الغرض ، اجتمعت في ابو ظبي في شهر ايار (مايو) ١٩٧٨ ، وعملت على وضع برنامج عمل محدد تمهيدا للالتقاء مع اللجان الاوروبية المقابلة . ولكن التطورات السياسية اللاحقة التي ادت الى توقيع السادات لمعاهدة الخيانة والاستسلام وما تبع ذلك من خروج النظام المصري على الصف العربي ، كل ذلك وضع الحوار البرلماني امام صعوبات كبيرة وادى الى اعاقة مسيرته . ومن المأمول ان يتم في مجلس الاتحاد البرلماني العربي القادم الذي سيعقد في مطلع العام ١٩٨٠ وضع استراتيجية جديدة للحوار .

آفاق الحوار البرلماني

وبعد هذا العرض لا بد ان يطرح الانسان اسئلة من مثل . اين يقف الحوار البرلماني من الحوار العام؟ ما هي اولوياته؟ وما هي آفاقه ؟

□ ١ ـ الامر الاول الذي لا بد من تذكره باستمرار ان الحوار البرلماني لا يمكن ان يكون بديلا للحوار الرسمي ولا عملا مستقلا عنه . بل هو رافد من روافد الحوار العام . ومن هنا كان من الضروري متابعة الاتصال بتطورات الحوار الرسمي والتنسيق معه ومعرفة النواحي التي يستطيع الحوار البرلماني ان يسهم فيها . ولكي يتحقق هذا الامر يحسن ان

يكون للاتحاد البرلماني العربي حضور (بصفة مراقب) في الاجتماعات الرئيسية للحوار الذي تديره الجامعة العربية(*) .

□ ٢ ــ يختلف الحوار الرسمي عن الحوار البرلماني . ومن طبيعة الحوار البرلماني انه غير ملزم للحكومات وان كان يشكل عنصر ضغط عليها .

ومن هنا يمكن استخدام الحوار البرلماني لاثارة حملات تمهيدية لصالح تثبيت المسائل التي يرى الجانب العربي ضرورة اعطائها الاولوية . ذلك ان الحوار البرلماني يستطيع ان يستقطب مجموعات ضاغطة من البرلمانيين يمكن ان تمهد السبيل امام الضغوط الرسمية كأن تجري حملة مثلا لصالح إقناع البرلمانيين الاوروبيين بالحقوق الراسخة للشعب العربي الفلسطيني او بضرورة توقيع اتفاق للتعاون التكنولوجي او غير ذلك .

□ ٣ ــ ان التنسيق لا يعني ان اولويات الحوار الرسمي هي بالضرورة اولويات الحوار البرلماني . ذلك ان الحوار البرلماني يتمتع بمجال واسع من الاختيارات السياسية والاقتصادية وبامكانه ان يقوم بأدوار نوعية خاصة،اي ان يبحث عن الثغرات الضعيفة ويحاول النفاذ من خلالها . واعتمادا على هذا المنطق مثلا لا يكون من الخطأ القبول التكتيكي باعطاء النواحي الاقتصادية في الحوار نوعا من الافضلية ومحاولة المضي منها فيما بعد الى طرح المسائل السياسية ما دامت النواحي الاقتصادية تستأثر باهتمام البرلمانيين الاوروبيين وتعطيهم فرصة إرضاء الناخبين . ويعتمد ذلك كله بالطبع على وضوح خطة الحوار الرسمي والتنسيق مع المسؤولين عن الحوار في الجامعة العربية .

□ ٤ ــ تختلف روح الحوار البرلماني عن روح الحوار الرسمي . ذلك ان الحوار البرلماني هو مطارحة مفتوحة غير ملزمة ، ومن المفيد له ان يظل بعيدا عن آلية المماحكة بين طرف وطرف ، وبذلك يظل الشعرة التي لا تنقطع من جهة ، ويعطي للعرب فرصة كسب أصدقاء من جهة اخرى . اي ان قيمته الاقناعية والدعاوية تظل عالية بصرف النظر عن طبيعة النتائج التي يتوصل اليها . فمثلا فرصة عقد المؤتمر الثاني للحوار البرلماني في مقر البرلمان الاوروبي في لكسمبرغ كانت مناسبة طيبة لعرض وجهة النظر العربية وابراز رغبة العرب في العمل المشترك مع اوروبا من اجل تثبيت الامن والسلام في المنطقتين العربية والاوروبية وعلى مستوى الانسانية بأسرها وذلك بصرف النظر عن القيمة العملية للنتائج التي تم التوصل اليها .

□ ٥ ــ ان دخول اللجنة الاقتصادية للمجموعة الاوروبية طرفا مشاركا مع الرابطة البرلمانية للتعاون العربي الاوروبي ، يعتبر تقدما ملموسا في اتجاه حوار برلماني افضل . ذلك ان الاتصالات البرلمانية السابقة كانت تتم عن طريق الرابطة ، وهي جمعية ناشطة وصديقة ومتفهمة لوجهة النظر العربية ، وتضم في عضويتها حوالى اربعمئة برلماني من دول المجموعة الاقتصادية الاوروبية ، ولكنها ليست ذات صفة تمثيلية ، وعضويتها اختيارية .

---

* قام الاتحاد البرلماني بمحاولات سابقة لتأمين مشاركته ولكن المحاولات لم تثمر وقيل وقتئذاك ان الجانب الاوروبي لا يرغب في فتح المجال للأعضاء المراقبين . في حين أن الاتحاد يحرص على دعوة الجامعة العربية الى مؤتمراته .

والحق ان الرابطة تتعاون مع الاتحاد البرلماني العربي بروح ايجابية من اجل التوصل الى صيغة برلمانية عربية من خلال الاتحاد البرلماني العربي والبرلمان الاوروبي . اي من خلال مؤسستين تمثيليتين . كما انها تتعاون مع الاتحاد لاقامة الاتصالات مع جميع الجهات ذات الشأن في الحياة البرلمانية الاوروبية . من ذلك مثلا ما تقوم به الرابطة ، حالياً ، من محاولة لعقد اجتماع لتبادل الآراء بين وفد من المجلس الوطني الفلسطيني ومجموعة من البرلمانيين الاوروبيين في إحدى العواصم الأوروبية (ستراسبورغ) على الارجح .

□ ٦ ـ وغني عن القول ان الضمانة الاساسية لنجاح الطرف العربي في الحوار البرلماني هو اعتماد هذا الطرف على الدراسة والبحث والعمل العلمي الجاد من جهة ، وحسن اختياره لمثليه من جهة اخرى ، ويحسن ان يكون ممثلون ثابتون يتولون متابعة الحوار باستمرار ، لان مادة الحوار تتضخم بعد كل لقاء ولا بد من ان يبني بعضه على بعض ليودي الى النتائج المنشودة .

وفي الختام يظل صحيحا ـ كما ذكرناه في مطلع هذه الدراسة ـ ان الحوار البرلماني العربي الاوروبي هو قناة من اقنية الاتصال العالمي ، ولا بد من رفده بفتح قنوات حوار اخرى مع مناطق مختلفة من العالم . ويظل امتحانه الاول والاساسي هو مقدرة الطرف العربي على التحرك الموحد وتجاوز التعامل المنفرد مع الاطراف الاوروبية الى نوع من التعامل الشامل على مستوى المنطقتين ، وعند ذلك يمكن ان يتحول الحوار الى اداة فعالة لخدمة المنطقتين العربية والاوروبية ، وكذلك للاسهام في قضايا التعاون الدولي والسلام العالمي .

سهيل عامر

الدعاية الصهيونية واليهود السوفيات

شهدت السنوات العشر الماضية حملة صهيونية واسعة معادية للدول الاشتراكية ، بما فيها الاتحاد السوفياتي تمثلت بسيل من الكتب والمقالات والمعارض والافلام السينمائية التي يشرف عليها قسم الدعاية التابع للمنظمة الصهيونية العالمية ولدولة اسرائيل . وفيها تدعو الدوائر الامبريالية والصهيونية الى وضع حد للحملة الدعائية المعادية للسامية ، التي تشنها جميع وسائل الاعلام في « الاتحاد السوفياتي ضد يهود روسيا كشعب وكافراد »[١] ، تحت ستار الدعاية المناهضة للصهيونية واسرائيل .

وتوجه الدعاية الصهيونية هجومها الايديولوجي والتخريبي ضد سياسة الحكومة والحزب السوفياتيين ، وتشهر بالعلماء والساسة البارزين من السوفيات ، الذين يمثلون ويوجهون النشاط الفكري في بلادهم ، ويفضحون في تصريحاتهم وكتاباتهم الجوهر الرجعي للصهيونية . ومن بين الساسة والكتاب والصحفيين ، يوري ايفانوف الذي أصدر الكتاب المعروف « احذروا الصهيونية » ، والعالم الاختصاصي يفجيني يفسييف ، وكتابه « الفاشية تحت النجمة الزرقاء » ، ومساهمته في تحرير الدراسة الهامة التي اصدرها قسم الفلسفة التابع لأكاديمية العلوم السوفياتية والتي حملت عنوان « الصهيونية العالمية ــ ايديولوجيتها وممارساتها . » ، وجملة مقالات المعلق السياسي البارز في صحيفة البرافدا فلاديمير بولشكوف ، ومؤلف « غزو بلا سلاح » ، و « الثورة الزاحفة المضادة » ، فلاديمير بيجون ، ومقالات المعلق السياسي في جريدة « البرافدا » وعضو اللجنة المركزية للحزب اشيوعي السوفياتي يوري جوكوف ، وفاليري ايميلانوف ومحاضراته في جمعية « المعرفة » ، وكتابات العالمة السوفياتية البارزة غالينا نيكيتنا ، ومؤلفات مدجريان ومادجريسكاياوسكورلاتوف وسيميونيك ومينشكوف ، وغيرهم من العلماء والساسة السوفيات ، المختصين في دراسة أوضاع اسرائيل والصهيونية التي جعلت في قاموسها السياسي ، مرادفا لمعاداة السامية ، كل فضح لايديولوجيتها العنصرية وكل وقوف ضد الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة ضد الشعوب العربية .

ان الة الدعاية الصهيونية تصرف مئات الملايين من الدولارات والآف الاطنان من الورق وتسخر جهازا بشريا ضخما من الصحافيين والعلماء ورجالات الدولة ، وتنشط عبر وسائل الاعلام الامبريالية وفي دوائر المنابر والمنظمات الدولية ضد البلدان الاشتراكية ، والشعوب العربية .. وكما تشير معلومات المصادر السوفياتية ، فان قسم الدعاية والاعلام التابع للمنظمة الصهيونية العالمية ، يوظف بين ٧٠٠ و ٨٠٠ مليون دولار ضد الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية .

رب سؤال يتبادر للذهن لماذا اكتسبت المعركة الايديولوجية الصهيونية في السنوات الاخيرة احد اعنف اشكالها ؟ .

ان الجواب على هذا السؤال نجده في التاكيد على الحقائق التالية

الاولى : دخول قضية الشعب الفلسطيني الضمير السياسي العالمي ، وبالذات التقدمي منه ، واتساع الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب العربي الفلسطيني . هذا الاعتراف الذي جاء تكريسا للنضال المتفاني والمتعدد الجوانب للثورة الفلسطينية داخل الاراضي المحتلة وخارجها على الصعيدين العربي والدولي .

والثانية : اتساع ادانة اسرائيل والصهيونية العالمية في المؤتمرات والمنابر الدولية . وقمة هذه الادانة جاءت في القرار التاريخي الذي اتخذته هيئة الامم المتحدة في ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٥ ، الذي اعتبر الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصري . وقد كان للوفدين الفلسطيني والسوفياتي الدور الحاسم في صياغة هذا القرار .

والثالثة : الدور الخطير الذي تلعبه الصهيونية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وما يتركه هذا الصراع من انعكاسات على مجرى الصراع العالمي بين قوى التقدم والرجعية . ذلك لان خطر الصهيونية ليس محصورا في اطار دولة اسرائيل ، بل يتعداها ليساهم بدور فعال في الاستراتيجية العالمية للامبريالية المناهضة للحركة الثورية العالمية .

والرابعة : ازدياد دعم نضال الشعب الفلسطيني من قبل دول المنظومة الاشتراكية ماديا ، ومعنويا ، ضد اسرائيل ، وتاكيد هذه الدول على عدالة هذا النضال ومساندتها للحقوق الوطنية لهذا الشعب ، بما فيها حقه في اقامة دولته الوطنية المستقلة .

والخامسة : افلاس الدعاية الاسرائيلية ودعاية المنظمات الصهيونية في الخارج ، في تصوير اسرائيل دولة صغيرة تنشد الأمن والسلام ، وسط محيط من الكراهية والتخلف ، وباعتبارها (وهذا هو الشيء المهم بالنسبة لتعاملها مع اليهود) مركزا لـ « اليهودية العالمية » . الأمر الذي يقتضي جمع يهود« الشتات » بعد سلخهم عن مجتمعاتهم التي اندمجوا فيها ، ومن ثم تجميعهم ضمن حدود دولة اسرائيل القابلة للتوسع والاستيطان . فالى جانب شعار الصهيونية التقليدي الذي تقلص دوره « يهود الشتات يحتاجون الى اسرائيل » ، طرحت المؤتمرات الصهيونية الاخيرة ، ابتداء من المؤتمر السادس والعشرين تحديدا ، الشعار الجديد « دولة اسرائيل تحتاج الى يهود الشتات » ، ومن الملاحظ ان المنظمات الصهيونية تركز على الشعار الجديد بنشاط وقلق . ذلك لانها تدرك ، تمام الادراك ، ان خزان الهجرة اليهودية الى اسرائيل بدأ يشح ، فيما أخذت الهجرة المعاكسة بالازدياد ، وافضل شاهد

على ذلك ما يقوله وزير خارجية اسرائيل السابق يغئال الون ، حين يؤكد ان المشكلة تنبع من « ان الهجوم على الصهيونية يتزامن وانكفاء ثقة اسرائيل بنفسها حتى الحد الادنى من الجزر ، فالهجرة الى البلاد تتضاءل والهجرة منها تزداد »(٢) .

والسادسة : ان حل القضية القومية الذي نهضت به ثورة اكتوبر الاشتراكية السوفياتية ، بما فيها ايجاد حل لقضية السكان اليهود ، والقضاء على جذور « معاداة السامية » وفتح المجال واسعا امام اليهود السوفيات للاندماج الطوعي في المجتمع الاشتراكي ، هذا الحل يحمل في طياته اشمل مساهمة لاجهاض الافكار الايديولوجية الصهيونية ، وتحطيم كثير من أحلامها ومشاريعها التوسعية ، لا عن طريق معالجاته العملية والعلمية لمسالة القوميات فحسب ، بل بحرمان المخططات الصهيونية الكولونيالية من الاحتياط البشري الذي تتصوره في اليهود السوفيات .

امام هذه الحقائق ، تعمل الدوائر الصهيونية ، بصعوبة ، من اجل الا تؤثر هذه المعطيات على يهود العالم ، وبالذات على يهود الاتحاد السوفياتي ، لان الاكثرية منهم قطعت شوطا في الاندماج في المجتمع الاشتراكي .

هذه الحيثيات كلها تسبب قلقا جديا لاسرائيل وللصهيونية، وتشكل خطرا كبيرا على مستقبل الهجرة الى اسرائيل ، خصوصا ان الهجرة كانت ، وما تزال ، الشعار الرئيسي للصهيونيين الساعين لانشاء دولة « نقية عنصريا » . وهم يركزون على جمع اصحاب الاختصاصات العالية من اليهود ، لتشغيلهم في القطاعات الاقتصادية والثقافية والعسكرية الهامة، بينما يستعملون المهاجرين اليهود الذين لا يحملون اختصاصات عالية لحما للمدافع الاسرائيلية ، في معركتهم العدوانية ضد الشعوب العربية المجاورة . وامام ما تقدم من الحقائق ، التي تقف عائقا جديا امام الاستراتيجية الصهيونية ، يعمل الصهيونيون والاسرائيليون على عدة محاور ، على الصعيد الدولي ، لكي يوظفوا كل ما لديهم من احتياطات بشرية، يهودية وغير يهودية ، من اجل تنفيذ الأهداف المطروحة من قبلهم في كل مرحلة من المراحل التاريخية .

ويهمنا هنا تسليط بعض الاضواء على محور نشاط الحركة الصهيونية المعادي للاتحاد السوفياتي ، وعلى اسباب هذا النشاط ، وأدواته واهدافه . وكما هو معلوم ، فان البورجوازية الصهيونية وقفت ، قبيل انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية السوفياتية وبعده ، موقفا معاديا ، لانها وجدت في هذه الثورة عدوا يهدد مصالح البورجوازية اليهودية التي كان لها موقع هام في مجمل الحياة الاقتصادية والسياسية لروسيا القيصرية . كما ان ثورة اكتوبر هزت جذور العداء القومي والطبقي من أساسها ، وفتحت المجال واسعا امام هذه الشعوب ، من القوميات المختلفة للتعايش في ظل المساواة والسلام . وفي هذا وحده ضربة موجعة لأهم دعائم الفكر والنشاط الصهيونيين .

والجدير بالذكر ، ان الاتحاد السوفياتي هو اول بلد في العالم اصدر قانونا حرم فيه العداء للسامية ، ففي ٢٥ تموز ١٩١٩ ، اصدرت السلطات السوفياتية مرسوما خاصا جاء فيه . « تامر مفوضية الشعب جميع سوفييتات النواب ، باتخاذ الاجراءات الحاسمة للقضاء

على جذور حركة العداء للسامية . ويعتبر كل من يدبر الاعتداء على اليهود او يحرض على ذلك شخصا خارجا على القانون »(٣٣) .

لقد اثارت هذه المواقف المبدئية غيظ الصهيونيين الذين بدأوا ينشطون عمليا من اجل ترجمة مقررات المؤتمر السري الذي عقدوه في موسكو في ٢ أيار ١٩١٨ ، وحضره ممثلون عن بتروغراد ، وموسكو ، ومينسك وفورونيج وفولغاغراد وريبنسك وساراتوف واستراخان واركوتسك واريول وكازان وتولا وكوز لوف وكالوغا ودوبروفكا وبوريسوفاغليسك وسامارا وريزان ، وغيرها من المدن السوفياتية الرئيسية . ففي ذلك المؤتمر القي تقرير جاء فيه . « الصهيونية هي الانشاء والبعث ، والاشتراكية هي الدماء والانحلال : الصهيونية هي السلام ، والاشتراكية هي العداوة : الاشتراكية تضع الصهيونية على مفترق طرق . وعليه ليست الصهيونية والاشتراكية قطبين نقيضين. وحسب بل هما ايضا عنصران ينفي احدهما الآخر كليا »(٤) .

وهذا ما حدث فعلا ، عندما اخذ الصراع منذ البداية شكله المصيري . في تلك الفترة ، لم يكن ثمة مجال للمساومة . هناك خياران لا ثالث بينهما . اما الانضمام الى معسكر الثورة والمساهمة في بناء النظام الجديد . واما الانضمام الى معسكر اعداء الثورة . ولقد كان من الطبيعي ان يجد الصهيونيون موقعهم مع اعداء النظام الاشتراكي من جنرالات الحرس الأبيض دينيكين وتبلور ! وقد شهدت الحرب الأهلية آنذاك ، مساهمة نشيطة من قبلهم ، من اجل اعادة عجلة التاريخ الى الوراء الى نظام الاوتوقراطية القيصرية ، والى سياسة القهر القومي والطبقي ، والى سياسة العداء للسامية .

فبهذا الصدد اشار أحد زعماء الحركة الصهيونية في روسيا القيصرية صموئيل باسمنيك في كتابه المكرس لدراسة الثورة الاشتراكية وعلاقتها باليهود . « لقد حصلت انكلترا على حق الانتداب على فلسطين ، كنتيجة للحرب العالمية لكي تساعد اليهود في اقامة وطن قومي هناك . ولكن تحقيق الحلم الصهيوني مستحيل بدون المساعدة الاقتصادية والمعنوية من قبل اليهود الشرقيين ، لا سيما يهود روسيا . وانا نبهت ، منذ البداية ، الى انه نتيجة البلشفية سيفقد اليهود الروس طاقتهم بشكل لا يستطيعون معه ، بعد ذلك ، تقديم المشاركة لبناء فلسطين اليهودية » . ويتابع باسمنيك ، الذي عرف بأنه من احد انشط المعاونين للجنرال دينيكين قائد الحرس الأبيض . « ان اليهودية نظرية معادية للبلشفية من كل النواحي ، فباعتبار ان اليهود يعتمدون ويرتكزون على التربة اليهودية التاريخية ، فان عليهم واجب النضال ضد البلشفية لاسقاطها . وخلال فترة وجود البلاشفة على رأس الحكم ستعيش الصهيونية في حالة خمول ، وستكتفي باحتياطي اليهود الاميركيين فقط ... »(٥) .

على الرغم من انتصار ثورة اكتوبر على اعدائها المحليين ، استمرت الاحزاب الصهيونية ، وبالذات حزب بوعالي تسيون (عمال صهيون) ، بالنشاط تحت شعارات مختلفة ، الى ان تم القضاء نهائيا على آخر تنظيماتها في عام ١٩٣٠ . امام هذا الواقع ، لجأوا للتدخل الخارجي في شؤون اليهود السوفيات ، عن طريق تأسيسهم للجان متعددة مختصة في الخارج ، موظفين في ذلك الرصيد المادي والاعلامي الضخم المتوفر لديهم . وكل هذا من اجل خلق مشكلة ما يسمى بـ « المسألة اليهودية » في الاتحاد السوفياتي .

ادوات وأساليب الدعاية الصهيونية : لسنا هنا في معرض التحليل التفصيلي بشأن العداء المستشري بين الصهيونية والاشتراكية اثناء الثورة وبعدها . فقد كتب الكثير في هذا الموضوع ، وأن ما يهمنا التأكيد عليه هو ان النشاط الصهيوني ضد البلدان الاشتراكية وخصيصا ضد الاتحاد السوفياتي اخذ يرتدي معاني جديدة في السنوات الاخيرة . ويقود هذا النشاط وما يزال اللجان المختصة المنبثقة عن اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية . ولعل اهم هذه اللجان الفرع الاميركي « بناي يغريت » (ابناء العهد) ،ثم روابط الدفاع عن اليهود في البلدان الاشتراكية،التي تتخذ مراكز لها في نيويورك وبروكسل وفيينا ولندن وتل ــ ابيب . والتي تخوض حربا صليبية ضد الاتحـــاد السوفياتـــي . ومنـــذ عام ١٩٥٩ ، اجتمع زعماء الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة مع الرئيس الاميركي ايزنهاور ، وطلبوا منه ان يتناول في مباحثاته مع الزعماء السوفيات « وضع اليهود السوفيات » . وقد ابدى الرئيس ايزنهاور كل الاستعداد ، ووعدهم « بان كل طلباتهم سوف تتحقق »(٦) . وبعد سنتين من هذه المقابلة نظم الفرع الاميركي « بناي يغريت » « رحلة سياحية » لمئة شخص من اجل زيارة الاتحاد السوفياتي . وتبين بعد الزيارة ان قادة هذه المجموعة اجروا المباحثات الضرورية ، وجمعوا المواد اللازمة لدراسة وضع اليهود السوفيات عن كثب . وبعدها بدأت تقام ، منذ عام ١٩٦٣ ، في الولايات المتحدة وخارجها الندوات والمؤتمرات حول ما يسمى بـــ « المشكلة اليهودية » في الاتحاد السوفياتي .

وفي خريف ١٩٦٣ طالب المشرفون على « المؤتمرات اليهودية » ، من الرئيس كندي ، ان يجعل من « وضع اليهود السوفيات » مشكلة دولية تشغل الرأي العام العالمي ، وتحتل الصفحات الاولى في الجرائد الاميركية ، ولقد كان في طليعة المبادرين لدراسة هذه المسألة ارثور غولدبرغ الممثل السابق للولايات المتحدة في هيئة الامم المتحدة . والسيناتور جاكوب دايفيس ، وغيرهما من الشخصيات السياسية الأميركية الشهيرة . الا ان اغتيال الرئيس الأميركي كندي في دالس ، حال دون دراسة القضية مع المراجع السياسية العليا في البيت الابيض ورسم الخطط اللازمة لذلك .

وفي فترة حكم الرئيس جونسون ، وجد زعماء الحركة الصهيونية الظروف اكثر ملاءمة لطرح الموضوع معه ، بعد ان اجتمع اكثر من ٢٥ منظمة صهيونية اميركية في جمعية عمومية ، تم فيها تأسيس « المؤتمر اليهودي لدراسة وضع اليهود السوفيات » وتمكن ممثلو هذا المؤتمر من مقابلة الرئيس الاميركي في السابع من نيسان ١٩٦٤ ، حيث ناقشوا اقتراحاتهم وطلباتهم(٧) . ومنذ ذلك الحين ، بدأت هذه المسألة تقفز الى الصفحات الأولى في الصحف الاميركية الاساسية ، وبدأت تظهر برامج خاصة في الاذاعة والتلفزيون عن هذا الموضوع .

إلا ان نشاط الحركة الصهيونية واسرائيل بدأ يظهر علانية ويأخذ شكله التخريبي في اواخر الستينات ، بعد ان قطعت معظم البلدان الاشتراكية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، باستثناء (رومانيا) على اثر الحرب العدوانية ضد الدول العربية في عام ١٩٦٧ .

ففي كانون الاول عام ١٩٦٧ مثلا ، انبرت صحيفة « هآرتس » لمهاجمة الاتحاد السوفياتي لموقفه الذي اتخذه ضد الاعتداءات الصهيونية على كل من مصر وسوريا والاردن ، وقام مراسل هذه الصحيفة بتوجيه الشتائم الى الاتحاد السوفياتي والى الحركة الشيوعية ، وقد

جاء في معرض حديثه حول هذا الموضوع « ان على اسرائيل ان تكون بمثابة الشوكة القاسية التي يتكون حولها بالتدريج ، الصديد في جسم الحركة الشيوعية »[٨] .

وفي شباط عام ١٩٧٠ ، وجهت غولده مائير رئيسة وزراء اسرائيل نداء الى يهود العالم والى الدوائر الامبريالية الغربية للقيام «بحملة شاملة»ضد الاتحاد السوفياتي.وعلى اثر هذا كثف الصهيونيون نشاطهم ، ودعوا الى مؤتمر عالمي عقد في بروكسيل بين ٢٢ و ٢٥ شباط عام ١٩٧١ ، شارك في اعماله مئتا مندوب ، كانوا يمثلون ٢٩ منظمة صهيونية تعمل في اطار الولايات المتحدة وبلدان اوروبية وغربية اخرى ، عدا المندوبين الذين مثلوادولة اسرائيل . ومن المنظمات التي تمثلت في المؤتمر« المؤتمر اليهودي ــ الاميركي » ، و « الفرع الاميركي النقابي للهستدروت » و « بناي يغريت » . و « نساء بناي يغريت » و الكونغرس الاميركي للحاخامين الاميركيين ، والتنظيمات النسائية الصهيونية « مزراحي » و « هداسا » و المجلس القومي للنساء اليهوديات ، والنساء الطليعيات ، والمجلس الارثوذكسي اليهودي الاميركي ، والحلقات العمالية ، والاتحاد الصهيوني الاميركي وغيرها . وكان شعار المؤتمر الاساسي « صيانة اليهود السوفيات » ووضع المؤتمر امامه مهمات كثيرة يمكن ان نلخصها بالشكل التالي .

١ ــ تشجيع القيام بالحملات المعادية للشيوعية التي تنص عليها الجبهة المشتركة للدول الأعضاء في حلف الناتو .

٢ ــ تصنيع وتسويق الافتراءات حول ما يسمى بـ « المشكلة اليهودية » في الاتحاد السوفياتي .

٣ ــ الاشراف على النشاط التخريبي للصهاينة في البلدان الاشتراكية .

٤ــ مساعدة اجهزة التجسس التابعة للولايات المتحدة ، وتلك التابعة لدول الناتو في جمع المعلومات الاقتصادية والسياسية والعسكرية عن الاتحاد السوفياتي ، وفي دول المنظومة الاشتراكية الاخرى ، بالاعتماد على الامكانيات الشرعية وغير الشرعية .

وقد طلع المؤتمر بقرارات تندد بسياسةالاتحاد السوفياتي القومية ، ووجه نداء الى يهود العالم للقيام بمظاهرات حول السفارات السوفياتية ، واقامة المؤتمرات والندوات الايديولوجية المناهضة للسوفيات ، واصدار الكتيبات . والمقالات والمنشورات حول وضع اليهود المؤلم في ظل نظام « الستار الحديدي » وقد تأسست لهذا الغرض دار نشر خاصة في الولايات المتحدة تابعة « للاتحاد الصهيوني الاميركي » . ووضعت امامها مهمة اساسية وهي دراسة « المسألة اليهودية في الاتحاد السوفياتي » . ان بعض الكتيبات والنشرات التي تحمل طابعا معاديا للسوفيات توزع بأكثر من مليون نسخة ، وهذا من الاشياء النادرة والباهظة التكاليف ، في عالم النشر . كما ، تصدر تلك الدار كتيبات خاصة تحت اسم « اغنيات الأمل » مهداة لليهود السوفيات تحضهم فيها على ترك المجتمع الاشتراكي ، والهجرة الى « وطن الاجداد » . وتحاول الدوائر الصهيونية ، بالتعاون مع دوائر المخابرات المركزية الاميركية ، تسريب نشرة سرية الى اليهود السوفيات تحت عنوان « دعوا شعبي يرحل » . ويروج لهذه النشرات بين صفوف الشبيبة في أوروبا الغربية وفي الولايات المتحدة « المؤتمر العالمي للطلاب اليهود » .

الذي أسس بدوره ، ابتداء من ١٩٧٠ ، دائرة خاصة تابعة للمؤتمر حملت اسم « نضال الطلاب من اجل تحرير اليهود السوفيات » . وهناك رابطة اخرى تهتم بهذا الموضوع ، وهي تابعة للدوائر الصهيونية تحمل اسم « رابطة ترحيل اليهود الروس » ، وتتخذ لها مركزين . الاول في فيينا والآخر في تل ــ ابيب . وفي سياق هذه الحملة عقد مؤتمر آخر في عام ١٩٧٦ ، في بروكسيل عاصمة الناتو . كان شعاره الأساسي « الدفاع عن اليهود في ظل الأنظمة غير الديمقراطية » . وشارك في اعمال هذا المؤتمر ٧٥٠ شخصية صهيونية من ٤٠ بلداً ، وقد توقف المؤتمر طويلا عند عمل اللجان التي انتخبت سابقا لمتابعة دراسة « وضع اليهود السوفيات » وامكانية التاثير عليهم . وناقش المؤتمر استحداث طرق جديدة لمد الجسور المباشرة وغير المباشرة مع اليهود السوفيات .

وقد لخص مبرمج الدعاية الصهيونية المناهضة للسوفيات البروفسور الصهيوني عضو مؤتمرات بروكسل جانس مورغانتو ، اهدافها بنقطتين . **الأولى :** اقامة اوسع الصلات مع اليهود السوفيات عن طريق المراسلات والحوالات البريدية التي تحوي المناشير والكتيبات المختلفة . وتزويد اليهود السوفيات بالنشرة التي تصدر عن لجنة الدعاية التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية التي تحمل اسم « دعوا شعبي يرحل » ، وذلك من اجل وضعهم في جو نشاط الحركة الصهيونية وابعادهم عن الاندماج في المجتمع الاشتراكي ، وبالتالي حثهم على الهجرة الى اسرائيل : **والثانية :** ممارسة كافة الضغوط على الحكومة السوفياتية ، عبر الوفود الرسمية الاميركية والأوروبية الغربية وغيرها ، لطرح ما يسمى بـ « المشكلة اليهودية » في الاتحاد السوفياتي ووسائل حلها[٩] . وعندما يقرر الزعماء الصهيونيون ممارسة الضغوطات على هذا البلد أو ذاك ، فانهم ينطلقون دون شك من مركز قوتهم المادية والاعلامية الضخمة . فاللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة يشكل أداة ضغط هامة على السياسة الاميركية في سياستها الشرق اوسطية ، كما يحاول ان يوظف ضغوطه لخدمة مخططات الصهيونية في كل بلدان العالم التي فيها تجمعات يهودية ، فضلا عن استناده الى الدوافع الاميركية ذاتها للهجوم على السوفيات واثارة المشاكل لهم .

على سبيل المثال ، في عام ١٩٧٢ عندما ناقش الكونغرس الاميركي نتائج المباحثات مع السوفيات ومستقبلها ، حول المسائل التجارية والعلمية والفنية ، وقف بعض الشيوخ وممثلو الحكومة الاميركية ينددون بالسياسة السوفياتية حيال اليهود السوفيات ، وهددوا باتخاذ الاجراءات اللازمة ضد الاتحاد السوفياتي ما لم يلغ القيود امام الهجرة اليهودية الى اسرائيل . وهدد السيناتور جاكسون الاتحاد السوفياتي بان اعوانه مستعدون لممارسة كل الضغوط من اجل تجميد وقطع العلاقات التجارية والعلمية بين الحكومتين ما لم تفتح الابواب مشرعة امام اليهود السوفيات الراغبين في الهجرة الى الخارج . ولا نبالغ اذا قلنا ان العلاقات التجارية والثقافية بين الطرفين لا تسير بالشكل المطلوب ، لأن احد المعوقات الأساسية لذلك هي الضغوط التي يمارسها اللوبي الصهيوني ومن يدور في فلكه من السياسيين الاميركيين على الدوائر الحاكمة . ومن يتتبع المباحثات الاميركية السوفياتية التجارية ، ير ان بعض ممثلي بيوتات المال اليهودية في الولايات المتحدة كثيراً ما يشتركون في وفود رجالات الأعمال التي تزور الاتحاد السوفياتي وتشرف على سير الأعمال بين الطرفين .

ولقد بدأت تطرح بحدة مسألة « اليهود السوفيات » في المؤتمرات الاخيرة للمنظمة الصهيونية العالمية . فقد نظم المؤتمر الثامن والعشرون الذي عقد في شباط ١٩٧٢ في القدس المحتلة عدة ندوات حول هذا الموضوع . وشهد هذا التاريخ انعقاد الدورة الرابعة للمؤتمر اليهودي العالمي في القدس ايضا . كما اعقبه مؤتمر « السوفيتالوغيون »(*) في تل ــ ابيب . ولقد تمحور النقاش في هذه المؤتمرات حول تنشيط الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل . واصدر المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون قرارا خاصا بمساعدة « اسرائيل » باقامة ٥٧ مستوطنة جديدة في الاراضي العربية المحتلة لاستيعاب المهاجرين الجدد . والجدير بالذكر ان اجتماع المؤتمر الاخير للمنظمة الصهيونية العالمية الذي عقد في شباط ١٩٧٨ ، استحدث دائرة جديدة تابعة للمنظمة حملت اسم « دائرة اسرى وسجناء صهيون » يترأسها الوزير الاسرائيلي حاييم لنداو الذي اعرب عن قلق المؤتمر الشديد من الحملة التي تقوم بها وسائل الاعلام السوفياتية ضد الايديولوجية الصهيونية وضد السياسة الاسرائيلية في منطقة الشرق الاوسط .

لقد ركز المؤتمر على نشاط اللجان المختصة في مناهضة الاتحاد السوفياتي . واثنى على جهود العلماء « والمؤرخين والصحافيين الصهيونيين وغير الصهيونيين الذين ينظمون المؤتمرات والندوات في الجامعات الاميركية والاوروبية الغربية ، كما اثنى على اولئك الاختصاصيين في تنظيم الحملات ضد السوفيات ، الذين يشرفون على البرامج الخاصة التي استحدثت في كل من اذاعة اميركا وهيئة الاذاعة البريطانية وراديو اوروبا الحرة وراديو اوروبا رقم واحد وراديو اسرائيل وغيرها من وسائل الاعلام التي بدأت تبث منذ عام ١٩٧٠ ، برامج خاصة باللغة الروسية عن وضع اليهود السوفيات ، وعما يسمى بالمخاطر التي تحدق بمستقبلهم ومصيرهم . فيكاد لا يمر يوم الا وتبث هذه الاذاعات التصريحات الاستفزازية عن الاجحاف بحقوق اليهود السوفيات ، وبالاخص حقهم في التعليم والتعبير عن آرائهم ، ومن ثم حقهم بالهجرة الى اسرائيل . وعلى سبيل المثال ، بنت هذه الاذاعات خلال تسعة اشهر من عام ١٩٧٧ اكثر من ١٥٠ رسالة ونداء وبرقية عن « وضع اليهود » المؤلم في الاتحاد السوفياتي(١٠) . وتصرف من اجل القيام بهذه الحملة مئات الملايين من الدولارات من قبل قسم الدعاية والجمعيات الخيرية والدينية الكثيرة التي تعمل في جهاز المنظمة الصهيونية العالمية . وكما يشير الباحثون السوفيات فانه . « من اجل التحضير واقامة الندوات والمؤتمرات المناهضة للبلدان الاشتراكية والقوى المحبة للسلام ، تصرف الصهيونية مئات الملايين من الدولارات . ويكفي القول بان اسرائيل والدوائر الصهيونية تمول سنويا الحملات المناهضة للاشتراكية بمبلغ يتراوح بين ٧٠٠ و ٨٠٠ مليون دولار ، وان ثلثي هذا المبلغ تقريبا يصرفان على المؤتمرات الصهيونية في بروكسيل ١٩٧١ ، ١٩٧٦ وعلى الندوات الاخرى »(١١) .

والحديث عن ادوات الحملة الصهيونية المناهضة للاتحاد السوفياتي لا ينسينا نشاط

* « السوفيتالوغيا » اصطلاح سياسي جديد بدأ يبرز في الادبيات السياسية البرجوازية في السنوات الاخيرة . يقصد به علماء الاجتماع المختصين في الاتحاد السوفياتي .

الجناح الفاشي من الصهيونية الممثل في «رابطة الدفاع اليهودية» التي كان يترأسها الارهابي ماير كاهاني ، الذي يقود الان في اسرائيل الحركة الاستيطانية الفاشية غوش ايمونيم. ويدعو برنامج الرابطة التي تأسست في عام ١٩٦٨ الى قطع كل العلاقات ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، والى القيام بالمظاهرات التي لا تتوقف امام المكاتب السوفياتية ومحاولة الاعتصام بها . ولعل احدى اهم المهمات المطروحة امام هذه الرابطة زرع الرعب والدمار في السفارات والممثليات السوفياتية الدبلوماسية والتجارية والسياحية .

ولقد اوردت الصحف الاميركية بعض انباء هذه الرابطة ، حيث اتضح انها « ارتكبت في تنفيذها لاغراضها ، سلسلة بشعة من الجرائم لا يسمح لنا المجال بتعدادها . لكن سجلها الذي نعترف بانه غير كامل شمل حتى كانون الثاني ١٩٧٢ ، ١٤ عملية تفجير قنابل و ٣٤ جريمة اعتداء ومحاولة للاختطاف ، و ١١ عملا من اعمال الشغب ، و ١٩ قضية عصيان ، ، و ١٠ عمليات استيلاء على مكاتب و ٧ عمليات افساد لمناسبات ثقافية ، و ١٥ انتهاكا لقوانين حمل السلاح و ١٢٠٠ مرة يقبض على اعضائها لسوء السلوك »(١٢) .

ان اكثر الجرائم بشاعة هي القاء القنابل او محاولة القائها على مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج ، وعلى مقر السفارات السوفياتية في الولايات المتحدة وكندا ، ومكتب شركة « ايروفلوت » السوفياتية في نيويورك ، ومقر البعثة السوفياتية في « جلين كوف بولنج ايلاند » ومكتب وكالة « تاس » في واشنطن .

ولم يترك كاهاني مناسبة الا وهدد فيها بان الدم الروسي سوف يراق على شوارع نيويورك ، ذلك لأنه كما يزعم في كتابه « لن تعود ثانية » فان اليهود السوفيات يتعرضون لخطر الابادة المادية لدرجة لا تقل عنها في المانيا النازية ، ولم يعد هناك وقت لأن مذبحة جديدة يمكن ان تقترب »(١٣) .

ان هذه الضجة المفتعلة حول وضع اليهود السوفيات . لا يمكن ان تأخذ هذا الشكل ما لم تغذها دوائر المخابرات الامبريالية وبالذات دائرة المخابرات المركزية الاميركية . والصهاينة يركزون على هذه المسألة الحساسة جدا ، لكي تكون في ايديهم ورقة ضغط جدية ، يوظفونها في التأثير على سياسة الولايات المتحد الاميركية ، المتعلقة بتحديد الأسلحة الاستراتيجية النووية ، بالاضافة الى التأثير على مجرى المفاوضات التجارية والعلمية التي تدور بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفياتي .

« لقد رزح اليهود السوفيات عشرات السنين تحت نير الكبت الثقافي والاهانة الجماعية ... وهم يريدون فك قيودهم والاعلان عن حقوقهم ، ويريدون الهرب الى ارض شعبهم وأجدادهم ، » (١٤) ؛ هذه المقولة رددها المشاركون في المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين ، وهم يحاولون اثارتها وتعميمها في دوائر« الدولية الاشتراكية»، وضمن اطار« دول الكومنولث » ، ومن فوق منابر المنظمات والهيئات الدولية . وتحاول آلة الدعاية الصهيونية التأثير على الدول والهيئات المختلفة ، والرأي العام الاوروبي والاميركي ، واللعب على اوتار «معاداة السامية». كل ذلك من اجل حض هذه الاطراف على اتخاذ مواقف معادية للسوفيات .

ومن اجل تبرير الاعمال الاجرامية التي تقوم بها المخابرات الاسرائيلية ضد البعثات الدبلوماسية السوفياتية والفلسطينية في الخارج .

حقيقة المشكلة

هل هناك اجحاف بحقوق اليهود السوفيات ؟

وهل توجد « مشكلة يهودية » عموما في الاتحاد السوفياتي ؟

لندع الحقائق تتكلم عن نفسها ، وتعطينا صورة حقيقية وواقعية . عن وضع اليهود في الاتحاد السوفياتي .

لقد اصدر المؤتمر اليهودي الاميركي كتابا حمل اسم « وثيقة الحقائق عن التمييز ضد اليهود » جاء فيها « ان عدد الطلاب اليهود في المدارس الثانوية ظل ثابتا عند رقم ٤٧,٠٠٠ من عام ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ، حتى عام ١٩٦٧ ، في مقابل زيادة في عدد الطلاب الاوكرانيين تبلغ ١٥٤٪ والاوزبكيين ١٩٨٪ ، وغيرهم من المجموعات القومية بنسبة تزيد على ١٠٠ » (١٥) . غير انه طبقا للأرقام التي اصدرتها هيئة الاحصاءات المركزية في الاتحاد السوفياتي بلغ عدد الطلاب اليهود في الكليات في العام الدراسي ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ، ٧٩,٩٠٠ طالب : اي بزيادة قدرها ٤٠٪ ، ذلك رغم ان التعداد السوفياتي يسجل انخفاضا في عدد السكان اليهود في هذه الفترة . وتوضح الاحصاءات ان ٣,١٥٪ من السكان اليهود هم من طلاب الجامعات في حين تبلغ هذه النسبة ١,٨٢٪ بالنسبة لمجموع السكان .

ثم تقرر وثيقة الحقائق . « رغم ان اليهود ما زالوا يلعبون دورا هاما في العلم السوفياتي ، فان نسبة العاملين اليهود في مجال الابحاث العلمية قد هبطت بشكل ثابت من ١٦,٨٪ في عام ١٩٤٧ ، الى ١١٪ عام ١٩٥٥ ، الى ٧,٧٪ في عام ١٩٦٧ » .

غير ان عدد العاملين في مجال الابحاث العلمية طبقا لأرقام هيئة الاحصاءات المركزية السوفياتية ، قد ارتفع من ٢٩ الفا عام ١٩٥٨ ، الى ١٦١ ألفا عام ١٩٦٩ ، ويمثل اليهود المجموعة الثالثة من حيث العدد بين العاملين في مجال الابحاث العلمية ، ولا يزيد عنهم الا الروس والاوكرانيون مع الأخذ بعين الاعتبار ان اليهود لا يشكلون الا ١٪ من سكان الاتحاد السوفياتي . وفضلا عن ذلك ، فان بين ٢٧٨ شخصا فازوا بجائزة لينين لمناسبة ثورة اكتوبر ، ١٩٧١ ، كان ٣٩ شخصا، اي ما يعادل نسبة ١٤٪ من الفائزين بالجائزة من اليهود ، ومن بين ٨١ شخصا فازوا بهذه الجائزة في مجال العلوم كان سبعة من اليهود . وكذلك بلغ عدد اليهود ٢٦ شخصا من بين ١٦٠ شخصا فازوا بهذه الجائزة في مجال التكنولوجيا .

وكما اشار رئيس الوزراء السوفياتي الكسي كوسيغين ، في مؤتمر صحافي عقده في كندا اثناء زيارته اياها في تشرين الثاني ١٩٧١ ، فان ٨٪ من العاملين في الميادين العلمية يهود ، و ٢٠٪ في ميدان الادب والصحافة و ٨٪ في ميدان الفن و ٦٪ في مجال الطب(١٦) .

وتدعي « وثيقة الحقائق » ، ان اليهود مستبعدون عن الدراسة في الاكاديميات العسكرية السوفياتية ومن مدارس التدريب للحصول على الدبلومات . وان بعض مجالات النشاط السياسي خالية من اليهود مثل السلك الدبلوماسي .

غير ان الوقائع التي تمكنا من الحصول عليها في المنشورات السوفياتية الرسمية ،

وبالذات النشرات التي اصدرتها وكالة « نوفوستي » ومنها كتيب . « اليهود السوفيات بين الخرافة والواقع » هذه الوقائع تدحض مزاعم « وثيقة الحقائق » هذه وتبين بالأسماء زيف ادعاءاتها . فمن بين كبار ضباط الجيش السوفياتي ترد اسماء الجنرال ياكوب كرايزر ، والكولونيل جنرال دافيد دراجونسكي ، والكولونيل جنرال الكسندر تسيزلين ، والميجور جنرال زينوفي كونسيفوي ، والميجور جنرال ليو دفاتور ، والليفتنات جنرال جريجوري بلاسكوف ، وكل هؤلاء من اليهود . كما ان في السلك الدبلوماسي الكثير من اليهود ، ونذكر منهم اثنين من كبار ديبلوماسيين وهما تشاركينين وج منديلفتنش . هناك ثمانية الاف من نواب السوفيتيات على كافة المستويات، كما يوجد خمس نواب يهود في مجلس السوفياتي الاعلى على الاقل، ويشغل عدد من اليهود مراكز ادارية هامة ، من بينهم بنيامين ديمنشيش الذي يشغل منصب نائب رئيس مجلس الوزراء السوفياتي لشؤون التخطيط. ويشغل سيمون جينسبورغ منصب رئيس مجلس ادارة التشييد في الاتحاد السوفياتي ، فسيفولود رامسكي نائب رئيس هيئة الاحصاءات المركزية في الاتحاد السوفياتي ، ويوري بوكسرمان نائب وزير صناعة الغاز في الاتحاد السوفياتي ، وكثيرون غيرهم(١٧) . والصهيونية لا تترك مناسبة الا وتتباكى فيها على مصير الثقافة اليهودية في الاتحاد السوفياتي ، وتصور الامور وكأن اليهود السوفيات تشتعل فيهم الرغبة الجامحة في اقامة المدارس اليهودية واحياء الثقافة ذات الطابع اليهودي البحث .

صحيح انه لا توجد في الاتحاد السوفياتي مدارس يهودية . ولكن سبب ذلك لا يعود اطلاقا الى حصر وجود مثل هذه المدارس . بل على العكس ، ان السبب في ذلك يعود اصلا الى انه لا توجد في الاتحاد السوفياتي مدرسة واحدة ذات منحى طائفي ، لأن الترويج للطائفية محظور بحكم الدستور ، اضافة الى ان عدداً كبيراً من اليهود لا يرغبون في العودة الى« الغيتوات » المنغلقة على نفسها . فهم فعلا قد اندمجوا في المجتمع السوفياتي للمساهمة في بناء النظام الاشتراكي .

بهذا الصدد تقول ريغا فيتشكينا رئيسة اللجنة التنفيذية لبلدة فالدخيم في منطقة بيروبيدجان ذات الاستقلال الذاتي . « رغم اني في صغري التحقت بمدرسة يهودية ، فقد ارسلت اولادي الى مدرسة روسية . لماذا ؟ حسنا . ان هناك الى جانب اليهود في بلدتنا (روسا وأوكرانيين وبيلوروس وتتاراً وبشكيريين .. والاطفال يلعبون معا ،ويترعرعون معا ، في دور الحضانة ويتصادقون ، انه لمن الاجحاف والقسوة ان نفصلهم عن بعضهم البعض ، وان نعزلهم . اليس في ارسالهم الى مدرسة يهودية ــ حين يدرس الاطفال من كل القوميات معا في مدرسة روسية ــ هو عزلهم وبالتالي الاساءة اليهم ابلغ الاساءة ؟.اذا لم ارسل اولادي الى مدرسة يهودية ، فذلك عائد لسبب آخر لا يقل اهمية . وهم حين ينهون دراستهم في المدرسة الروسية سيتمكنون من مواصلة دراستهم العليا في خاركوف او موسكو أو لينينغراد او أي مدينة كبرى . وبعبارة اخرى . في المؤسسات التعليمية في المدن الكبرى التي استوعبت أفضل الفكر العلمي الروسي والأجنبي ... تلك هي الخطوط العامة التي تسترشد بها في الاختيار لا الامهات اليهوديات وحدهن ، بل كذلك الامهات التتاريات والارمنيات والاوزبكيات وغيرهن ممن يعشن في جمهوريات روسيا الاتحادية . »

وتتابع فيتشكينا متسائلة . « قد يبدو قولي هذا مفارقة ، لكنه حقيقة واقعة . ان

الأمهات اليهوديات هن اللواتي أغلقن المدارس اليهودية . غير ان كل من يريد تعلم الايديشية يستطيع ان يدرسها في بيته ، دراسة خاصة ، او على يد مدرس خاص أو بالانضمام الى جماعة الهواة المسرحية اليهودية . كما ان مجلة « سوفيتش هميلاند » ، الشهرية تعطي دروسا في الايديشية في كل عدد(١٨) .

لا شك ان فيتشكينا تعكس في رأيها هذا ، افكار وطموحات اغلبية السكان اليهود في الاتحاد السوفياتي الذين اختاروا ، بوعي وتصميم ، المجتمع السوفياتي الاشتراكي وطنا لهم ، فيه يتطورون ويصنعون ثقافة اشتراكية جديدة هي ملك لكل قوميات الاتحاد السوفياتي وشعوبه .

وهنا يجدر بنا ان نشير الى ان الوثائق الصهيونية ، ومنها « وثيقة الحقائق » هذه ، تخلط عن عمد بين اليهود والصهيونيين . واذا كان من السهل تفحص طبيعة وضع اليهود في الاتحاد السوفياتي بما هم مواطنون كغيرهم من المواطنين لا يقف حائل خاص دون تقدمهم ومساهمتهم في كل اوجه النشاطات العامة ، فان الامر لا يحتاج الى امعان الفكر واستنباط الدلائل للتأكد من ان اليهود الذين يحملون اتجاهات صهيونية يحرمون من أية تسهيلات ، فالنشاط الصهيوني محظور في الاتحاد السوفياتي بحكم القانون منذ العام ١٩١٨ . وكل من يعرف ولو شيئا قليلا عن الاتحاد السوفياتي ، يعلم ان الدولة والمجتمع بأسرهما نشطا نشاطا واسعا ، ومؤثرا ، في مقاومة كل ما هو رجعي في الفكر او العمل . وقد انطبق هذا ايضا على الصهيونية .

وتشكو « وثيقة الحقائق » الصادرة عن المؤتمر اليهودي الاميركي من انه في سنة ١٩٥٦ كان هناك ٤٥٢ معبدا في الاتحاد السوفياتي ، بينما انخفض هذا العدد سنة ١٩٦٩ الى ٥٥ معبدا . ونلك رغم ان القانون السوفياتي يخول المؤمنين الحق في تكوين جمعيات دينية ، وان تكون لهم مبانيهم الدينية المقامة لأغراض الصلاة والعبادة . ولا يوجد في الاتحاد السوفياتي سوى ثلاث حاخامين عاملين . اثنان منهم يزيد سن كل منهما على ٧٥ عاما . ويمنع اليهود من صناعة الأحجية وشالات الصلوات وغيرها من ادوات العبادة اليهودية ولا يمكن الحصول على لحم الكونسير في الاتحاد السوفياتي »(١٩) .

ان وراء تضخيم الأمور اهدافا كثيرة لعل اهمها تأجيج واستفزاز المشاعر الدينية لليهود السوفيات وغير السوفيات من المؤمنين . والتطبيل والتزمير حول ما يسمى بسياسة الاضطهاد الدينية التي تجبر اليهود على عدم ممارسة الشعائر الدينية ، وتدفعهم ، بالتالي ، قسرا لتبني الايديولوجية الماركسية ـ اللينينية ، والاندماج قسرا في المجتمع السوفياتي .

اما الحياة والحقيقة فتثبتان عكس ذلك . ففي الواقع ان اليهود الذين يرغبون في ممارسة الشعائر الدينية هم احرار تماما في ذلك ، مثلهم في ذلك مثل اتباع الديانات الاخرى من المؤمنين ، وتستطيع كل مجموعة تضم عشرة اشخاص ان تقيم معبدا دينيا صغيرا (مينانيم) . ولها كل الحق في ممارسة الطقوس الدينية في مساكن الأعضاء او غيرها من الأماكن . كما يوجد في الاتحاد السوفياتي ١٠٠ معبد و (٣٠٠) معبد صغير .

صحيح ان عدد المحافل اليهودية قد تناقص كثيرا في العقود القليلة الماضية . لكن هذا ليس أمرا قاصرا على الديانة اليهودية . فقد حدث انخفاض مماثل في عدد الكنائس الارثوذكسية ، والجوامع ، وهذا لا يرجع الى اجراءات ادارية باغلاق المعابد أو الكنائس أو

الجوامع ، بل الى الهبوط الشديد في عدد من يؤدون الشعائر الدينية . ويؤكد علماء الاجتماع السوفيات ، ان عدد ممارسي هذه الشعائر بين اليهود صغير جداً : اذ يتراوح بين ٣ و ٧٪ في جمهوريات روسيا الاتحادية واوكرانيا وبين ٧ و ١٢٪ في جمهورية جيورجيا وشمال القوقاز وبخارى . ان اغلبية هؤلاء هم من الطاعنين في السن . والجدير بالذكر انه في جيورجيا ، حيث توجد اكبر نسبة من المؤمنين اليهود ، يوجد ١٦ معبداً لنحو خمسين الف يهودي . بعبارة اخرى ، فان هذه المعابد موجودة حيث تكون مطلوبة . وحول هذا الموضوع يشير حاخام موسكو الراحل يهودا ليفين في خطاب القاه اثناء زيارته الولايات المتحدة عام ١٩٦٨ الى « ان ابواب معبد موسكو مفتوحة امام كل مؤمن وكل زائر منذ قامت الثورة ، حتى ايامنا هذه ... وتؤدى الصلوات هناك اثناء النهار حيث يدرس التلمود . وهناك مجزر لذبح الدواجن وحمام يتبع الطقوس الدينية حيث يقومون هناك بعملية الختان . ويوفر مجلس البلدية فطير الماتزو لليهود . وهذا ليس في موسكو وحدها ، بل وفي كل مكان ... »(٢٠) .

ليس صحيحا انه لا يوجد في الاتحاد السوفياتي سوى ثلاثة حاخامين عاملين . ففي جيورجيا وحدها خمس أضعاف هذا العدد على الاقل ، وعلى سبيل المثال ، عقد في عام ١٩٧١ مؤتمر لمثلي الجماعات الدينية اليهودية في موسكو ، وكان بين اعضاء لجانه القيادية والمتحدثين الذين نشرت كلماتهم عشرة حاخامين من مختلف انحاء الاتحاد السوفياتي . ان كل هذه الحقائق والارقام تعري الارقام التي تنشرها الوثائق الصهيونية وتدفع للاعتقاد بان الغرض منها هو الكذب ، وخلق الاوهام من اجل التاثير على اليهود خدمة لاهداف الصهيونية والقوى الاخرى المعادية للاتحاد السوفياتي ، ومن اجل حضهم على الهجرة الى اسرائيل . ألم يعلن قادة الصهيونية ان اسرائيل هي الوطن الاصلي ليهود العالم . وان تل ــ ابيب ليست عاصمة اسرائيل وحسب بل هي عاصمة كل يهود العالم بصرف النظر عن الدولة التي يتعايشون بين ظهرانيها ؟

وما الذي يتوخاه الصهاينة والدوائر الامبريالية من هذه التحركات والنشاطات ؟ .

ان احد الاهداف الرئيسية في رأينا هو الضغط على الاتحاد السوفياتي لحمله على تغيير سياسته المتعلقة بالشرق الاوسط : هذه السياسة التي تدعم نضال شعوبنا العربية ضد مختلف اشكال الاستعمار والقهر . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، الضغط على الاتحاد السوفياتي بوسائل متعددة لتخفيف قيود الهجرة امام اليهود السوفيات والسماح لهم بحرية الهجرة الى اسرائيل .

فيما يتعلق بالهدف الاول ، يبدو الاتحاد السوفياتي متمسكا ، برغم توالي الضغوط ، بالاسس التي تستند عليها سياسته الخارجية ، وذلك واضح من حجم المساعدات التي قدمها ويقدمها للدول العربية لدعم مقدرتها على التصدي لاسرائيل والامبريالية . ويتضح دوره اكثر بالنسبة لحركة المقاومة الفلسطينية ، حيث انه يستمر في مساعدتها ، ودعمها ، وفي وقت يحاول ضربها او يتغاضى عن ضربها الكثير من الأنظمة العربية السائرة في فلك المخطط الاميركي الصهيوني .

اما فيما يتعلق بالمأرب الثاني الذي تتوخاه الدوائر الصهيونية من الاتحاد السوفياتي المتعلق بوضع اليهود السوفيات وبعدم السماح لهم بالهجرة ، فهذه مسألة حساسة جدا . وتحاول الصهيونية ، في لعبها على هذه القضية ، ان تصيب عصفورين بحجر : فهي من جهة ،

تحاول امام العالم الغربي ان تبرز سياسة الاتحاد السوفياتي وكأنها « معادية للسامية » وانها موجهة لاضطهاد اليهود ووضع القيود امامهم وخاصة القيود حول السماح لهم بالهجرة بحرية تامة الى اسرائيل ، وتحاول ان توهم الرأي العام العالمي بأن طالبي الهجرة هم الأغلبية من اليهود السوفيات ، نظراً لتعلقهم باسرائيل « ارض اجدادهم » ارض « اللبن ، والعسل » وانهم يمنعون من تحقيق ذلك . ومن جهة اخرى وعلى خط مغاير ، تعمل لتضخيم حجم الهجرة امام العالم العربي لكي تساهم بقسطها في ضرب الصداقة بينه وبين الاتحاد السوفياتي .رغم ان الدعاية الصهيونية بدأت تكال لها الضربة تلو الاخرى من قبل الدعاية المضادة لها من السوفيات والفلسطينيين والقوى التقدمية العالمية ومن قبل اليهود السوفيات العائدين من اسرائيل ، الا اننا لا ننكر انها ما زالت مؤثرة بهذا المقدار او ذاك ، هنا او هناك ، وهذا ما يبرز اهمية استمرار العمل من اجل دحضها واحباط تأثيراتها .

---

(١) راجع « **المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون ١٩٧٢** » . مؤسسة الدراسات الفلسطينية . بيروت ، ومركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، القاهرة.بلا تاريخ ــ ص ١٠٢١ .

(٢) **فلسطين الثورة.** عدد ١٦ آذار ١٩٧٦

(٣) **مراسيم الدولة السوفياتية (بالروسية)** دار نشر « العلوم القانونية »المجلد الثاني ، موسكو ١٩٦٤ ــ ص ٩٤ ــ الطبعة الروسية .

(٤) راجع يوري ايفانوف **احذروا الصهيونية (بالروسية)** دار نشر « بوليتزدات » موسكو ١٩٧١ ص (٨٩) .

(٥) باسمنيك صموئيل . **الثورة البلشفية واليهود** . برلين ١٩٢٣ ص ١٤٣ ، ٢٣٢ ــ الطبعة الروسية .

(٦) *Let My People Go.. Ed and compiled by Richard gohen* N.Y .1971. P-10

(٧) **المصدر نفسه** ، ص ١٢ .

(٨) **الجوهر الرجعي للصهيونية** . تأليف مجموعة من الاختصاصيين السوفيات . دار التقدم موسكو ١٩٧٥ ــ ص ١١١ ــ

(٩) راجع كتاب « **الصهيونية العالمية ــ ايديولوجيتها وممارساتها** . تأليف جماعة من العلماء السوفيات دار نشر « بوليتزدات » موسكو ١٩٧٨ ، ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ ــ الطبعة الروسية .

(١٠) **المصدر نفسه** ، ص ٩٧ .

(١١) **المصدر نفسه** ، ص ٢٣٦ .

(١٢) *Daily World* (New York). 19- 11- 1972

(١٣) حاييم لومر ، **الصهيونية ودورها في السياسة العالمية** . دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧٤ ــ ص ١١١ ــ

(١٤) راجع المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون **مصدر سبق ذكره** ص ٤٠٠ .

(١٥) حاييم لومر ــ الصهيونية ودورها في السياسة العالمية **مصدر سبق ذكره** ص ١٢٢ .

(١٦) استقينا هذه المعلومات والأرقام التي تليها من المجلد المجلد الرابع لنتائج **الاحصاءات المركزية للسكان لعام ١٩٧٠**ــ دار الاحصاءات . موسكو ١٩٧٢ ــ المجلد الرابع ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ومن الكتيب الذي اصدرته وكالة نوفوستي « **اليهود السوفيات بين الخرافة والواقع** .موسكو ١٩٧٠ ــ ص ٢٦ . ٥٠ و ٥١

(١٧) اليهود السوفيات بين الخرافة والواقع ــ **مصدر سبق ذكره** ــ ص ٥١ .

(١٨) راجع **الحياة السوفياتية** » (موسكو) عدد حزيران ١٩٧١ .

(١٩) راجع حاييم لومر ، الصهيونية ودورها في السياسة العالمية، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٤٣ .

(٢٠) اليهود السوفيات بين الخرافة والواقع **مصدر سبق ذكره**، ص (٦٠) .

الصورة الفلسطينية في وسائل الاعلام الكندية وأثرها السياسي

الانسان هو صورة مركبة من ردات فعل مختلفة بعلاقاته مع الآخرين . وتتشكل ردات الفعل هذه من تداعي الصور والافكار . كما ان هذه الافكار تقوم عادة على ما نتصوره من انطباعات ثم نجسدها على اشكال مفرحة وغير مفرحة بنسب مختلفة معتمدين في ذلك على استقرار هذه الاشكال وتكرارها وحساسيتها. والاصغر سناً هم الاكثر حساسية وتأثراً . كما انه من المسلم به أن الصور المرئية لها التأثير الاكبر . وهكذا فان التلفزيون ، بواسطة الصور المرئية ودرجة التكرار، يلعب الدور الأهم في تقديم الرواية للمشاهدين خصوصاً للأطفال منهم .

وفي ضوء ذلك نرى اهمية الصورة العربية وفسادها في وسائل الاعلام الكندية ووسائل اعلام الولايات المتحدة . والفلسطيني ، قبل كل شيء ، هو عربي ، وصورة العربي في وسائل الاعلام الكندية ، تتطابق مع صورة الفلسطيني كما تتطابق مع العرب الآخرين . ومن المهم التأكيد ، في بداية الكلام ، على ان كثيراً مما تعرضه وسائل الاعلام الكندية هو امتداد لما تبثه محطات التلفزيون الاميركية ووكالات الانباء وكذلك هوليود .

ويعاني العرب الكنديون من حملة مستمرة جائرة في كل وسائل الاعلام الكندية ، مما يجعل علاقاتهم بزملائهم الكنديين صعبة للغاية ، هذا ان لم تكن عميقة الجرح معنوياً . وهو امر يسبب دماراً كبيراً للشباب في علاقاتهم مع الاطفال وكذلك لأشكال تصوراتهم الشخصية ، ونتيجة هذه الحملة القاسية هي انحياز ضد العربي وضد كل ما يمثله ويرمز اليه ، واضافة الى تأثيرات هذه التشويهات على العلاقات الشخصية اليومية ، فهي تؤثر وبدرجة كبيرة على المسائل السياسية المرتبطة بالعرب والوطن العربي .

دعونا نتفحص بينات من عملية صنع هذه الصورة في المجالات المختلفة لوسائل الاعلام . ان وسائل التلفزة هي الاكثر جوراً بين الوسائل جميعها ، ولذلك فهي تقدم مثالا حياً لهذه الحملة العدائية . ومع أن الاخبار التي يقدمها التلفزيون تشارك بشكل ملموس في صنع هذه الصورة السلبية ، الا ان البرامج الترفيهية هي الاكثر مساهمة في تقديم صورة مغلوطة عدائية وعنصرية . فكثير من المسلسلات التلفزيونية تقدم العربي على انه زعيم الاشرار . ان مسلسل « **فيجاس** » وهو من البرامج الاكثر شعبية ، يصور العربي على انه شيخ متعجرف تحيط به مجموعة من الحاشية الفاسدة والتي لا تقل قبحاً عنه .

وفي « **ذي كوديز** » (C.B.C. ، آب ١٩٧٩) ، يلعب دور المجرمين رجال يرتدون الزي العربي وهم يصرون على رفع اسعار النفط .

وفي « معركة نجمة كالكيتكا » (A.T.V ، ١١ آذار ١٩٧٩) يقوم البرنامج على تقديم الاشرار ، على انهم حلفاء من البدو للنازيين ، وفي زي العرب .

وفي مسلسل « **الجميع في العائلة** » تتساءل احدى الشخصيات ، بول بنيامين ، بينه وبين نفسه ان كان « هوموسابين هو القاتل ؟ » . فيرد أديث بانكر ، وهو شخصية ثانية ، مستفسراً ان كان هوموسابين عربياً ؟ لقد درج التلفزيون على تقديم العربي بشكل سلبي وهذا ما حصل في مسلسلات « اليس » و « حاول ان تكون ذكيا » و « الرجل الخارق » و « المركز الطبي » و « جزيرة الاعلام » و « هاواي خمسة » ، و « كولومبو » .

ان هذا قليل من كثير . ان الرجل العربي هو دائماً صاحب انف معقوف يضع نظارتين سوداوين ويقدح الشرر من عينيه . واذا بدا شبه مهذب فلأنه شبه ذكي . وهو في كل الاحوال اما يجر وراءه جملاً أو أنه محترف للذة وغني الى درجة مثيرة للاشمئزاز من غير ان يستحق ذلك .

والمرأة العربية ليست احسن حالا . فهي عادة من الحريم . وعندما تكون محظية فهي ترتقي الى راقصة او وسيلة للجنس . وباختصار ، فليس هناك عرق في اميركا الشمالية عومل بازدراء واحتقار من قبل وسائل الاعلام كما عومل العرق العربي . هل كان بمقدور اي مخرج ان يخضع مجموعة عرقية اخرى الى هذا النموذج المشوه ؟ وهل نحتاج الى تقدير ما يمكن ان يحل بهذا المخرج لو تجرأ وعرض صورة مشوهة عن اليهود ؟ .

ان الصورة المشوهة لعرق ما غالباً ما تكون مكررة على المستوى الشخصي . وبالاضافة الى برامج التسلية فهناك البرامج الرمزية . ان التكرار الدائم على تشويه عرق يصبح امراً طاغياً . ولقد كتب ماك جرينفيلد في هذا الخصوص في مجلة « **نيوزويك** » . كتب يقول : « هناك حلقة مفرغة ، ومعيبة من العمل هنا . ان الكاريكاتير معيب . وهو يستوحي انطباعاً قديماً كان مقبولا ، في الماضي . اعني به الافتقاد الى معرفة ماهية العرب وحقيقة ماضيهم »

وتصبح البرامج الاذاعية وبرامج التلفزيون منصفة بالمقارنة مع تغطية الاخبار وبرامج الاحداث اليومية . فكثيراً ما نرى عقب هجوم « ارهابي » فلسطيني (وهي الصفة التي تعطى لهذه الاعمال) نحيب المفجوعين من اقارب اليهود الضحايا ونرى كذلك تفاصيل عاطفة الزوجة والأم . ولكننا لا نرى أثر الغارات الاسرائيلية (اعمال انتقامية ، بلا شك !؟) والامهات المفجوعات الباكيات . فليس لدى العربي عواطف او مشاعر . وليس لخسارته اي أثر على احد آخر .

والنتائج السياسية لهذا التشويه العرقي شديدة الوضوح . فالفلسطيني ، بالنسبة للرأي العام الاميركي الشمالي، يفتقد اي شعور انساني . وعليه فان الغارات الاسرائيلية مشروعة . كما ان استعمال الاسلحة المحرمة من قبل الاسرائيليين مثل القنابل العنقودية وقنابل النابالم الحارقة تمر من غير اكتراث . وتزويد اسرائيل بمزيد من الاسلحة لا يحتاج الى تبرير .

وعلى المسرح السياسي للاذاعة الكندية يمكننا ان نكتشف صورة صاعقة من اول نظرة ومن غير ايحاءات مسبقة . ولقد حاولت ان اقوم بذلك ، وأنا احمل شعوراً على انه من مسؤولية الاذاعة الكندية في برامج الاخبار وبرامج الاحداث اليومية ، ان تقدم للرأي العام الكندي تقارير اخبارية غير منحازة وموضوعية ، مما يتيح للكنديين ان يشكلوا احكاما واعية ؛ وبالانطلاق من هذه الأرضية ، فلقد توصلت الى النتيجة ذاتها التي من المؤكد ان كل ذي عقل سيتوصل اليها ، الا وهي ، ان اجهزة الاعلام الاذاعية في كندا تقوم بعملية ثابتة من التحريض والانحياز ضد العرب . وتتضح هذه العملية في تغطية اخبار الشرق الاوسط واخبار النزاع العربي ــ الاسرائيلي . ولنبدأ ببعض التسهيلات الاذاعية بشكل منفصل . وسيكون التركيز على وسائل الاعلام المحلية المقامة في هاليفاكس ونوفاسكوتا . وهي في كل الاحوال لا تختلف عن اي تجربة في اي مكان آخر من كندا .

هيئة الاذاعة الكندية (C.B.C.)

١ ــ **تقارير اخبارية** : في عملية صياغة تقارير موضوعية من الاخبار ، هناك اتجاه لاضافة النتائج العاطفية وكسب المزيد منها الى جانب الاسرائيليين . وغالبا ما يكون ذلك عن طريق تقارير مجتزأة او مشوهة أو ناقصة . وعندما يقوم الفلسطينيون بعملية من نوع القيام بتفجير أو القاء قنبلة يدوية ، توضع هذه العملية كخبر رئيسي وتوصف على انها عمل **ارهابي** جبان وقذر مع تفاصيل وافية عن قتل الاطفال . وعلى الجانب الاخر ، عندما

تقوم **القوات الاسرائيلية المسلحة** بالغارة على المخيمات الفلسطينية ، والقرى اللبنانية المسالمة مستخدمة اكثر الاسلحة تعقيداً ومسببة قتل عشرات وربما مئات من الرجال والنساء والاطفال ، فهي اعمال توصف بانها **انتقامية** ، ونادراً غير ذلك . ودعوني اعطي مثالين على ذلك :

صباح يوم الثاني من كانون الاول ١٩٧٥ ، قامت القاذفات الاسرائيلية بالقاء صواريخها على المخيمات الفلسطينية جنوبي لبنان تاركة اكثر من مائة ضحية ومئتين من الجرحى معظمهم من النساء والاطفال . ولقد تداولت ذلك معظم وسائل الاعلام في العالم وندد به السكرتير العام للامم المتحدة في اليوم ذاته . الا انه عند الساعة ١١ مساء (حسب التوقيت الاطلنطي) سمعنا خبر هذه المذبحة الجماعية من هيئة الاذاعة الكندية والبرامج التلفزيونية على الوجه التالي حرفياً . « قتل اليوم سبعة وسبعون شخصاً على الحدود بين اسرائيل ولبنان » . هكذا حرفيا . هذا مثال على التشويه المتعمد والمخيف . ولم يكن من الممكن معرفة الضحايا او معرفة الذين قتلوهم وكيف . انه مثل حقيقي عن درجة احتقار الانسان الفلسطيني والمرأة والاطفال الفلسطينيين .

وفي يوم ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٩وقع انفجار كبير في مدينة بيروت،من المعتقد ان الذين كانوا وراءه هم الاسرائيليون بالاشتراك مع بعض الكنديين ، مما تسبب بمقتل قائد فلسطيني (قيل انه من المسؤولين عن عملية ميونيخ) بالاضافة لعدد من المارة . لم تذكر كلمة « ارهاب » . الا انه بعد مضى ستة ايام (٢٨ كانون الثاني) وقع انفجار في مدينة ناتانيا في اسرائيل، مما تسبب بمقتل شخصين اسرائيليين. ولقد وصف العمل على انه هجوم « ارهابي » .

٢ ــ **أفلام أو تقارير وثائقية :** وهي كذلك تحابي وجهة النظر الصهيونية .وكمثال، يمكن ايراد برنامج بعنوان « الاتصال الروسي » وهو برنامج قدم بكثير من الاعتزاز من هيئة الاذاعة الكندية ، المقاطعة الخامسة ، يوم ٢٥ ايلول ١٩٧٩ ، والبرنامج هو صورة من التشويه المضخم والتحامل والافتراء . ويتكلم عن « ارهاب » منظمة التحرير الفلسطينية من غير ان يشير الى ارهاب نزع الأراضي ، وهو اكثر اشكال الارهاب عنفاً ، الذي يمارسه الصهيونيون على الفلسطينيين عن طريق اقتلاعهم من منازلهم . هذا اذا لم نذكر المجزرة التي ارتكبها الارهابي الكبير مناحيم بيغن وكل قادة اسرائيل وهي المجزرة التي لا زالت مستمرة حتى الان منذ ١٩٤٨ .

وتعرض بشكل مؤثر ومتقن مشاعر المأساةالتي تعانيها الأم الأسرائيلية المفجوعة . غير ان امهات المئات من الفلسطينيين والاطفال اللبنانيين الذين يقتلون يومياً ، بسبب الغارات الاسرائيلية ، فهم بلا عواطف ولا أحاسيس . فهي تروي ارهاب عبوة من « ت . ن . ت » وضعها رجل من منظمة التحرير . لكن ارهاب قنبلة عنقودية تسقط فوق مخيم فلسطيني او قرية لبنانية ليست جديرة بالذكر .

والروس اشرار لانهم يدربون الفلسطينيين الذين يكافحون من اجل استرجاع ارضهم السليبة . غير ان الاميركيين ابرياء في تزويدهم للاسرائيليين بطائرات الفانتوم المتقدمة، والاسلحة الموجهة ضد الفلسطينيين العزل والاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية منتهكين بذلك ميثاق الامم المتحدة وقراراتها المتكررة .

ويعرض البرنامج صوراً لاطفال اسرائيليين وهم يغنون ، من غير ان يعرض صوراً للاطفال الفلسطينيين وهم يتلوون بسبب قنابل النابالم والقنابل العنقودية . فليس لدى الاطفال الفلسطينيين ما يغنون من اجله ، وهم الذين ولدوا في مخيمات قاسية بعيدين عن اوطانهم . ان الانحياز والتشويه في وسائل الاعلام يجعل قسوة ومرارة حياتهم اكبر بكثير .

والبرنامج يحكي عن مئات من الاسرائيليين والاميركيين والاسكندنافيين الذين يتوافدون الى المناخ الصحراوي الدافىء في ايلات . لكنه لا يذكر شيئاً عن اصحاب الارض الاصليين . ولا يقول ابداً ان هذه الأرض **هي ملك للاجئين** الذين يذبحون يومياً في لبنان ليس بسبب ، الا لأنهم يناضلون من اجل العودة الى « السماء **الدافئة** » لأراضي اجدادهم . و « الارهابي » الشاب الذي يخاطر بحياته وهو في مقتبل العمر انما يقاتل في سبيل **تحرير** عائلته واهله من الاضطهاد والاحتلال الاسرائيليين .

ويعتمد البرنامج على مصادر من نوع الجنرال غازيت ، ضابط المخابرات الاسرائيلية ، وراي كلاين ، وهو

ضابط سابق في المخابرات المركزية الاميركية بالاضافة الى اشخاص مثل بريان كروزيير وروبرت موس وهم الذين اصبحوا المدافعين الشرعيين عن الأنظمة الدكتاتورية في شيلي وجنوب افريقيا . (كما جاء في ستان ماكدويل لكلوب وميل في ١ تشرين الاول ١٩٧٩). وبينما عثر البرنامج على محام واحد من سكان الضفة الغربية ليعبر عن الموقف المعارض لمنظمة التحرير الفلسطينية الا انه لم يكلف نفسه مشقة البحث عن التأييد الكاسح لمنظمة التحرير الفلسطينية بين رؤساء البلديات والمجالس المنتخبة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، والجماهير الفلسطينية تحت الاحتلال الاسرائيلي وفي المنفى . ان مبرر وجود هذا البرنامج لا أساس له كلية ذلك أن المساعدة السوفياتية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية هي امر معروف تصرح به منظمة التحرير ولم يكن في يوم أمراً سرياً .

٣ ـ **مقدمو المقابلات** : ان أهم الذين يقدمون المقابلات في هيئة الاذاعة الكندية في البرنامج الاذاعي « كما يحدث » هي باربره فورم . وهي مقدمة برامج تظهر انحيازاً لا شك فيه لمصلحة اسرائيل . وغالباً ما تتعاطى مع اي مشترك في هذا البرنامج بروح عدائية في حال تعرضه بالنقد لوجهة النظر الاسرائيلية بينما تظهر وداً ودماثة مع اي مشترك متعاطف مع اسرائيل . وهناك عشرات الامثلة ، الا ان المثال الذي اود ذكره هو .

في « تشرين الثاني ١٩٧٧ اجرت السيدة فورم مقابلة مع المندوب السوري في هيئة الامم المتحدة. ولقد عنف السفير السوري وأسيء اليه . وعلى عكس ذلك ، ما كان يجري بمقابلاتها مع مناحيم بيغن او مع اعضاء الكنيست من حزب ليكود كما حدث مع زلمان شيفول . وكمثال على المعاملة المتناقضة من قبل السيدة فورم يمكن تقديم ما حدث في مقابلة حديثة تمت يوم ٢٩ تشرين الاول ١٩٧٩ مع رئيس الزينيث ، القادم من كولومبية البريطانية ، والسفير الاسرائيلي في كندا ، متعرضاً لموضوع الغاء القرار الكندي حول نقل السفارة من تل ابيب الى القدس . صحيح ان للمتقابلين اراءهم ومشاعرهم لكنني اعتقد انه في سبيل تقديم تقرير صحيح ومتوازن من الضروري وضع هذه المشاعر الشخصية جانباً .

٤ـ **ضيوف البرامج** :من المؤكد ان هناك اغلبية واضحة من ضيوف البرامج والصحفيين ذوي الميول الصهيونية المعروفة . ويمكن الاشارة بهذا الخصوص الى السيد جون كيمشي . ففي يوم ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٦ ، استضافت السيدة فورم السيد كيمشي الذي قدم قصة مفبركة من غير اساس ، مهما كان ضعيفاً ، مدعياً ان رؤساء الجزائر وليبيا والعراق التقوا سراً في اوروبا وخططوا من اجل اختطاف وزراء نفط الدول المصدرة للنفط(اوبك) بمن فيهم وزراء بلادهم . ولقد شعرت بالجزع عندما وجدت هيئة الاذاعة الكندية تسمح بترويج روايات معادية عن رؤساء ثلاث دول ليس من مصلحة كندا معاداتها . وكان من الممكن ان تؤخذ رواية كيمشي على اساس انها رواية مسلية لو لم تقدمها هيئة الاذاعة الكندية كخبر حقيقي .

٥ ـ **المراسلون**: كذلك توجد غالبية كبيرة من تقارير المراسلين الذين يكنون عواطف كبيرة نحو اسرائيل من غير ان يكشفوا للجمهور عواطفهم هذه .

٦ ـ **الانتقاء التعسفي لمواد الاخبار** : تقدم عادة مواد اخبارية معينة من النوع الذي يحط من قدر العرب . وكمثال على ذلك :

في ١٧ نيسان ١٩٧٨ قدم السيد بول هوفمان رواية بعنوان « الرق الابيض » في برنامج « كما يحدث » . والقصة من النوع المسيء للعرب ومن النوع الغير مناسب في اي حال من الاحوال . وفي الاسبوع نفسه كشف عضو الكونغرس الاميركي السيد ماكلوسكي عن ان استخدام الاسرائيليين للقنابل العنقودية ، وهي القنابل المحرمة دولياً ، ضد المواطنين المسالمين خلال عدوانهم على جنوب لبنان، هو ضد التعهدات المعطاة لحكومة الولايات المتحدة . وبالرغم من الاتصالات التلفونية ورسائل الاحتجاج التي وجهت لمقدم برنامج « كما يحدث » فلقد اعتبر ان هذه المادة الاخبارية لا تتناسب مع المستمعين الكنديين .

وفي حلقة ٩ شباط ١٩٧٩ من برنامج « كما يحدث » نرى مثالاً آخر عن اشكال الصحافة المسيئة والتي تحط من قدر العرب . كان الموضوع هو برنامج زيارة الملكة اليزابيث الثانية لبلدان عربية لمدة ثلاثة اسابيع وهي الزيارة التي شملت السعودية والكويت ودولة الامارات العربية . وفي معرض التقديم لهذه المادة الاخبارية تتم الاساءة الى كل التقاليد العربية عن طريق الكلام الساخر عن « الشرف عند العرب الذين يأكلون اعين الغنم من الماشية » ثم

تستضيف السيدة فورم سيدة تدعى اولغا موت لاند (وهي كاتبة متخصصة بالاخبار الخاصة حسب ما تصفها مقدمة البرنامج) من صحيفة « ديلي اكسبرس » اللندنية . وكان السؤال الاول الذي وجه اليها « هل تقوم الملكة بزيارة هؤلاء «السيفرز» بدعوة منهم ام انها تسعى وراءهم بمبادرة منها ؟ » . ويعرف قاموس اكسفورد كلمة سيفرز Ciphers على انها « اشخاص تافهون لا قيمة لهم » بينما يعرفها قاموس وبستر على انها « الذي لا وزن له ولا قيمة ولا تأثير » . وهؤلاء هم ملوك ورؤساء دول يكرمون جلالتها وهم ملوك ورؤساء دول صديقة لكندا . كما انهم يمسكون على مفتاح الازدهار للشعوب العربية عن طريق كميات النفط التي تصدرها بلادهم . هؤلاء هم الذين تصفهم السيدة فورم على انهم سيفرز لا قيمة لهم . وخلال المقابلة كلها كانت لهجة السيدة فورم تسخر من العرب والحكام العرب . وتسيء ليس فقط للعرب الكنديين بل لكل المستمعين ايضاً . وليس من المعقول ان يكون العمل الاعلامي هذا هو الذي يدفع من اجله الكنديون الدولارات على شكل ضرائب، وهو امر يتعارض مع مصالحهم، بغض النظر عن تهجمات السيدة فورم الشخصية والسياسية ، وما يترتب عليه من شتم لشعوب وبلدان ليس بينهم وبين الكنديين اي عداوات او خلافات .

٧ ــ « **التوازن** » ــ **الكاذب** : انه لأمر معروف ان غالبية البرامج التي تقدم من الاذاعة والتلفزيون تحابي اسرائيل وأن معظم العاملين هم من الاسرائيليين او من المؤيدين لاسرائيل . لكنه في حال حدوث ان احداً رغب في تقديم وجهة نظر معادية للصهيونية ، يتم في الحال التقدم بطلب لتقديم رأي معاكس من اجل الحفاظ على « التوازن » ولقد حدث ان اتى الدكتور الفرد ليلينتال ، وهو كاتب يهودي ومؤرخ بارز ، الى جامعة والهوسي للزيارة ولالقاء محاضرات . وعندما طرح امر اجراء مقابلة معه في برنامج للتلفزيون المحلي لهيئة الاذاعة الكندية ، كان من الضروري تقديم صهيوني ليعرض وجهة النظر الاخرى لدواعي التوازن . وأنا اعرف ، خصوصا انني واكبت اراء مؤيدة للصهيونية من هذا البرنامج وغيره ، ان ضرورة التوازن هي قضية مسلية وعادية .

٨ ــ **الاعلانات** : خلال شهري نيسان وايار من سنة ١٩٧٨ ، تم عرض اعلان تجاري من هيئة الاذاعة الكندية ومن A TV . بهدف الدعاية من اجل تخفيض الاستهلاك للطاقة . ولقد عرض هذا الاعلان العنصري عربياً ، في زي عربي تقليدي ، وبشكل مسيء للشخصية العربية على أساس انها شخصية شيطانية تسرق المال عن طريق الاغتصاب . والاكثر شجباً في هذا الامر هو ان هذا الاعلان التجاري قد رعته حكومة توفاسكوتيا الحالية . ومن الجدير بالملاحظة انه عندما قدمت احتجاجات الى الوزير ضد مجلس الطاقة في توفاسكوتيا تم فعلا سحب هذا الاعلان .

نظام التلفزيون الاطلنطي (ATV)

تظهر التقارير الاخبارية ، وبرامج الشؤون الحالية في نظام التلفزة الاطلنطي انحيازاً ومستوى منخفضاً من التكافؤ كما فصلنا اعلاه . وهناك امثلة كثيرة لكنني سأحصر الامر بثلاثة امثلة تشكل تجربة شخصية .

١ ــ يوم السادس عشر من آذار ١٩٧٨ ، دعي مدير القسم الفلسطيني في مكتب المعلومات العربي لالقاء محاضرة في مركز اتحاد الطلاب في جامعة والهوسي . ولقد اعلمت وسائل الاعلام . كما تم تعيين مواعيد مع تلفزيون CBC و ATV وكذلك صحيفة « كرونكل هيرالد » .لقد تمت كل الامور على ما يرام الا بخصوص ATV الذي الغى البث كما كان قد اتفق من قبل . اما العذر الذي قدم فكان « لم يكن من الممكن توفير شخص آخر لتقديم وجهة نظر اخرى » . ومن الجدير بالاشارة هنا انه في الاسبوع الذي سبق ذلك قدم زائر اسرائيلي وجهة نظره على البرنامج نفسه من غير ان يطرح احد قضية تأمين عرض لوجهة النظر الأخرى .

٢ ــ يوم السابع والعشرين من ١ ايلول ١٩٧٨ رعت دائرة الثقافة الدولية في جامعة القديسة ماري في هاليفكس ندوة عن اتفاقات كامب ديفيد شارك فيها مندوب اسرائيلي اسمه السيد سيموندز كما شاركت فيه كمواطن فلسطيني كندي ، ممثلين وجهتي النظر المختلفتين . ولقد قدمت دائرة الثقافة الدولية هذه المناقشة لكل وسائل الاعلام في هاليفاكس . ولقد قدمنا كلانا في CBC وكرونكل هيرالد بينما رأت ATV استضافة السيد سيموندز فقط . وفي هذه الحال لم يكن الامر مجرد بحث عن وجهة النظر الاخرى بقدر ما كان استبعاداً مقصوداً لها .

٣ ــ في شهر تشرين الاول ١٩٧٩ دعي المحامي الاميركي عابدين جبارة لالقاء محاضرة عن انتهاكات اسرائيل

لحقوق الشعب الفلسطيني في كلية الحقوق في جامعة والهوسي . ولقد تقدمت ATV من اجل استضافة المحاضر الزائر . الا انه تم الاعتذار بحجة ان مقدم البرنامج لم يجد ما « يسند اليه » هذا الموضوع .

تلفزيون دارتماوث كابل

لقد حدث مرة ان اتفق على اجراء مقابلة مع رئيس وسكرتير جمعية العرب الكنديين في المناطق الاطلنطية . وعين الموعد مع مدير البرنامج على ان يكون يوم ٣ كانون الثاني ١٩٧٩ . بهدف التصريح عن اهداف ونشاطات المؤتمر السنوي العام للجمعية وكذلك شرح برنامجة في اقامة مدرسة لابناء الجالية المقيمة. وعند الموعد المحدد اعتذر مدير البرنامج ، وهو في وضع متوتر وبادي الاهتمام ، لالغاء المقابلة . ولقد فسر الامر على انه تلقى تهديدات بالتلفون من اعضاء في المنظمة الصهيونية في هاليفاكس لانه سبق له ان عرض شريطاً عن الحياة الفلسطينية في المناطق المحتلة من وجهة نظر توجه نقدا للاحتلال الاسرائيلي.ولقد اتصلت شخصياً، في اليوم التالي ، بمدير البرنامج الذي اكد لي انه تلقى فعلا مثل هذه التهديدات . ولقد بدا في وضع قلق وكثير التأثر .

ان هذا مثال واضح للارهاب الذي تمارسه جالية من السكان لتمنع الشعب الكندي من الاطلاع ، عبر وسائل الاعلام، على وجهات النظر الاخرى التي تنتقد وجهة النظر الصهيونية . كما ان تتبع هذه الحادثة يظهر مزيداً من التهويل . فبعد ان كشفنا واقعة الارهاب هذه لوسائل الاعلام وبعد ان عرضنا الامر امام المعنيين ، اتى من همس لمدير البرنامج الدكتور كوربير، ان عليه ان ينفي الامر في سبيل مصلحته . وهكذا نشر رسالة بأسمه في صحيفتي « كرونكل هيرالد » و « ذي ميل ستار » الصادرتين في هاليفاكس يوم ٣ آذار ١٩٧٩ نافياً ان يكون قد تعرض للارهاب او ان يكون قد ألغى البرنامج الذي سعينا له . ولقد كتبت لصحيفة « كرونكل هيرالد » ، كما كتب اثنان من الذين اطلعوا على القصة من الدكتور كوربير شخصياً ، نعرض تفاصيل الرواية الحقيقية . ولقد اعتذر رئيس التحرير عن نشر رسالتي ، حسب نصيحة محاميه ، حتى لا يؤخذ الأمر على انه تكذيب للدكتور كوربير . عندها عدت وكتبت الى رئيس التحرير والى ناشر الصحيفة مبدياً استهجاني من ان محاميهم بذلك لا يرى الدرجة ذاتها من الاهمية لاعتباري كاذباً . ولم تعط الصحافة « الحرة » كثير بال لحقيقة ان روايتي كانت مدعومة من مراقبين حياديين . وهذا مثال آخر عن الارهاب الصهيوني وعن القصة القديمة ذاتها التي نواجهها دائماً في هذا الجزء من العالم ، وهي « **المقاييس المزدوجة** » . اذ يمكن لأي شخص ان يكتب اي شيء عن العرب والفلسطينيين ، ولكن عندما يسعى هؤلاء للدفاع عن انفسهم في مواجهة الصهيونية يصبح الأمر غير مناسب ومن غير مصلحة الرأي العام كما يصبح عداء للسامية .

الصحافة

تلعب الصحافة ، على المستوى ذاته ، دوراً سلبياً . وانه لأمر مألوف للجميع تلك المقالات المعادية للعرب والمتعلقة بالنزاع في الشرق الاوسط . صحيح ان الصحافة دأبت باستمرار على تناول الاسلام من موقع معاد، الا ان الامر وصل الى مستوى متدن من الاخلاق منذ الثورة الايرانية ، وجميع المحررين ، الى حد ما ، يأخذون موقفاً معادياً . اذ انه من الصعب ان تنشر مقالة او تكتب رسالة تعرض وجه النظر الثانية . وتجربتي مع الصحيفة اليومية في هاليفاكس « كرونكل هيرالد » هي مثال تقليدي للمقاييس المزدوجة وعدم المساواة الدائمة . ولنعط بعض الامثلة .

يوم ٢ آذار نشرت صحيفة « ذي كرونيكال هيرالد » مقالة افتتاحية بعنوان « تهديد عرفات » واصفة اياه على انه « رجل يشكل مع منظمته تهديداً خطيراً لقضية السلام في الشرق الاوسط والعالم ولأمن واستقرار الانسانية » . « ويرتكب اتباعه اعمال القرصنة الجوية والقتل وهي اعمال تزيد في فظاعتها على اي وصف » . وتضيف المقالة « يفتقد الفلسطينيون الى خصائص شخصية مثل خصائص وطن له حدود جغرافية محددة » . وقس على ذلك من الأقوال التي تفتقد الى اي اساس من الصحة . ولقد كتبت الى المحرر بهذا الخصوص مؤكداً على عدم صحة هذه الادعاءات وعلى اصالة الشخصية الفلسطينية وكذلك على مدى الاضطهاد والقمع وانتزاع اراضي الشعب الفلسطيني . الا ان المحرر رفض نشر رسالتي ، بحجة ان هذا الأمر ليس من جملة اهتمامات الرأي العام. كما انه لم يبد استغرابه عندما تساءلت كيف يكون الامر من صميم اهتمامات الرأي العام لدرجة تناوله

بمقالة افتتاحية بينما يصبح غير ذلك عندما اوجه رسالة لتنشر في الزاوية المقابلة ؟ .

ان كثيراً من الكتاب الصهيونيين ، امثال رجل الاعمال ساموال جاكبسون ، ينشرون من وقت لآخر مقالات في صفحة الرأي في صحيفة « ذي كرونكل هيرالد » تؤيد وجهة النظر الاسرائيلية وتشهر بدرجة كبيرة بالفلسطينيين والعرب . وهي مقالات لا تقوم على اي اساس من الحقيقة وتكون مشبعة بالهراء والنفاق . وفي اكثر من مناسبة كتبت مقالات موثقة تعالج مواضيع رئيسية بما فيها الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان وحقوق الشعب الفلسطيني ومواضيع اخرى من هذا القبيل . الا انها كانت ترفض كلها . وبينما كان يتم نشر كل المقالات التي تعكسَ وجهة النظر الاسرائيلية والاميركية من اتفاقات كامب ديفيد والمعاهدة التي تبعتها ، الا ان وجهة النظر الفلسطينية لم تكن تناسب اعين الكنديين .

يوم ١٩ تموز ١٩٧٩ اعادت صحيفة « ذي كرونكل هيرالد » نشر مقالة من صحيفة « ذي ديلي تلغراف » بقلم بيريجرن وورستورن وكانت بعنوان « وجهة نظر الغرب من بترول العرب ــ سلاح قاتل في ايدي اعداء حاقدين » . وهي مقالة لم يسبق ان كتب مثلها من الافتراء والعداء . ولقد رفضت الصحيفة نشر رد قصير يفند ما جاء فيها من مغالطات .

كتب التعليم المدرسية

المدرسة هي قطاع آخر خطير الا انهم مهمل . اذ ان كثيراً من كتب التعليم ، ولنضع جانباً المدرسين، تقدم معلومات مغلوطة ومنحازة . ولقد وقع بين يدي منذ فترة كتاباً يستخدم في المرحلة الابتدائية من التعليم ، والكتاب بعنوان « عالم الشعوب في المحيط الشرقي » ، من تأليف بنيامين فاز ، دار بورو ، نورث يورك أونتاريو . ويشمل الكتاب على تسع مناطق تضم افريقيا وآسيا واوروبا . وواحدة من هؤلاء هي اسرائيل (لاحظ العنوان ارض الميعاد) . ويهدف مضمون الكتاب الى كسب العطف وتقديم معلومات غير صحيحة . ولا اساس من الصحة لكل ما يرد ذكره على انه حقائق تاريخية . وعليه ينكر على الفلسطينيين حقهم التاريخي الموروث . كما ينكر عليهم هويتهم :« كان يعيش في فلسطين اليهود، والعرب والمسيحيون » . وفي سنة ١٩٤٨ « شن العرب المجاورون حربا ضد اسرائيل » . اما في سنة ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وسنة ١٩٧٣ « فقد انطلعت الحرب». وتقدم احصائية فريدة تقنية خبيثة يعتمدها المؤلف من اجل ان يبين نسبة الغير متعلمين ومعدل الدخل والمصاريف الحكومية والمستوى الصحي الفردي والمعيشي في اربع بلدان هي كندا ، مصر ، اسرائيل والاردن . والنتيجة مهمة جداً . انها التناقض الصارخ **بيننا وبينهم** . والاسرائيليون مثل الكنديين (انهم الــ **نحن**) اما العرب فهم **ليسوا** من الــ نحن . ويقدم الكتاب تفاصيل عن مواعيد رحلات الطيران وعن اماكن الانضمام الى رحلات الى اسرائيل . وهذا امر تنفرد به اسرائيل من بين كل الدول التي يعرضها الكتاب . كما يعرض الفصل العلم الاسرائيلي وهاتيكفا (النشيد القومي الاسرائيلي) ،باللغتين الانكليزية والعبرية . وليس من المؤكد ان كل البلدان الاخرى لها علم خاص بها **أو نشيد قومي** ! ان الامور تبدو في حالة شديدة القساوة . هل من الممكن دراسة ميكانيكية واسباب هذا الوضع ؟ ان كل متتبع للحالة السياسية في وسائل الاعلام الكندية قادر على العثور على بعض الاجوبة . والاسئلة المطروحة كثيرة . الا ان معظم هذه الاسئلة ترتبط بمن يملك او يتحكم بوسائل الاعلام ، وبالمنتجين المنفذين . وبدرجة ارتباط فرص تحسين اوضاعهم ورتبهم بوجهات النظر التي يعرضونها عن الشرق الاوسط . وما اذا كانت توجه لهم دعوات منظمة لزيارة اسرائيل في فترات الصيف . ودور ذلك على المستوى السياسي . ان الوعد الذي قطعه رئيس الوزراء كلارك على نفسه لنقل مقر السفارة الكندية من تل ابيب الى القدس يكشف بشكل واضح العامل السياسي ، حتى ولو كان على درجة غير كبيرة . وباختصار يمكن ايراد ما ذكره الفرد ليلينتال : « ان الاخطبوط الصهيوني » موجود هنا ايضا . ان الاخطبوط ، وعلى ذات المستوى الموجود فيه في الولايات المتحدة الاميركية منتشر هنا . وهذا الاخطبوط ليس امتيازاً ينفرد به الاميركيون الشماليون . انه منتشر في اوروبا ايضا . ويكشف كتاب مايكل آدامز وكريستوفر مايهو « ليس للنشر ــ الشرق الاوسط يغطيه » دور هذا الاخطبوط في بريطانيا .

وعند هذه النقطة يشهر الصهيونيون سلاحهم بوصم كل منتقديهم بتهمة العداء للسامية . ولقد اظهر هذا السلاح فعالية كبيرة في اخراس كل منتقدي اسرائيل وسياساتها ،مما اعطى اسرائيل حصانة فريدة لم يسبق ان تمتعت بها دولة من قبل . اذ من الممكن ان تنتقد السياسة الكندية وسياسة الولايات المتحدة او اي حكومة اخرى .

يمكن ان تنتقد السيد جو كلارك والسيد جيمي كارتر وحتى ملكة انكلترا ، ولكن الويل لك ثم الويل اذا ما تعرضت بالنقد لسياسة الحكومة الاسرائيلية ، او لناحيم بيغن او الذين كانوا قبله . انهم جميعاً فوق عملية النقد .

واشعر الان بالسعادة وانا انهي هذه المقالة بالملاحظة الايجابية التالية . ان اعداداً وفيرة من الصحافيين والاكاديميين وحتى السياسيين من اوروبا واميركا الشمالية قد بدأوا بكسر هذا الطوق . لقد بدأوا بالافصاح عن آرائهم . صحيح ان العملية لا زالت بطيئة ومبكرة . الا انها على الطريق الآن ولن يمضي وقت طويل حتى يسمح للكنديين والاوروبيين والاميركيين بان يعرفوا ان الفلسطينيين هم شعب ، مثل كل الشعوب الاخرى . وان لهم حقوقا ايضا . وانهم يتألمون ، مثل كل الشعوب ، عندما يتعرضون للقمع او لانتزاع اراضيهم .

كندا ــ د . اسماعيل زايد

أحداث افغانستان وانحسار الغرب عن آسيا

شهدت أفغانستان بين ٢٧ نيسان ١٩٧٨و٢٧كانون الأول ١٩٧٩ سلسلة من الانقلابات العسكرية ، يمكن اعتبارها صراعاً على السلطة بين أجنحة الائتلاف الذي أسقط نظام داوود خان . وقد اعتمد الائتلاف على الجيش بشكل أساسي ، اضافة الى وجود سياسي شكل أساسه حزبا « خلق »الذي يتزعمه نور محمد طرقي و« بارتشام » الذي يتزعمه بابرال كارمال . ويعود الحزبان الى منشأ واحد، ففي عام ١٩٦٧ انشق كارمال عن خلق ، وشكل بارتشام ، لكن الحزبين عادا الى الاندماج في تموز ١٩٧٧ وعملا معاً لاسقاط داوود خان . ولم يطل التحالف بين الحزبين ، فمنذ أواسط العام ١٩٧٨ بدأت عملية اقصاء أتباع كارمال الى السلك الديبلوماسي الخارجي ، وبدأت خيوط السلطة تتجمع في أيدي حفيظ الله أمين ، الذي أصبح منذ ٢٩ آذار ١٩٧٩ الحاكم الفعلي لأفغانستان ، بعد أن تسلم رئاسة الحكومة ، واكتفى طرقي بألقاب رئيس الجمهورية والأمين العام لحزب خلق ، والزعيم العظيم للشعب الأفغاني . ولم يكتف أمين بذلك ، بل عمد في ١٦ أيلول ١٩٧٩ إلى اجراء عملية انقلابية انتهى فيها طرقي جسدياً في ظروف غامضة . ولم يطل أمر أمين وحكمه ففي ٢٧ كانون الأول ١٩٧٩ أطاح الجيش بأمين ، الذي اعتبرته السلطة الجديدة « عميلا للولايات المتحدة الأميركية » . فقد أعلن كارمال في خطابه الأول الى الشعب الافغاني « ان أمين عميل وكالة المخابرات المركزية الأميركية ، وخائن قضية وحدة الحزب والدولة والقوات المسلحة . قد قضى ، دون رحمة أو شفقة على حياة نور محمد طرقي ، أول سكرتير عام للجنة المركزية للحزب الديمقراطي الشعبي .. ونتيجة لموجة السخط الشعبي مثل أمين وأعوانه أمام محكمة الشعب الثورية العادلة وأعدم (نوفوستي ١٩٧٩/١٢/٣١) .

السلطة الجديدة تعلن العداء للصهيونية والتأييد للشعب الفلسطيني

أعلن كارمال ، في خطابه الى الشعب الافغاني ، عن النهج السياسي الذي سيتبعه فقال . « ان أفغانستان تقف جنباً ، الى جنب مع القوى المحبة للسلام ، وتناضل ضد الحروب ومشعليها وضد الاستعمار والاستعمار الجديد والأمبريالية والصهيونية... وتدعم بحزم النضال التحرري للشعب العربي الفلسطيني (نوفوستي ، ١٩٧٩/١٢/٣١) كما أيدت السلطة الجديدة الثورة الايرانية ، ودعت الدول المجاورة لأفغانستان الى مد يد الصداقة والتعاون . وسمت الدول المجاورة بأسمائها ، لكن ما ميز الخركة الجديد في أفغانستان هو طلبها الدعم العسكري من الاتحاد السوفياتي ، وهو الطلب الذي لقي الاستجابة الفورية ، ودخلت القوات العسكرية السوفياتية أفغانستان. حيث تم الطلب وتمت الاستجابة له من وجهة نظر الجانبين ، تطبيقاً لاتفاقية حسن الجوار والتعاون الموقعة بين الدولتين في كانون الأول ١٩٧٨ . وقد أصدرت الحكومة الأفغانية بلاغاً بهذا الخصوص جاء فيه« تصرح حكومة جمهورية أفغانستان الديمقراطية بكل الحزم مرة أخرى بأن ذلك الطلب ، قد جاء نتيجة تزايد التدخل المسلح والاستفزازات من قبل الأعداء الخارجين للشعب الأفغاني .. وتؤكد حكومة جمهورية أفغانستان الديمقراطية ان ضرورة مثل هذه المساعدة سوف تنتفي بعد انتهاء التدخل المسلح والاستفزازات من الخارج (نوفوستي ،١٩٨٠/١/٣) . من ناحية اخرى ادان أسد الله بسافاري نائب الرئيس الافغاني الادعاءات القائلة أن الاتحاد السوفياتي تدخل في شؤون بلاده الداخلية

« واتهم الولايات المتحدة والصين والمملكة العربية السعودية ومصر أنها قد اشتركت في تشكيل عصابات قطاع طرق معادية للأفغان (رويتر ٥/١/١٩٨٠) . وقد ولد دخول القوات العسكرية السوفياتية أفغانستان موجة من ردود الفعل الحادة في العالم الغربي ومؤيديه من دول العالم .

ردود الفعل العالمية على أحداث أفغانستان ، واستخدام الولايات المتحدة الغذاء سلاحاً سياسياً .

اتسم الموقف لدى دول العالم ، من أحداث أفغانستان ، بالحدة في طابعه العام . وشكل فرزاً واضحاً تميز بالدعوة والاستعداد الى خطوات عملية ، كان أبرزها موقف الولايات المتحدة والدول المرتبطة بها. فقد أعلنت الولايات المتحدة خطوات اجرائية ضد الاتحاد السوفياتي أهمها وقف تصدير القمح ، كما حددت باتخاذ خطوات أخرى كوقف تصدير التكنولوجيا المتطورة ، وعدم التوقيع على اتفاقية سالت ــ٢ والعمل على نقل دورة الألعاب الأولمبية ــ ١٩٨٠ ، الى خارج الاتحاد السوفياتي ، الخ ذلك . وطلبت الولايات المتحدة من حلفائها الاقتداء بها ، فأعلنت كندا وقف تصدير القمح الى الاتحاد السوفياتي أيضاً ، وبدأت تبحث مع بلدية مونتريال مسألة الاستعداد لاجراء الدورة الأولمبية فيها . وأعلنت كل من مصر واسرائيل استعدادها لتقديم تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة ، واقترحتا عليها ذلك . لكن الولايات المتحدة قررت استخدام قواعدها في الصومال وعمان . كما أعلنت الصين ، في ختام زيارة هارولد براون وزير الدفاع الأميركي لعاصمتها بكين ، « أن العمليات السوفياتية تهدد بصورة مباشرة السلام الدولي والأمن لكافة دول العالم ، وأنها تشكل تحدياً للمجتمع الدولي ... ولذلك رأى الجانبان أن المقاومة والتصدي للعدوان العسكري السوفياتي وأطماعه التوسعية مسألة عاجلة جداً في الوقت الراهن (السفير ، ٨/١/١٩٨٠) ، وقال تينغ هسياو بينغ في مأدبة عشاء أقامها حسين مبارك نائب الرئيس السادات أثناء زيارته للصين ، « ان الصين تعتزم التعاون مع الشعب الأفغاني في التصدي لأعمال العدوان والتوسع السوفياتي (المصدر نفسه) . ودعت السعودية وتونس الدول الاسلامية الى « عدم الاكتفاء بالتنديد اللفظي » وقال الأمير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية « ان جميع الدول الاسلامية والدول النامية مهددة بهذا الخطر (السفير ٦/١/١٩٨٠) . كما دعا الحبيب الشطي الأمين العام للمؤتمر الاسلامي الدول الأعضاء في المنظمة الاسلامية « لتوحيد جهودها من أجل وضع حد للوجود العسكري السوفياتي في أفغانستان (المصدر نفسه) .

لكن ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قال في كلمة ألقاها في الذكرى العشرين لتأسيس اتحاد طلبة فلسطين ، « في الوقت الذي يتباكون فيه على الاسلام في افغانستان هم ضد الاسلام في ايران (النهار ، ١١/١/١٩٨٠) .

كما اعلن فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية « أن الاتحاد السوفياتي قدم لأفغانستان مساعدة غير انانية ولصالح الشعب الأفغاني (السفير ، ١٣/١/١٩٨٠) .

اضافة الى موقف م.ت.ف. الذي عكسه تصريح فاروق القدومي ، أعربت المنظمات الفلسطينية عن شجبها للحملة الامبريالية الاميركية ضد افغانستان . وأعلنت الجبهة الديمقراطية موقفها من السلطة الافغانية الجديدة في برقية التهنئة التي أرسلها الامين العام للجبهة نايف حواتمة ، جاء فيها « نعبر عن تضامننا الكامل مع كل الاجراءات التي اقدمت عليها حكومتكم وحزبكم لمجابهة التدخل والعدوان الرجعي والامبريالي ، وبالاستناد الى التضامن والمساعدة الخاصة التي قدمها الاتحاد السوفياتي ، وخاصة على الصعيد العسكري (الحرية ، ١٤/١/١٩٨٠) .

على صعيد آخر اجتمع مجلس الأمن بناء على طلب ٥٠ دولة لبحث مسألة « التدخل العسكري السوفياتي في أفغانستان » في ٥/١/١٩٨٠ وقد تقدمت الدول صاحبة الطلب بمشروع قرار يدعو الى سحب القوات العسكرية الأجنبية من أفغانستان . دون أن يسمى بالاسم الاتحاد السوفياتي . ورد المندوب السوفياتي على القرار بالقول « ان الاقتراح الذي قدمته الولايات المتحدة وبريطانيا وحوالي ٥٠ دولة أخرى تؤيدها لتوريط مجلس الأمن في القضية ، غير مقبول ... ان الأحداث في تلك البلاد هي شؤون أفغانية . وان العلاقات بين موسكو وكابول مبنية على التزامات المعاهدة المتبادلة بينها (رويتر ، ٥/١/١٩٨٠) . كما قال وزير خارجية أفغانستان شاه محمد دست في الجلسة « ان حكومة بلدنا تعتبر هذه المناقشة تدخلاً مباشراً في شؤون أفغانستان الداخلية ، وهي تعبر عن احتجاجها الحاسم على ذلك... فبوجه تزايد الخطر الخارجي وقيام الولايات المتحدة الأميركية وغيرها من الدول الأمبريالية والصين بالدعم المباشر للعصابات المناوئة للثورة ، لبت الحكومة السوفياتية طلبنا وفقاً للمادة ٤ من معاهدة الصداقة وحسن الجوار والتعاون بين الاتحاد السوفياتي وأفغانستان ، وأرسلت الى أفغانستان مجموعة محدودة من القوات المسلحة (نوفوستي ، ٨/١/١٩٨٠) . وردت بريطانيا على وزير خارجية أفغانستان بالقول « ان بريطانيا لا تعتبر حكومة أفغانستان الحالية حكومة شرعية»(رويتر ، ٥/١/١٩٨٠) . وأيدتها الولايات المتحدة . وبعد مداولات استمرت ثلاثة أيام صوت أعضاء مجلس الأمن على مشروع القرار الداعي الى سحب القوات العسكرية من أفغانستان فأيدته ١٣ دولة ،

وعارضه الاتحاد السوفياتي وألمانيا الديمقراطية . لكن القرار سقط باستخدام الاتحاد السوفياتي حق الفيتو .

بعد ذلك طلبت ١٨ دولة من دول عدم الانحياز ، عقد اجتماع طارىء للجمعية العمومية ، لبحث موضوع التدخل في أفغانستان ، اذ أنه ليس لأي دولة حق الفيتو في الجمعية العمومية ، لكن قراراتها تشكل احتجاجاً فقط ، فليس لها قوة الالزام والتنفيذ . وتعتبر هذه الجلسة هي السادسة من نوعها خلال ٣٤ سنة من عمر الجمعية العمومية . فقد عقدت أول جلسة طارئة لها في تشرين الثاني ١٩٥٦ لبحث الاعتداء الثلاثي على مصر ، وفي العام ذاته عقدت أيضاً في تشرين الثاني اجتماعاً طارئاً ثانياً لبحث التدخل السوفياتي في المجر ، وعقدت اجتماعاً ثالثاً في آب ١٩٥٨ لبحث مسألة الانزال الأميركي في لبنان . وفي أيلول ١٩٦٠ اجتمعت لبحث مسألة الحرب في الكونغو ، أما الاجتماع الخامس لها فكان في حزيران ١٩٦٧ لمعالجة الحرب العربية ـ الاسرائيلية . وقد بدأت الجمعية العمومية جلستها في ١٩٨٠/١/١١ لبحث مسألة التدخل العسكري السوفياتي في أفغانستان .

المعارضة الأفغانية

كتب لويس دويري في صحيفة الغارديان : « بعد انقلاب السابع والعشرين من نيسان ١٩٧٨ الذي أطاح بداوود خان ، لم يواجه النظام الجديد سوى معارضة لا تكاد تذكر ، وذلك لثلاثة أسباب ، الأول أن معظم المواطنين فوجئوا بالانقلاب ، الثاني : أن الأغلبية كانت تريد أن تمنح النظام الجديد فرصة النجاح . والثالث هو أن الانقلاب وقع في الربيع . والربيع والصيف في أفغانستان موسما عمل زاخران . فالريف يكون عادة مشغولا بالحصاد والماشية اللذين يشغلانه عما يدور في العاصمة ، ولكن ما ان انتهى الموسم الزراعي حتى انفجرت القلاقل في الأرياف مصحوبة بانفجارات دورية في العاصمة (السفير ، ١٩٨٠/١/١٠) . ونقل داوني المراسل التلفزيوني ، الذي اشتهر بتغطية ثورات أرتيريا وروديسيا وكردستان ، صورة عن النشاطات المسلحة المناهضة لنظام الحكم في كابول فقال : « ان ثورة أفغانستان هي الأكثر فوضى بين الثورات التي عرفتها، فليس هناك في كونار وهي مركز رئيسي للثورة أية قيادة مركزية ، وكثيراً ما يمنع قرويون من قبلية من القبائل مسلحين من مناطق أخرى من المقاطعة من اجتياز أراضيهم ، وأن الأسلحة التي يجري الاستيلاء عليها تباع عادة . كما ان الجنود الذين ينضمون الى الثوار ، كثيراً ما تسلب أسلحتهم ويتركون كي يدبروا شؤونهم بأنفسهم .. ان المسلحين في مقاطعة كونار لم يكونوا يفكرون كثيراً في الأحداث خارج المقاطعة ، وكانوا يقاتلون بصورة رئيسية للحفاظ على وضعهم الاقطاعي القائم ووقف الاصلاحات التي أدخلتها الحكومة اليسارية في كابول وهي اصلاحات اعتبرت ضد الاسلام (السفير ١٩٧٨/١٢/٣١) . وقد علق مصدر باكستاني معارض على وضع القبائل المسلحة في أفغانستان وقال « ان قيام حركة معارضة مسلحة قوامها رجال القبائل المسلحون في أفغانستان هي عملية ليست سهلة... وان تحقيق وذلك باهظ التكاليف وصعب الاعداد ، وذلك بسبب وجود عدة قبائل على طول الحدود الباكستانية ـ الأفغانية تعاني من نقص في التعليم وينعدم لديها الهدف والجهل الكامل ، الذي يميز رجال القبائل ، بمختلف أنواع الأسلحة الحديثة .. ان التكاليف لا تنحصر فقط بما سينفق على ابتياع الأسلحة وحسب ، بل بمقدار الأموال التي توزع على رجال القبائل لاقناعهم بمحاربة الحكومة المركزية في كابول (السفير ، ١٩٨٠/١/١١).. أما القيادة السياسية للمعارضة فهي موزعة في الأقطار المجاورة ، وتعمل جاهدة لتشكيل جبهة موحدة لقيادة العمليات القتالية . وقد اجتمعت هذه القيادات في ١٩٨٠/١/٤ في باكستان لبحث مسألة تشكيل جبهتها وضم الاجتماع رؤساء أربعة تنظيمات ، لكنهم لم يتوصلوا الى اتفاق محدد ، حيث يدعو البعض منها الى العمل تحت زعامة الملك السابق لأفغانستان ظاهر شاه الذي يعيش في المنفى في روما منذ عام ١٩٧٣ « الذي ناشد كل المجموعات السياسية في بلاده تناسي الخلافات والانضمام الى القوات التي تخوض حرب تحرير ضد التدخل السوفياتي (السفير ، ١٩٨٠/١/٨) . كما طلب رئيس المجلس الثوري الوطني الاسلامي في أفغانستان ضياء خان نصري من الحكومة المصرية « شحناً جوياً فورياً للأسلحة والمستشارين العسكريين لمساعدة الثوار الأفغانيين الذين يواجهون القوات السوفياتية . وقال انه قدم هذا الطلب أثناء محادثاته مع وزير شؤون الرئاسة المصري منصور حسن (المصدر نفسه) .

أهمية أفغانستان الجغرافية السياسية

هذا الاهتمام الذي حظيت به الأحداث في أفغانستان ، ينطلق من اعتبارات جغرافية سياسية لهذا البلد الذي يعتبر عقدة الوصل بين وسط وشرق آسيا . ويبلغ طول حدوده الشمالية مع الاتحاد السوفياتي ١٢٠٠ كم ، كما يتصل مع الصين في الشمال الشرقي منه بحدود طولها ٥٠ كم ، وتقع باكستان على حدوده الشرقية والجنوبية ويبلغ طول الحدود معها ١٥٠٠ كم ، ومن الغرب تحده ايران وطول حدودها مع أفغانستان تبلغ ٦٠٠ كم .

يسكن في أفغانستان ١٧ مليون نسمة ، وطبيعة أراضيه جبلية وعرة ، يعمل ٨٠٪ من سكانه في

الزراعة ، وتبلغ نسبة الأراضي المزروعة ٨٪ من مساحة البلاد . كما يحوي باطن الأرض ثروات طبيعية أهمها النفط والفحم والغاز الطبيعي ، وهذه الثروات غير مستغلة حتى الآن .

وبعد أن خسرت الولايات المتحدة مواقعها في ايران ، عملت على استعادة نشاطها في بلدان مجاورة للاتحاد السوفياتي . وتعتبر ، في هذا الاطار ، أفغانستان بلداً نموذجياً ، جغرافياً ، لمراقبة نشاط الاتحاد السوفياتي ، وقد يكون هذا السبب أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت الأتحاد السوفياتي الى تقديم العون العسكري السريع لحكومة كابول الجديدة . هذا العون فاجأ الولايات المتحدة فردت على ذلك باعادة شحن الاسلحة الى باكستان ، كما أعادت اقامة اتفاق مع تركيا على استخدام القواعد الأميركية فيها لمدة خمس سنوات أخرى ، بعد ان كانت قد أوقفت استخدامها بعد أحداث قبرص . كما طلبت الولايات المتحدة من الدول المؤيدة لها الدعم والعون لتطويق خطوة الاتحاد السوفياتي ، كان أبرزها تضامن كندا بالاعلان عن وقف شحن الحبوب الى الاتحاد السوفياتي ؛واقرار السعودية تقديم قرض لباكستان قيمته ٨١٠ مليون دولار . هذا عدا الدعاوة السياسية الواسعة لتحريض العالم الاسلامي ضد الاتحاد السوفياتي الملحد . فقد قال الرئيس الأميركي كارتر عن التدخل السوفياتي في أفغانستان « انه جهد متعمد من حكومة ملحدة وقوية لاخضاع شعب مسلم مستقل (السفير ، ١٩٨٠/١/٦) .

أخيراً ، مع التحفظ من ظاهرة استخدام القوة ، هل يمكن اعتبار التحرك الأميركي الصاخب دفاعاً عن الحرية ، والولايات المتحدة صاحبة الباع الطويل في اسقاط الأنظمة المعارضة لها من مصدق الى الليندي ؟ أم ان الولايات المتحدة بدأت تشعر بأن امبراطوريتها بدأت بالتقلص في العالم ، من فيتنام ، مروراً بكوبا وايران ونيكارغوا ، فعادت الى سلاح الخمسينات لترفع مجدداً شعار الصراع مع الشيوعية الملحدة ؟ واذا كان الأمر كذلك فلماذا ، كما قال ياسر عرفات « يتباكون على الاسلام في أفغانستان وهم ضده في ايران » .

أحمد شاهين

مراجعات

نبيل ايوب بدران

التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني .
الجزء الثاني ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧

مركز الابحاث ،بيروت ١٩٧٩

صدرت بالعربية وبالانجليزية عدة دراسات علمية تتناول موضوعات عديدة متصلة بتعليم الفلسطينيين ، معظمها دراسات عامة نلحظ فيها كثيرا من التكرار . لذا ، نستطيع القول بأن هذا الكتاب الذي يتناول التعليم وعلاقته بالتحديث في المجتمع الفلسطيني ما بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٧ ، يمتاز عن تلك الكتب العامة بالدراسة المحددة والجادة . فليس من اليسير على باحث واحد ، مهما يبلغ من عمق وأصالة ، أن يعالج مسألة شائكة وعسيرة كمسألة « التحديث » في مجتمع كالمجتمع الفلسطيني الذي تعرض للتمزيق والاقتلاع والنفي والتشتيت . لكن على الرغم من ذلك ، حاول الاستاذ نبيل بدران ان يتعرض للمسألة رغم ما فيها من عسر وتشابك ؛ فحاول ان يكشف لنا ، في دراسة عميقة ، عن طبيعة «التحديث» وكيف يكون ؟ وعن تعليم الفلسطينيين وعلاقته بـ « بتحديث مجتمعهم » . فمؤلف هذا الكتاب يعد أحد الثقات في دراسة تعليم الفلسطينيين ، وقد استفاد كثيرا في ذلك من ترؤسه قسم الدراسات التربوية في مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية .

عشر سنوات (لا تسع كما يقول المؤلف) تفصل بين صدور الجزء الأول عام ١٩٦٩ والجزء الثاني عام ١٩٧٩ ، من هذا الكتاب ، ولا اظن ان الكاتب أمضاها كلها في البحث والتنقيب كما يقول ، ولكن تعدد المشاغل ، والاستغراق في العمل الاداري ، وحمل اكثر من بطيخة في اليد ، كلها اسباب استنزفت ، ولا تزال ، وقت الباحث وغيره من الباحثين الفلسطينيين ، مما يحد من ارتفاع وتيرة عطائهم الفكري وتواصله .

يقع الكتاب في ٢٠٤ صفحات من الحجم الكبير ، وينقسم الى ثلاثة فصول ، بالاضافة الى مقدمة ، وتعقيب ، وثبت بالمراجع العربية والاجنبية .

ويتناول الفصل الأول النكبة واثرها المباشر على المجتمع العربي الفلسطيني ، اما الفصل الثاني فقد خصصه المؤلف لدراسة التعليم كرأسمال أساسي ، ويتناول الفصل الثالث الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعب العربي الفلسطيني قبل التحولات السياسية العميقة (الاحتلال وانتشار الثورة المسلحة) وهو أطول الفصول الثلاثة .

وكأي بحث علمي جاد ، حاول المؤلف ان يوفر لبحثه اكثر المقومات ضرورة ، الأمر الذي يغفله بعض الباحثين غالبا إما جهلا وإما استهتارا . فنبيل بدران حاول ان يجعل المدخل الطبيعي لدراسته معرفة القواعد والمفاهيم التي يستخدمها أثناء البحث محددا مدلولاتها سلفا،خصوصا ان مفاهيم العلوم الاجتماعية ومناهجها لم يتم الاتفاق العام بصددها حتى الان ، سواء في عملية وصف او تحليل او تفسير الظواهر الاجتماعية المنوي دراستها ،لا لأهمية هذه المفاهيم بالنسبة للبحث فحسب ، بل للاسترشاد بها في الجانب التخصصي . اذ لا بد للباحث الميداني المنقب من ان يعتمد ، في ابحاثه ودراساته تلك ، على مجموعة من المبادىء النظرية التي توجه ابحاثه ، وتمده بالفروض التي يحاول اختبارها في المجتمع موضوع الدرس . فمثل هذه الفروض هي التي ترسم له ، الى حد كبير ، ابعاد المشكلات التي يركز عليها دراسته .

مفاهيم المؤلف

افتتح المؤلف كتابه بالحديث عن مفهوم « التحديث » ، بهدف ادراك ابعاده وحدوده ، وعن وقوف قسم من الكتاب التقدميين العرب ضد استعمال هذا التعبير ، لارتباطه بمفاهيم « علم

الاجتماع الامريكي الرجعي » وان هذا الموقف هو جزء من تيار عالمي تقدمي يرفض هذا التعبير وما يرتبط به من منهج تحليلي . لكن الجدل الواسع ، عالميا وعربيا ، حول هذا الموضوع ـ كما يقول المؤلف ـ اوضح العديد من الامور التي ساعدت على إزالة بعض السمات غير الصحيحة التي الصقت بمفهوم « التحديث » والتي اعاقت استعماله كأداة عمل في التحليل الاجتماعي الشمولي . فجرى فصل هذا المفهوم عن النموذج الغربي ـ الصناعي ، مع الابقاء على اعتماد الخصائص الاساسية لنشوء وتطور المجتمع الصناعي . وهكذا ـ كما يقول المؤلف ـ اخذ يتبلور مفهوم مشترك حول التحديث اتفقت حوله الاراء، على انه نمط معين من التغيير الحاصل ضمن مجتمع محدد ، وهو في جوهره عملية تصاعد قدرة الانسان على التحكم بمحيطه المادي . ويدخل ضمن هذه القدرة على التحكم بالمحيط تغير قيم الانسان والعلاقات الاجتماعية والتطور الحضاري عموما ، ضمن اعتقاد متصاعد بالعقلانية والتفكير العلمي . ومن هنا ، يعتقد الباحث ان معرفة مستوى التحديث هي أيضا معرفة التغيرات والتطورات في كل الحالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية عموما . كما انها معرفة بالتصور العام من جهة ، وتصور الطليعة نفسها المنبثقة عن عملية التغيير من جهة أخرى . ويشمل هذا التصور رؤية المستقبل القريب والبعيد ، والعلاقة الجدلية بينهما . ثم ينتقل المؤلف خطوة أخرى باتجاه تحديد مفاهيمه النظرية ، بالتأكيد على اهمية دور التعليم في عملية التغير في الدول النامية التي تشهد مرحلة من التطور : اذ ، يكتسب الانسان من خلال عملية التعليم ، كفاءة جديدة يحتاجها التطور الاقتصادي ويزداد قدرة على الاتصال بعالم أرحب ، ويساعد في تعميق الادراك الذاتي الحضاري ، ويزيد من الرغبة في المشاركة في تطوير الحضارة الوطنية او القومية . ويرى بدران ، في مستوى توجيه الفئة الحاكمة للعملية التربوية ، عمقا في الوضوح لديها ، وصدقا في ارادة التطوير الاجتماعي ـ الاقتصادي الشامل. وهو يرى في تحليل وضع الخريجين اداة تمكننا من معرفة التسارع المستقبلي لنمط التطور الاجتماعي والسياسي في منطقتنا .

بعد ذلك يدرج المؤلف تحت عنوان « التعليم » ، عملية توصيل المعرفة والاطر المؤسسية التي تتولاها قاعديا واداريا ، كجزء من تعبير « التربية » التي تهتم ببناء شخصية الفرد . فالاهداف التربوية تحدد اشكال التعليم واطره وشروط عملية التربية . ومن هذا المنطلق يرى ان الأهداف التربوية تعكس الارادة السياسية للقوى الحاكمة . وتعبر المطالب التربوية للطليعة التقدمية وللجماهير المنظمة الواعية ، عن حجم الوعي والارادة للتأثير على السياسة التعليمية والمسار التعليمي بعامة .

ثم يحدد الباحث دوافعه الى اختيار موضوع بحثه واستمرار اهتمامه به بعدد من الأسباب ، اظن ان ابرزها هو تخبط منظمة التحرير الفلسطينية ومختلف التنظيمات الفلسطينية في توضيح استراتيجية تربوية ، وضآلة الخبرات الطليعية التي تساعد على بلورة استراتيجية وممارسة متقدمتين ، تلتصق بالاستراتيجية والممارسة الثورية العامة ، الى جانب الاهتمام باستكشاف اثر التربية المتوفرة في ظل الاحتلال ، وفي دول الشتات على مجمل قيم الفرد الفلسطيني ومسلكه ، بهدف مجابهة نتائج هذه السياسات والممارسات التربوية ، وتحديد العوامل السياسية والاجتماعية المساعدة او المعيقة .

فهدف الكتاب اذن ، هدف عملي تطبيقي يسعى لتحويل المعرفة العلمية الى أداة تعين على رسم الخطط ومتابعة المسيرة إنطلاقا من خلفية واعية وتصور ناجح ومدروس قادر على الاسهام في دفع وتلبية حاجات الجانب الاخر من هذا الواقع الفلسطيني ، واعداد الشعب الفلسطيني وتعبئته للاستمرار في معركته التحريرية الطويلة .

وبدون ان يحدد لنا الباحث مفهومه « للمجتمع الفلسطيني في الشتات » ، او يوضح ما اذا كان هناك اصلا مجتمع فلسطيني واحد في الشتات ـ وهذا ما سنناقشه فيما بعد ـ ، يسارع الى تقديم عدد كبير من الفروض التي يحاول اخضاعها للبحث وللتحليل ، لادراك مدى صحتها العلمية .

مناقشة المفاهيم

أرى قبل البدء بمناقشة مفاهيم تحديث التعليم والمجتمع التي استخدمها المؤلف ، أن لا بد من التنويه بأنني لن ادخل في مناقشة الاتساق الداخلي لهذه المفاهيم ، ولا في ارتباكاتها الواضحة في التطبيق ، ولكنني سأناقشها من زاوية تعكس تباينا أساسيا مع المؤلف من حيث بؤرة الاهتمام و النظرة الفلسفية وارتباطها الوثيق بالمفاهيم الخاصة بالنمو الاجتماعي وبفكرة التقدم . فلا بد بادىء ذي بدء ، من التمييز الدقيق بين فكرتي « التحديث » و« التقدم » في تطبيقاتهما على التغيرات الاجتماعية ، لاننا لا نظن بتوافق العمليتين في حدوثهما ، فهناك تحديث غير تقدمي ، ويمكن له أن يؤدي الى نتائج غير مرغوبة في مجالات كثيرة ومنها التعليم على سبيل المثال .

قد يبدو للبعض ، أن فكرة « التحديث » فكرة علمية لا لبس فيها ولا غموض ، بعد ان شاع استعمالها في الحياة العادية اليومية من قبل كل

الناس في وصف عمليات التغير الاجتماعي التي تزخر بتحديات ايديولوجية مثيرة . ومع ذلك ، من الضروري التأكيد على أن الافكار المطروحة حول مفهوم « التحديث » ترتبط ارتباطا وثيقا بالاتجاهات الايديولوجية المحافظة التي يمثلها ، على صعيد علم الاجتماع ، اتباع المدرسة المثالية (الوظيفية ـ التكاملية) ، الداعية الى مبدأ الحفاظ على توازن المجمع وتكامل انساقه ووظائفها الاجتماعية المختلفة ، من خلال العمل على تطوير وظائف هذه الانساق وتحديثها لامتصاص توترات النسق واستيعابها وإعادة توازنه والحفاظ عليه . فأفرزت هذه الاتجاهات الأيديولوجية المحافظة اكداسا من النظريات الاستهلاكية الموضة التي تشدنا الى صراعات ثانوية في المجتمع ، بعيدا عن الصراعات الاساسية فيه ، كمحاولة تستهدف اخفاء او تشويه أو إبعاد أو اختزال الايديولوجيا الثورية المرتكزة على الاتجاهات المادية في التحليل ، والتي تسمح بادخال مفاهيم مثل التنمية والتقدم لفهم التغيرات الاجتماعية والتباين الاجتماعي من خلال توجيه الانظار الى دور العوامل المادية والفكرية في التغير الاجتماعي . فلا شك بأن قضية التغير ، وادراك عوامله ، وتتبع مساراته وانماطه ومعدلاته ، وتحليل نتائجه ، قد اختلطت ، كباقي القضايا الاجتماعية ، بالايديولوجيات المتصارعة ، وان مضمون الاجابة على هذه الاسئلة الذي يشكل إطار المفهومات التي توجه الباحثين في التغير على مستوى المجتمع ككل او على مستوى نسق او نظام معين فيه ، يشكل انحيازا ايديولوجيا مسبقا للباحث . وما دام مفهوم « التحديث » تشوبه شبهة ايديولوجية ، فكنا نفضل لو ان الباحث اعتمد المنهج المادي في التحليل ، بدلا من المنهج المثالي الذي تقتله حقيقة واقعية واحدة . فنحن لا نرى في عملية التغير عملية تحديثية لوظائف الانساق وبناءاتها ، وانما نفهم انها عملية ثورية تتضمن تغييرا شاملا للنظم الاجتماعية والسياسية والقانونية ، وكذلك للبناء الاقتصادي ، ولانماط الحياة ، وللقيم الحضارية ، ولصور الوعي المختلفة ، وان هذا التغير يتضمن صراعا ضاريا بين القوى الاجتماعية المؤيدة للتغير والقوى الاجتماعية المعارضة له . وهذا بحد ذاته يفرض علينا ، عند الحديث عن التغير ، الاهتمام بابراز دور العوامل الاقتصادية لفهم عمليات التغير وديناميكياتها .

لعل اول مهمة يتعين على الباحث مواجهتها ـ ولم يواجهها إطلاقا ـ عند الحديث عن الفلسطينيين بعامة ، هو إقامة تصنيف منظم وأساسي لبناءاتهم الاجتماعية في المتحدات الاجتماعية التي اقاموا فيها بعد الاقتلاع والنفي والتشريد . فهذا التصنيف الواضح والمحدد يزود الباحث باطار ملائم لاجراء بحوث مقارنة وتراكمية ضرورية لكشف التغيرات الحادثة فيه .

من اليسير علينا إثبات ان واقع الفلسطينيين خارج فلسطين لا يشكل مجتمعا واحدا يمكن الحديث عنه كوحدة واحدة محددة واضحة المعالم . فالمجتمع الانساني يتطلب توافر اجراءات معينة او عمليات محددة ، اي ان هناك « متطلبات وظيفية » للمجتمع . وأهم هذه المتطلبات . ١ ـ نسق اتصال ، ٢ ـ نسق اقتصادي يختص بامور الانتاج وتوزيع السلع ، ٣ ـ اجهزة تتولى تنشئة الاجيال الجديدة ، ٤ ـ نسق سلطة وتوزيع محدد للقوة ، ٥ ـ وربما ايضا نسق طقوس يصون التماسك الاجتماعي ويدعمه ، ويمنح الاحداث الشخصية الهامة اقرارا وتقديرا اجتماعيين . فهناك اذن اكثر من بعد او محك لتفرد المجتمع واستقراره ، منها البعد السياسي والاقتصادي والمكاني والبعد الزماني . وهنا قد لا نجد بايدينا محكا واحدا يسهل تطبيقه تطبيقا واقعيا على الفلسطينيين في الشتات . فلفظ « المجتمع الفلسطيني » فضفاض يقصر عن استيعاب مختلف انماط التجمعات او الجماعات الفلسطينية في مستقراتها الجديدة ، حيث لا يمكن اغفال مدى تأثيرها وتأثرها بخصائص هذه المستقرات الجديدة .

وهكذا نميل الى تصنيفهم الى جماعات موزعة في ثنايا مجتمعات اشد تعقيدا . فهذا التصنيف يساعدنا كثيرا على أن نطرح تساؤلات محددة عن البناء الاجتماعي في هذه المتحدات الاجتماعية ، وان نجيب بعد ذلك . فما الذي يحدث للافراد الذين ينتقلون من مخيم الى آخر ، ومن المخيم الى المدينة او العكس ؟ كيف تتأثر حياتهم الاجتماعية ؟ وعلى اي نحو تتغير قيمهم ومعتقداتهم ؟ وما الذي يكتسبونه من هذه المستقرات الجديدة ؟ وما هي عناصر الحياة والثقافة التي يقدمونها لهذه المستقرات ؟ وكيف يدخل التغير الى هذه الجماعات وكيف تستوعبه الخ ؟ كلها اسئلة تمكننا الاجابة عليها من توضيح وتمييز العلاقات الدائرة بين هذه الجماعات وغيرها ، وبين بعضها البعض .

أما بالنسبة للمفهوم الثالث من المفاهيم الاساسية التي تقوم عليها هذه الدراسة ، فهو مفهوم « التعليم » ، الذي يرى فيه المؤلف السبب المحوري في عملية « التحديث » ، والعامل الديناميكي الاساسي في تطور المجتمع العربي الفلسطيني . وبالتالي فان المؤلف يلتزم ـ إنطلاقا من هذا المفهوم ـ بالبحث لمعرفة مدى تأثير التعليم على التطور الاجتماعي والسياسي ، وتحليل نتائجه لاستخلاص الرؤية المطلوبة ، وتحديد تفاصيل الاعباء والمهمات لتدارك اي تطور يعوق الحركة الثورية للجماهير الفلسطينية . فالمؤلف ـ من خلال هذه النظرة ـ يرى في التعليم معيارا وحيدا للحكم على مدى ما تحققه الشعوب من تقدم ، وهو عنده ـ على ما يبدو ـ مقياس للتخلف او التقدم ، ومعيار

الحضرية او الريفية . كما انه يعتقد ، كذلك ان باستطاعة العلم إيجاد حلول لكل المشاكل مهما يكن نوعها. فالمؤلف ، انطلاقا من هذا التداعي هو في النهاية من اتباع الحتمية التكنولوجية التي تقف بالمرصاد لاتباع الحتمية الايديولوجية .

وتدلنا البيانات المأخوذة من واقع الفلسطينيين ، وازدياد تعقد بناءاتهم الاجتماعية القائمة في الشتات ، وعنف التغيرات التي طرأت ولا تزال تطرأ عليها ، بأن هناك شكا في كفاية هذا الفهم لدور العملية التربوية لتفسير وفهم الصراعات العديدة بين البناءات الاجتماعية التقليدية والبناءات الحديثة ، وكيفية ضبط هذه الصراعات حتى يمكن تحقيق أسرع معدل في التقدم . فصراعات القيم متضمنة اساسا في اصول المشاكل الاجتماعية. لان العملية التربوية تقوم بوظيفة هامة وحيوية من اجل بقاء المجتمع واستمراره ، وذلك نتيجة المحافظة على بعض المعتقدات والمهارات التي لا تورث بل تكتسب عن طريق التعليم الذي يعاون في تشكيل شخصيات الافراد بحيث تتلاءم مع الثقافة السائدة . وما دام التعليم اداة سياسية تسهم في عملية التكامل الاجتماعي ، وفقا لنسق القيم العام في المجتمع ، وتبعا للبناء المتغير للادوار التخصصية بصورة تتلاءم مع مستوى النمو الاقتصادي للمجتمع ، فمن الضروري ان نضع في اعتبارنا ، عند دراسة تعليم الفلسطينيين ، اختلاف المجتمعات التي يقيمون فيها تبعا لظروفها التاريخية وبناءاتها الخاصة ، وان نضع في الاعتبار أيضا ان الانسان الفلسطيني المقتلع ، الذي فقد مؤسساته الاجتماعية قد تغير هو الاخر نتيجة ذلك . انه يعبر عن تفكيره ، في هذه الحال عن طريق عادات جديدة وقوى جديدة ، واتجاهات وقيم جديدة ، وآراء جديدة في الحياة وامنيات ومخاوف جديدة كذلك . من هنا ننظر الى الحتمية الايديولوجية والى الحتمية التكنولوجية باعتبارهما عاملين متفاعلين متساندين في تشكيل النظرة المادية للعالم وفي عملية التقدم الاجتماعي .

النكبة واثرها المباشر

في الفصل الاول عن تعليم الفلسطينيين ، يناقش المؤلف النكبة وأثرها المباشر على المجتمع العربي الفلسطيني ، فيوضح ان التطورات الاقتصادية والتعليمية التي شهدتها فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، كانت قد شجعت على ظهور مفاهيم وقيم جديدة في المجتمع الفلسطيني ، الا انها لم تستطع تحقيق تغير هيكلي واجتماعي جذريين .

ويبين المؤلف إن حوالى ٧٥٠ الفا من الفلسطينيين قد اضطروا للهجرة الى المناطق العربية المجاورة ، حيث استقر الريفيون في المخيمات والقرى العربية . اما اهل المدن منهم ، فقد استقروا في المدن العربية او في جوارها ، فاستفادت هذه المناطق ، ريفا ومدنا ، من وجودهم ، فشرعت في تشغيلهم ، الا انها لم تستوعب كل اعدادهم ، فارتفعت بين صفوفهم البطالة خصوصا بين الريفيين منهم ، بينما استفادت البرجوازية الفلسطينية من علاقاتها التقليدية والجديدة من امكاناتها العلمية السابقة ، لتحسن من وضعها الاقتصادي ، ولمتابعة الدراسة الثانوية والجامعية . وقد شجعتهم رغبتهم في تحسين وضعهم المعيشي على الهجرة الخارجية باتجاه دول النفط ، بحثا عن العمل الملائم مهنيا . ولقد أسهم هذا الانتقال في سرعة تفكك الروابط العائلية للاسر المدنية ، وحررها من الرقابة الاجتماعية المقيدة لحركتها كمجموعة وكأفراد ، وبات تحقيق نجاح اقتصادي فردي كفيلا بتحقيق الامن الاجتماعي لهذه الفئة من الفلسطينيين ، بينما بقي الريفيون يرون ان الشعور بالأمن لا يمكن الحصول عليه الا ضمن التماسك العائلي والقروي .

ويرى المؤلف ان التعليم قبل النكبة كان عاملا محوريا في تطوير الوضع المادي والاجتماعي للافراد والأسر والمجتمع المحلي . وجاءت النكبة لتزيد من هذه القناعة ، ولتطرح التعليم شعارا لتجديد القوى الذاتية من اجل التحرير والعودة، وضمانا للمستقبل في ظل الاوضاع المعيشية المستجدة. فبرزت الى جانب منظمات الاغاثة الدولية او العربية عدة مبادرات فردية من قبل مدرسين سابقين للمساهمة في تعليم ابناء اللاجئين غير القادرين على ارسال ابنائهم الى المدارس الخاصة او الى المدارس الحكومية والمجانية ، فارتفعت نسبة الطلبة الفلسطينيين في كل مراحل التعليم ، واتسعت حركة نقد ورفض المجتمع التقليدي والسياسيين التقليديين ، والعمل على التحرر منهم وبناء مجتمع جديد .

ويرى المؤلف ان حركة التجديد هذه قد تمحورت حول العلم كأساس دينامي وكمنهج أساسي لتنظيم الدولة والمجتمع وتنمية القدرات الذاتية ، وان كل ذلك يتطلب تحقيق انقلاب شامل في نظام التفكير والعمل .

ثم يؤكد السيد بدران ان التفكير كان موحدا تقريبا لدى الشباب الفلسطيني والعربي عامة (العلم وحد بينهم) في تحليل اسباب ونتائج النكبة ، فنشأت الاحزاب القومية المؤمنة بالعمل الثوري لازاحة الانظمة التي فقدت شرعيتها مع الهزيمة لتحقيق التغير المطلوب . فتداخل النضال السياسي الفلسطيني بعد النكبة مع النضال السياسي العربي العام كمحصلة لاستمرار النضال الفلسطيني ـ العربي ، وللانتشار الجغرافي الفلسطيني .

التعليم كرأسمال اساسي

ثم ينتقل المؤلف في الفصل الثاني ، الى الحديث عن التعليم كرأسمال أساسي في حياة الفلسطينيين ، فيوضح ان ضيق فرص العمل وشروط التعيين وسلم الرواتب في الدول المضيفة للفلسطينيين ، هي من ابرز الدوافع التي حثت الفلسطينيين على التعلق

بالتعليم كمجال لتخطي البطالة المنتشرة هناك . الا ان هذا التعلق بالتعليم لم يستمد دوافعه فقط من الاسباب المحلية ، بل ان نمو مجالات العمل للمتعلمين في دول النفط ضاعف ايضا من هذا التعلق ، بحيث اصبح التعليم املا وهاجسا يستنفران الامكانيات المعنوية والمادية للفرد وللأسرة وللعائلة بأكملها لتعليم القادرين ذكورا وإناثا كاستثمار اقتصادي مأمون ومضمون الريع . وفي اواخر الستينات ، ومع انتشار التعليم في الدول النفطية المختلفة نفسها ، ارتفع الطلب على المتعلمين المؤهلين تربويا وجامعيا ، فجاء هذا الطلب النوعي حافزا للكثيرين من الفلسطينيين الذين كونوا مدخرات للتفرغ للدراسة الجامعية والحصول على مؤهلات عليا تضمن لهم مناصب احسن ودخلا أعلى من السابق .

ويخلص المؤلف الى القول بأن التعليم قد احتل مركزا محوريا في تفكير الفرد الفلسطيني ومسلكه واصبح يرى فيه المجال الانسب للاسراع في تطوير الوضع المعيشي وتلبية الاحتياجات الجديدة ، كما رأت فيه الجماهير المعدمة هدفا اساسيا يتطلب التضحية وتضامن الجهود داخل الاسرة والعائلة . وأوجد هذا الاندفاع وراء التعليم وضعا متعدد الجوانب

١ ــ تفاوتا علميا واضحا بين الأجيال

٢ ــ بطالة جديدة تشمل الشباب المتسرب قبل الانتهاء من الدراسة الثانوية ، والعازف عن العمل اليدوي

٣ ــ تضخما متزايدا في عدد حملة شهادة الثانوية العامة ، تطلعا للعمل الثابت ، والتأهيل العالي ، كطريق للنجاح الاقتصادي والاجتماعي .

٤ ــ تضخما آخر على مستوى التعليم العالي او الجامعي لتقلص فرص العمل لحملة الشهادة الثانوية ، واللجوء الى هذا التعليم كمنفذ اخير لضمان العمل والنجاح ، مما دفع افواج حملة الليسانس لمتابعة الدراسة الجامعية العليا .

٥ ــ تطور تعليم الاناث للحاجة الى دخلهن وتوفر مجالات عمل لهن في القطاع التربوي .

الاحتلال وانتشار الثورة المسلحة

ينتقل المؤلف ، في الفصل الثالث والاخير ، الى بحث الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعب العربي الفلسطيني قبل التحولات السياسية العميقة . فيلقي مزيدا من الضوء على هذه الاوضاع قبل حرب سنة ١٩٦٧ ، تلك الفترة التي تميزت بانبعاث الشخصية الفلسطينية على الساحة العربية متجاوزة الشتات والحصار السياسي . فحاول المؤلف في هذا الفصل ، التعرف على الاوضاع الانتاجية والمعيشية للتجمعات الفلسطينية التقليدية والجديدة ، والاقتراب من فهم أثر ارتفاع المستوى التعليمي للاجيال الصاعدة ، والاعتماد الاساسي عليهم لتحسين وضع الاسرة ، وعلى العلاقات ، داخل الاسرة نفسها بشكل خاص ، وعلى المجتمع المحلي بشكل عام فيوضح المؤلف من اجل هذا الغرض ان هناك تقاربا ثقافيا بين الاجيال الفلسطينية لم يمنع نشوء تفاوت في الوعي السياسي ــ الاجتماعي بينها نتيجة لتسييس الجيل الجديد خلال الانتظام التعليمي الطويل . الا ان هذا التسييس المكثف للجيل الجديد لم ينعكس بصورة وعي اجتماعي تقدمي ، وذلك بسبب تخلف الوضع التربوي ، وتغلب فكر البرجوازية الصغيرة ومسلكها على الأحزاب السياسية العربية . وجاءت الظروف المعيشية والعملية لتخفف ــ كما يقول المؤلف ــ من راديكالية الوعي السياسي لمعظم افراد الجيل الجديد ، ولتخلق تقاربا في مسلك الاجيال .

ويستطرد المؤلف في تلمس الاثار الاجتماعية للتعليم فيقول ان ادراك الفلسطينيين لاهمية التعليم عامة عزز دور الفتاة ومكانتها داخل وخارج اطار الاسرة . الا ان هجرة المتعلمين ذكورا وإناثا للعمل في دول النفط ، اثرت سلبا في التطور الاجتماعي ، فبقي نفوذ القوى التقليدية اضافة الى قيمها العشائرية ، مسيطرا ، وتعززت مكانة الوجاهة التقليدية ، التي استطاعت استيعاب قسم كبير من ايجابيات التطور التعليمي الذي عم المخيم الفلسطيني .

وفي ختام بحثه يلخص المؤلف أهم الافكار والاراء التي وصل اليها خلال تحليله الطويل . وهو يشير الى مساهمة التعليم كممارسة ، وكاطار تنظيمي ، في تعميق الانتماء الوطني القومي ، وابراز شخصية مستقلة للاجيال الصاعدة ، تدعم ارادة العودة والنضال . لكن الالتزام الاجتماعي تجاه الاسرة ، وهيمنة الطموحات الاستهلاكية المتزايدة ، نتيجة لنمط الثقافة السائدة ، والعقلية التفاخرية ، خلقت للفرد المتعلم معضلة تحديد المسلك السياسي ــ الاجتماعي المتجانس . فالمتعلم يتوق الى العمل السياسي المباشر ، بينما يبتعد عنه دخلا واستهلاكا ، ولم يثنه اي حل جذري عن البقاء في دوامة التناقض . وقد عجزت الحركات السياسية الفلسطينية عن الاحاطة بكامل ظروف الشعب العربي الفلسطيني ، فتخلفت عن وضع استراتيجية نضالية متكاملة ، وإيجاد أطر تعبوية ، قادرة على تحقيق توازن في مسلك الفرد وطنيا واجتماعيا .

وجاء الانتشار التعليمي واستمرار الانتساب المدرسي والعالي ، وليد الطموحات الاقتصادية ، فحرك حماس الاسرة والجيل الجديد ، لكن عملية التعليم لم تستطع الارتقاء الى مستوى نهج تفكيري عقلاني ، يؤثر على الحياة الاجتماعية والسياسية ، لارتقاء الفرد والاسرة والجماعات باسلوب التعليم القائم .

وبعد ، فهذا الكتاب يمثل جهدا كبيرا للمؤلف في تقديم عمل علمي يستطيع ان يسهم في فهم جانب من جوانب الواقع الفلسطيني المتشابك والمعقد .

وغني عن القول ان الكتاب دسم مليء بالمعلومات المترابطة التي تم تحليلها بمنهج واضح محدد وبتتابع منطقي وتتبع دؤوب .

وبرغم القيمة العلمية لهذا الكتاب ، فان هناك بعض الانتقادات الشكلية والموضوعية . فأول ما يؤخذ على المؤلف هو ما اوضحناه حول مفاهيم الباحث وقصورها عن اداء مهامها في التحليل .

ومن الملاحظات الاخرى .

□ ١ ــ لم يبد المؤلف ، على الاطلاق اهتماما بهوامش الكتاب ، سواء في كتابة اسم المؤلف واسم المراجع ورقم الصفحات المشار اليها بشكل دقيق . ففي الصفحة ٣٥ من الكتاب يشار الى الصفحة رقم ٢٩ من المرجع والصحيح هو الصفحة رقم ٢٨ .

□ ٢ ــ هناك صياغات مرتبكة وغير واضحة في بعض فقرات الكتاب ، وعدم دقة في اختيار اللفظ المناسب للتعبير عن المعنى المقصود . (انظر صياغة الفرضية الاولى في الصفحة رقم ١٥ مثلا)

□ ٣ ــ كثرة الاخطاء المطبعية وعدم الاهتمام بكتابة عناوين واضحة للجداول توضع خارج اطار كل جدول كما جرت العادة ، وعدم دقة بعض ارقام هذه الجداول (الجدول رقم ٥ مثلا)

□ ٤ ــ التناقض بين فقرة واخرى في الكتاب كان واضحا (فعلى سبيل المثال محتوى الفقرة الرابعة من الصفحة ٢٦ يتناقض مع محتوى الفقرة الثّانية من الصفحة ٢٧) .

□ ٥ ــ يشير الاقتباس الثامن الموجود في صفحة ٣٢ الى مراجعة الحاشية رقم ٣ أعلاه والموجودة في الصفحة الرابعة من الكتاب ، علما بأن هذا الكتاب لا توجد به صفحة ٤ وإنما يبدأ من صفحة رقم ٩ .

□ ٦ ــ اغفل الباحث دور مؤامرات التوطين غير المباشر على عملية تعليم الفلسطينيين ، إن من حيث الكم او من حيث المحتوى . فبعد فشل عمليات التوطين المباشرة في ابعاد الفلسطينيين عن دول الطوق ، حاولت الدوائر الاستعمارية ، من خلال تشجيع التعليم المهني وتوفير وظائف للفلسطينيين في دول النفط ، جذب الشباب للعمل هناك بعيدا عن حدود فلسطين والاستقرار بعد الزواج مع اسرته في تلك البلاد .

□ ٧ ــ اسم مجلة حركة القوميين العرب كان « الثائر » وليس « ثائر » كما يقول المؤلف في الصفحة ٥٧ .

□ ٨ ــ يصف المؤلف في الصفحة ٦٨ الفقرة الثانية ، تصرف اللاجئين مع وكالة الغوث باللاعقلانية ، لانهم يقبلون مساعداتها ويرفضون سياساتها . ونحن لا نرى ان هناك تناقضا بين قبول الاغاثة في فترات الضنك الشديد ورفض مؤامرات التوطين التي كانت وكالة الغوث متورطة بها .

□ ٩ ــ هناك خطأ منهجي واضح يتكرر في اكثر من صفحة ، وهو طول الاقتباسات المأخوذة من مصادرها الاصلية ، فهي تصل في بعض الاحيان الى ١٥ سطرا ، وهو لا يجوز لانه يضيع شخصية الباحث خلف شخصية صاحب النص المقتبس .

□ ١٠ ــ في الصفحة ٩٧ خطأ فادح لا اعرف مصدر الباحث في قوله في الفقرة الثانية . بأن هناك علاقة بين وزارة المعارف والثقافة في فلسطين ووزارة التربية في الكويت تعود الى العام ١٩٣٧ ، حيث واظبت وزارة المعارف في فلسطين على ارسال البعثات بعد الحرب العالمية الثانية وبعد النكبة الى الكويت . طبعا اي طالب في المرحلة المتوسطة يعلم ان فلسطين والكويت ايام الانتداب لم يكن فيهما وزارات اطلاقا ، اما القول بوجود وزارة المعارف في **فلسطين** فأمر غريب ان يرد على قلم مثقف فلسطيني شديد الاطلاع كالاستاذ بدران .

□ ١١ ــ يصنف الباحث في الصفحة ١٢١ الجامعات الى درجات اولى وثانية ، ويعتبر الجامعة الاميركية في بيروت من جامعات الدرجة الاولى . واغفل بدران الاشارة عمدا الى جامعات الدرجة الثانية ، وأخشى ان يكون مقصده جامعة بيروت العربية ، وحينذاك سنعزو هذا الخطأ الى تورطه اللاواعي وقبوله لمقولات ذات شبهة سياسية معادية لكل ما هو وطني في المنطقة .

□ ١٢ ــ يشير المؤلف في الصفحة ١٢٣ الى المعهد التابع للاونروا ، بكونه تجربة عالمية فريدة بدون ان يذكر لنا معاييره التي استخدمها في هذا الحكم الذي نراه متسرعا ومتعسفا .

□ ١٣ ــ اما في الصفحة ١٤٧ الفقرة الثالثة ، فيشير المؤلف الى اسرائيل على انها استعمار صهيوني لفلسطين . والواقع انه لا بد من الاشارة الى ان الوجود الصهيوني في فلسطين ليس وجودا استعماريا تقليديا ، ويجب التحفظ دائما عند اطلاق صفة الاستعمار على هذا الكيان .

ومما يمكن ان يوجه للمؤلف من انتقادات ، هو اغفاله الواضح للمنهج المقارن في عرضه لاوضاع تعليم الفلسطينيين بالمقارنة مع اوضاع التعليم في الدول المضيفة لهم ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فان المؤلف في معالجته لتعليم الفلسطينيين في فلسطين المغتصبة عام ١٩٤٨ كان مختصرا وعجولا ، فلم يعط الامر الاهمية نفسها التي اعطاها لباقي التجمعات الفلسطينية سواء في باقي فلسطين او خارجها .

وفي النهاية نرى أن وقائع المؤلف ونتائجه تؤكد ما ذهبنا اليه في مقدمة هذه المراجعة . فالواقع

الفلسطيني الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الجديد بعد النكبة ، قد خلق قيما اجتماعية جديدة تتفق مع احتياجات الفلسطينيين الجديدة التي ترتب عليها زيادة التأكيد على ربط التعليم بهذه الاحتياجات ، وعلى تحديد شكل ومضمون ودرجة هذا التعليم ، لا العكس كما يحاول ان يشير الكتاب .

واخيرا فان هذه الانتقادات لا تؤثر على هذا العمل الكبير والهام، والمساهمة العلمية التي قدمها المؤلف .

سمير ايوب

المقاومة الفلسطينية

الاحتفال بذكرى الانطلاقة

بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية ، احيت الجماهير الفلسطينية واللبنانية في معظم المناطق ، المهرجانات الحاشدة ، التي شاركت فيها وحدات رمزية من مقاتلي الثورة الفلسطينية ، والحركة الوطنية اللبنانية والجبهة القومية وجيش لبنان العربي ، كما شاركت ايضا وحدات رمزية اخرى عن التنظيمات الشعبية الفلسطينية واللبنانية .

وقد بدأت الاحتفالات ، مع مساء اليوم الاخير من السنة المنصرمة ، وذلك باحتفال المشاعل . واضاء الاخ ياسر عرفات ، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ، ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، المشعل الكبير في تلك الامسية ، وذلك بمناسبة دخول الثورة الفلسطينية عامها السادس عشر . اضاء المشعل وسط هتاف الجماهير اللبنانية والفلسطينية الحاشدة .

المهرجان الاحتفالي الرئيسي حضره، بالاضافة الى بعض الاخوة اعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح وبعض فصائل المقاومة ، العديد من الوفود الرسمية والشعبية والاجنبية ، والتي مثلت القوى والاحزاب الوطنية والتقدمية، وحركات التحرر العربية والعالمية . وكان بين الحضور وفد برلماني تركي ، ووفد حكومي كنغولي ، ووفد يمثل القوى التقدمية في اليابان ، ووفد من كندا عن لجنة مكافحة العنصرية ، ولجنة الدفاع عن حقوق الانسان الفلسطيني ، كما كان هناك وفد من الهنود الحمر الامريكان ، وكذلك وفدان يمثلان لجنتي الصداقة مع الشعب الفلسطيني في كل من السويد والنرويج ، ووفد يمثل الجاليات العربية في امريكا ، وتميز الاحتفال بالحضور الكبير لوفد الثورة الايرانية برئاسة الامام محمد منتظري .

وقد القى الاخ عرفات ، بعد اضاءة الشعلة كلمة قال فيها :

« ليس من قبيل الصدفة ان نحتفل هذا الاحتفال المركزي هنا على ارض لبنان ، ارض العروبة مع الحركة الوطنية اللبنانية والجبهة القومية ، ومع كل القوى اللبنانية والعربية الوطنية التي نصنع نحن واياها هذا المزيج الثوري، هذا الالتحام الثوري الذي يمثل في حد ذاته اعظم امتزاج واعظم التحام في امتنا العربية ، وفي تاريخ امتنا العربية .

نحن نقول باسم هذه البندقية اللبنانية الفلسطينية اننا هنا مرابطون ليس دفاعا عن الشعب الفلسطيني ، ولا دفاعا عن امتنا العربية ، ضد هذا العدو الصهيوني الامبريالي برئاسة الولايات المتحدة، بل لتبقى امتنا العربية ، لتبقى ارضنا عربية ، عربية » (فلسطين الثورة ، ١٩٨٠/١/١) .

وفي صبيحة اليوم الاول من العام الجديد في عمر الثورة ، قامت وحدات رمزية من قوات الثورة الفلسطينية وقوات الحركة الوطنية اللبنانية والجبهة القومية ، وجيش لبنان العربي ، بمسيرة عسكرية

انتهت في الملعب البلدي حيث تم الاحتفال بعيد الثورة . وشارك بحضور الاحتفال بالاضافة الى قادة فصائل المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية ، عدد من السفراء العرب والاجانب المعتمدين في بيروت ، وكذلك الوفود المهنئة ،وحشد كبير من المواطنين الفلسطينيين واللبنانيين .

والقى ياسر عرفات خطابا في الاحتفال تحدث فيه عن المراحل الصعبة في عمر الثورة الفلسطينية ، وما تواجهه من مؤامرات ، والمرحلة الدقيقة التي تمر بها ، ولكنها بالرغم من ذلك عملت على تحرير الانسان الفلسطيني وكذلك حررت الانسان العربي . وليعيد إلى الأذهان ما فعلته مؤامرةسايكس بيكو « التي قسمت هذه المنطقة العربية ومنطقة الشرق الاوسط، وحكمت علينا بان نكون عبيدا للامبريالية وللصهيونية العالمية ، مرة بقيادة فرنسا وتارة بقيادة بريطانيا ، واليوم ، بقيادة رأس الامبريالية ، الولايات المتحدة الامريكية . ولكننا الآن ومن خلال هذه البندقية استطعنا ان نعيد شعبنا الى الخريطة السياسية للمنطقة العربية ، لمنطقة الشرق الاوسط ، وللخريطة السياسية للعالم اجمع » .

كما تحدث عن التلاحم اللبناني الفلسطيني حيث « ان هذه البندقية التي تعانقت مع البندقية اللبنانية لتصنع هذا التلاحم وهذه الاسطورة ، وهذا المزيج الثوري ، قد صنعت اعظم تلاحم ثوري في هذه المنطقة . ففي تلك اللحظة التي فقدت فيها الثورة الفلسطينية مكانا فتحت هذه الجماهير اللبنانية قلوبها لتقول هذه القلوب هي مكان لهذه البندقية الفلسطينية ، هي مكان للثائر الفلسطيني » .

كما ذكر كيف جاءت الثورة الايرانية لتكمل الملحمة ، والتلاحم الاستراتيجي بين الثورتين الايرانية والفلسطينية ودورهما في ضرب المصالح الامريكية ، والوقوف ضدها وضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية . مؤكدا ان الدرب شاق وصعب وطويل امام الثورة ، ومذكرا بقوة الحلف الامبريالي الصهيوني ، وهدفه الدائم لضرب الثورة الفلسطينية وحركات التحرر في كل مكان ، ليقول ان وحدة السلاح بين المقاتلين على ارض المعركة هو وحده القادر على التصدي وصنع المعجزات .

كما حمل على الذين يحاولون النيل من الثورة الفلسطينية ، ومحاولة التصدي لها معلنا بانه « ليس وطنيا ولا قوميا ولا ديمقراطيا ولا تقدميا من يحاول ان ينال من منظمة التحرير الفلسطينية او ينال من الثورة الفلسطينية التي اصبحت الرقم الصعب والاساسي في معادلة الشرق الاوسط ، وفرضت وجودها ليس من خلال خطة وليس من خلال قرار ، وليس من خلال اجتماع ، ولكن من خلال شلال الدم الذي لم يتوقف لحظة واحدة طوال خمسة عشر عاما ، وليس هذا فقط ، ولكن من خلال رصيد ستين عاما من النضال ، منذ وعد بلفور » اما صمود الجماهير الفلسطينية في داخل الارض المحتلة ضد قوات الاحتلال فقد وصفه بانه « الصمود الاسطوري الذي لم يصمد حتى الان احد مثله » « هذا الشعب داخل الارض المحتلة الذي يصنع كل يوم معجزة وملحمة وفي كل يوم يلقن العدو الصهيوني درسا من خلال صمود اطفالنا ونسائنا من كوادرنا ورجالنا ، ليس فقط بصمودهم ولكن بهذه العمليات العسكرية المتزايدة داخل ارضنا » .

وانهى كلمته مشيرا الى « ان الدرب صعب وطويل » ، وان « هذه الثورة عندما انطلقت ، نتذكر قول شهيد امتنا العربية الزعيم البطل الشهيد عبد الناصر ، ان هذه الثورة هي انبل ظاهرة في امتنا العربية وهي وجدت لتبقى ، واليوم نقول . ان هذه الثورة وجدت لتبقى ووجدت لتنتصر وستنتصر » (الخطاب كاملا في فلسطين الثورة ، ١٩٨٠/١/٢) .

وفي الاحتفال تحدث ايضا الدكتور جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، فحيا بطولات وتضحيات الشعب الفلسطيني ومقاتليه داخل الارض المحتلة وخارجها ، بحيث اصبحت الثورة رغم كافة المؤامرات العقبة الرئيسية في وجه مخططات كامب ديفيد ، وقدرت الثورة من خلال نضالها وتلاحم هذا النضال مع القوى الوطنية والتقدمية بان تحظى بالتأييد الاممي المتصاعد . كما دعا إلى مزيد من الوحدة الفلسطينية ، ومزيد من التصدي ، وشدد على اهمية دعم الثورة الايرانية لنضال الشعب الفلسطيني ، ودعا الى تطوير التلاحم معها .

كما القى الاخ انعام رعد كلمة باسم الحركة الوطنية اللبنانية ، اشاد فيها بصمود الشعب الفلسطيني ، وبالانتصارات التي حققتها الثورة الفلسطينية في جميع المجالات ، وشدد على وحدة مصير النضال اللبناني ـ الفلسطيني ، مؤكدا على ضرورة التمسك بالبندقية اللبنانية الفلسطينية

للاستمرار في مواجهة كافة المؤامرات ومحاولات خنق الثورة الفلسطينية حتى تحرير كامل التراب .

كذلك تحدث الاخ كمال شاتيلا باسم الجبهة القومية والوطنية اللبنانية مؤكدا على اهمية التلاحم المصيري بين الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية لاسقاط مؤامرة كامب ديفيد ، وكذلك شدد على استمرار التلاحم اللبناني – الفلسطيني .

وقد شهدت المناطق الوطنية اللبنانية احتفالات مماثلة اقيمت بهذه المناسبة ، كما اقيمت الاحتفالات في كافة مناطق تجمع الفلسطينيين .

الحملة الليبية على الثورة الفلسطينية والوساطة العربية

استمرت حملة التصعيد الليبية ضد الثورة الفلسطينية ، رغم الوساطات العربية التي نشطت منذ البداية ، وكذلك رغم البيان الذي اذاعته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية طالبة من ليبيا ان توقف حملتها ضد المنظمة ، وكذلك رغم قرارات المجلس المركزي الفلسطيني (١٢/١٥) التي جاءت مؤيدة لبيان اللجنة التنفيذية ، في دعوته لوقف الحملات .

من جهة اخرى ، استمرت الاتصالات لتطويق تدهور العلاقات حيث قام الرئيس عبد الفتاح اسماعيل ، رئيس اليمن الديمقراطي ، بالدور الاكثر نشاطا في هذا الاتجاه ، فاجرى الاتصالات بشكل منتظم بين الطرفين ، كما ذكرت الانباء عن تحرك قام به رئيس اليمن الشمالي علي عبد الله صالح (السفير ١٢/٢٠). وفي الاطار ذاته، وفي الكويت، استقبل وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح الاحمد سفير بلاده لدى ليبيا ، الذي ذكر انه عاد من هناك الى الكويت ، حيث كان قد اجرى بعض المشاورات التي لم يكشف النقاب عنها ، وفي الوقت نفسه استقبل الشيخ صباح الاحمد مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت ، الذي ذكر بانه نقل اليه رسالة شفوية من ياسر عرفات ، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . كما فهم ان الزيارة التي قام بها وزير الخارجية السعودية الامير سعود الفيصل في (١٢/٢٣) كانت احدى المحاولات العربية لاعادة العلاقات الليبية الفلسطينية الى سابق عهدها (السفير ١٢/٢٠) .

اما سوريا ، فقد تجسد دورها في الزيارة التي قام بها وزير الخارجية عبد الحليم خدام الى بنغازي ، حيث استقبله الرئيس الليبي العقيد معمر القذافي ، وتسلم منه رسالة من الرئيس السوري حافظ الاسد تناولت العلاقات الليبية الفلسطينية التي تدهورت اخيرا ، وكان هذا الموضوع قيد البحث في اللقاء الذي عقد بين الرئيس الاسد ورئيس اللجنة التنفيذية ياسر عرفات ، وكل من محمد زهدي النشاشيبي وعبد المحسن ابو ميزر وطلال ناجي اعضاء اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف ، وخليل الوزير وصلاح خلف ومحمد غنيم ومحمود عباس اعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح بحضور عبد الحليم خدام . وقد ادلى عبد المحسن ابو ميزر الناطق الرسمي باسم اللجنة التنفيذية بعد هذا الاجتماع بتصريح اعلن فيه استجابة اللجنة التنفيذية للمنظمة للجهود التي يقوم بها الرئيس الاسد لانهاء الخلاف الطارىء بين م.ت.ف وليبيا من اجل تمتين الجهود القومية ، وابلاغه الموافقة على خطواته التي يقوم بها لاعادة العلاقات الى ما كانت عليه قبل الازمة (تشرين « دمشق » ، ١٢/٢٢) .

ومع تزايد اخبار الوساطات ، نسب الى مصدر ليبي رسمي قوله ان الخلاف في طريقه الى الحل ، بينما نفى مصدر ليبي رسمي اخر وجود أية وساطات من اي نوع بين الفريقين ، واكد ذلك ناطق بمكتب الاتصال العربي بالامانة العامة لمؤتمر الشعب العام في طرابلس ، في تصريح وزعته وكالة الانباء الليبية ينفي « ان تكون هناك اي وساطة من اي جهة حول العلاقة بين ليبيا والمقاومة الفلسطينية » (السفير ١٢/٢٤) .

هذا في الوقت الذي نسبت وكالة الصحافة الفرنسية في الجزائر الى مصدر فلسطيني قالت انه جدير بالثقة ، قوله ان الوساطة السورية بين منظمة التحرير الفلسطينية وليبيا انتهت باتفاق (١٢/٢٣) ، واضاف المصدر نفسه ان الوساطة التي تولاها نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام سوف تمكن ممثلي المنظمة في طرابلس من العودة الى اماكنهم ، كما ستتوقف ليبيا عن مساندة ما سمي باللجان الثورية الفلسطينية . وقال ان الطرفين سيمتنعان عن القيام باي حملات دعائية عن طريق الصحافة انتظارا لابرام الاتفاق النهائي ، وان اتصالات على مستوى عال سوف تتم بين الفلسطينيين والليبيين لهذا

الغرض (السفير ١٢/٢٤) . هذا وقد وصل دمشق الدكتور احمد طالب الابراهيمي مبعوث الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ، الذي صرح لدى وصوله مطار دمشق بانه يحمل رسالة الى الرئيس السوري حافظ الاسد ، وكان سبق للابراهيمي ان زار طرابلس واجتمع بالقذافي ، في غمرة تكهنات تحدثت في حينه عن وساطة جزائرية بين الطرفين .

هذا في الوقت الذي استمرت السلطات الليبية في تصعيد حملتها على المنظمة ، وتطور هذا التصعيد ليشمل الاعتقالات بين المواطنين الفلسطينيين في ليبيا . ففي (١٢/١٧) ذكرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ان السلطات الليبية قامت باغلاق مكتب م.ت.ف في مدينة بنغازي ، كما قامت تلك السلطات بابلاغ قرار بالترحيل لثلاثة من العاملين فيه هم ابو ثائر وابراهيم طوباسي وابو جبر . كما قامت من جهة اخرى بتطويق مكتب م.ت.ف في مدينة طرابلس ، وطلبت من العاملين فيه تسليم اسلحتهم الخاصة للدفاع عن النفس (وفا ١٢/١٧) . واستمر مسلسل التصعيد ، حيث قامت السلطات باعتقال خمسة مواطنين فلسطينيين من كوادر الثورة الفلسطينية (وفا ١٢/٢٨) ، واستدعت عددا اخر من مكتب المنظمة ، وكوادر « فتح » في مدينة طرابلس ، واجرت معهم التحقيقات الاستفزازية لارغامهم على قبول الوصاية الليبية ، وطلبت الى عدد منهم مغادرة الاراضي الليبية خلال اربع وعشرين ساعة منذ التبليغ (وفا ١٢/٢٠). عدا ان تلك السلطات اوقفت التعامل مع مكاتب المنظمة في ليبيا ، والغت التعامل بالمعاملات والاوراق الرسمية التي تحمل خاتم منظمة التحرير الفلسطينية ، واصدرت تعميما بهذا الشأن الى جميع الدوائر والوزارات والمصالح الحكومية ، بينما قامت بالغاء كل المعاملات الرسمية التي كانت معتمدة في السابق ، اذا كانت تحمل ختم وتوقيع المسؤولين في منظمة التحرير (وفا ١٢/٢١) . وصعدت الحملة في (١٢/٢٤) باغلاق مكتب المنظمة في طرابلس ، والاستيلاء على جميع محتوياته واغلاقه بالشمع الاحمر . (وفا ١٢/٢٤) .

وردا على ما ذكر حول نفي ليبي للوساطة التي قامت بها بعض الجهات العربية ، وحول ما تردد عن بعض وسائل الاعلام بان منظمة التحرير الفلسطينية طالبت بعض الجهات العربية بالوساطة من اجل تنقية العلاقات ، صرح مصدر فلسطيني في الثورة الفلسطينية بان م.ت.ف لم تطلب مثل هذه الوساطة ، وهي ترى ان حل الخلاف لا يكون الا في اطار جبهة الصمود والتصدي ، وان م.ت.ف كانت قبلت بوساطة بعض الاشقاء العرب بين قيادة المقاومة والجماهيرية الليبية حرصا على القضية القومية المركزية (التصريح كاملا في « وفا » ، ١٢/٢٥) .

في هذا الوقت وصل الى بيروت عضو الامانة العامة الدائمة لمؤتمر الشعب العربي السيد احمد عبد العال على رأس وفد من الامانة العامة ، حيث ذكر انه حضر للقيام بمسعى وبمبادرة من الامانة العامة ، وذلك لازالة الخلاف الليبي ـ الفلسطيني . وذكر بان السيد عبد العال اتصل بياسر عرفات ، والتقى ايضا عددا من قادة المقاومة ومنهم د. جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية ، ونايف حواتمة الامين العام للجبهة الديمقراطية ، واحمد جبريل الامين العام للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة . وفي تصريح لوكالة الانباء الصحافية ذكر عبد العال انه « بالواقع ليس ما نقوم به وساطة بالمعنى المتعارف عليه ... فلا وساطة بين الاشقاء ... انما تنحصر مهمتنا في ابداء الرأي في الخلاف والاستماع الى من يعنيهم الامر » (السفير ، ١٢/٢٥) .

كما التقى في هذه الاثناء ايضا مبعوث الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ، السيد احمد طالب الابراهيمي عددا من قادة المقاومة ، وتركز بحثه معهم على سبل معالجة الخلاف الطارىء ، كما نقل الى عرفات رسالة من الرئيس الجزائري تتعلق بالوسائل الكفيلة بتطويق الازمة الليبية ـ الفلسطينية .

وفي اطار الجهود المتواصلة لتطويق الخلاف بين الجماهيرية الليبية والمقاومة الفلسطينية ، وصل الى ليبيا كل من جورج حبش ونايف حواتمة واحمد جبريل وسمير غوشه وماجد محسن عن فصائل المقاومة ، ورياض رعد عن الحزب التقدمي الاشتراكي ، حيث ذكرت الوكالة الجماهيرية للانباء ان الرائد عبد السلام جلود استقبلهم في قصر الشعب في طرابلس ، واضافت الوكالة ان الزيارة تأتي في اطار توكيد التلاحم بين الثورتين الليبية والفلسطينية. وفي وقت لاحق قالت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في بيان وزعته في بيروت ان الاجتماع تناول المهمات النضالية الملقاة على

عاتق الثورتين ، واضاف البيان انه تم الاتفاق في الاجتماع على ما يلي .

١ ــ الدعوة السريعة الى عقد القمة الرابعة لجبهة الصمود والتصدي .

٢ ــ التاكيد على ان م.ت.ف هي الممثل الشرعي الوحيد .

٣ ــ الحرص الكامل على مصالح الجالية الفلسطينية في ليبيا .

ويظهر البيان ان قادة عدد من الفصائل الفلسطينية عقدوا اجتماعا مع القيادة الليبية في (١٢/٢٦) جرى فيه البحث في تعزيز العلاقات الليبية ــ الفلسطينية . وقامت وكالة الجماهيرية للانباء بنشر النص الكامل للبيان الذي اذاعه قادة المقاومة ، والذي جاء في مجمله اقرب الى الادعاءات الليبية في هجومها على المنظمة ، وليس فيه ما يخفف حدة التوتر القائم (نص البيان كاملا في السفير ، ١٢/٣١) .

من جهة اخرى قال فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ، ردا على سؤال حول الوساطة العربية بشأن الخلاف « نرجو ان يكون هناك تقدم في الوساطة الحالية ، لاننا لسنا مع اي معركة كانت مع اي نظام عربي ، ولكننا لا نسمح بالاعتداء على الشرعية الفلسطينية والتدخل في الشؤون الداخلية لمنظمة التحرير ، والتاثير على قرارها المستقل . كما اننا نرفض اي محاولة لفرض وصاية على الشعب الفلسطيني من اي نظام عربي » ، وقال كذلك ان العلاقة « بيننا وبين اي نظام عربي تنظمها قرارات مؤتمر القمة العربي ، لانها تحدد شكل وطبيعة العمل العربي الموحد ، وضرورة التزام جميع الاعضاء بهذه القرارات ، وكل من يخرج عنها يعتبر خارجا من المجموعة العربية » . واضاف « لقد دعونا الدول الاعضاء في الصمود والتصدي الى عقد مؤتمر عاجل لبحث هذه القضية ونامل ان يخرج هذا المؤتمر بنتائج ايجابية ، كما طلبنا عقد مؤتمر عربي عام بهذا الصدد ان امكن » (وفا ، ١٢/٢٨) .

وفي مجال اخر اشار القدومي الى ان الثورة الفلسطينية اجرت اتصالات مع سوريا واليمن الديمقراطية والجزائر بشأن تسوية الاوضاع مع ليبيا ، وهي حريصة على اقامة علاقات طبيعية معها على قاعدة الغاء الاجراءات المتخذة ضد م.ت.ف . (وفا ، ١٢/٣٠) .

هذا ولا زالت الحملة الليبية على الثورة الفلسطينية مستمرة ، حيث ذكر ان السلطات الليبية قامت بمداهمة مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بلدة سبها بواحة فزان ، واستولت عليه، وذكرت الانباء ان هذه الخطوة جاءت بعد ان رفض العاملون في المكتب الاعتراف بما يسمى باللجان الثورية التي شكلتها ليبيا ، واضافت الانباء ان السلطات لا زالت تمارس ضغطها وارهابها على المواطنين الفلسطينيين هناك ، (السفير ، ١٤/١/١٩٨٠) ، هذا في الوقت الذي نفى فيه القذافي في مؤتمر عقده في بنغازي ، وجود اي وساطة بين ليبيا وحركة فتح ، التي ذكر في مؤتمره انها هي التي سببت الخلاف ... وعليها ازالته (السفير ، ١٤/١) .

هذا وكانت اللجنة المركزية لحركة « فتح » عقدت اجتماعا تدارست فيه اخر تطورات الوضع الراهن ، خاصة « الحملة المسعورة » التي تتعرض لها المنظمة من قبل القيادة الليبية ، وقد اصدرت اللجنة المركزية في ختام اجتماعها بيانا اعلنت فيه ادانتها الممارسات التي يقوم بها النظام الليبي ، وعلى رأسه القذافي ، ومحاولته لضرب الجماهير الفلسطينية وثورتها ، وكذلك ضرب جبهة الصمود والتصدي ، وافشالها ، وتفكيك وحدة الموقف العربي في مواجهة كامب ديفيد ، والعمل على تسهيل مهمة هذه الاطراف في تنفيذ الحكم الذاتي وذلك بمحاولة ضرب شرعية منظمة التحرير الفلسطينية وتمثيلها للشعب الفلسطيني . واعلن البيان للشعب الفلسطيني والليبي والعربي عن ان . ١ ــ الموقف الذي اتخذه القذافي ليس بجديد ، وان حركة فتح لن تسمح للقذافي او غيره بالتطاول على الثورة الفلسطينية . ٢ ــ ان حركة فتح والثورة الفلسطينية ستتصدى لجميع محاولات الوصاية والخضوع والاحتواء ، وان فتح ستظل امينة ووفية للمبادىء القومية والوطنية . ٣ ــ تاكيد العلاقة النضالية بين الثورة الفلسطينية والشعب الليبي . ٤ ــ الالتزام المبدئي والثابت بالوحدة الوطنية الفلسطينية . ٥ ــ الالتزام بمنظمة التحرير وموقعها في الثورة الفلسطينية ، وكذلك بجبهة الصمود والتصدي ، والتأكيد على

الالتزام بوحدة الموقف العربي الذي تاكد في قمتي بغداد وتونس .

واعلن البيان كذلك ان المنظمة كانت قد قبلت محاولة الرئيس حافظ الاسد للوساطه ،وكذلك محاولات الجزائر واليمن الديمقراطي ، ولكن القذافي اعلن رفضه لهذه الوساطة ، بل وانكر وجودها ، واستمر في حملته المشبوهة وممارساته المتعددة (نص البيان كاملا في وفا ، ١/٨) .

على اي حال لم تتوقف الجهود العربية في محاولة الوساطة ، وسيعقد وزراء الخارجية لجبهة الصمود والتصدي اجتماعهم في (١/١٦) في دمشق ، حيث ذكرت المصادر الدبلوماسية ان الهدف من الاجتماع هو الاعداد لقمة جبهة الصمود والتصدي وذلك من اجل البحث في تسوية الخلاف الليبي الفلسطيني (النهار ، ١/١٦) .

لجنة المتابعة العربية

كان ابرز ما خرجت به قمة تونس عدا القرارات التي تتناول الوضع في لبنان والتواجد الفلسطيني ، هو احياء لجنة المتابعة التي انبثقت اول مرة عن مؤتمر بيت الدين ، وذلك من اجل تطبيق هذه المقررات . والقمة العربية التي جمعت بين الموقفين المتناقضين ، اللبناني والفلسطيني ، تركت للطرفين مسؤولية الاتفاق على برامج التنفيذ ، وذلك بمساعدة لجنة المتابعة العربية المشكلة من ممثلين عن المملكة العربية السعودية ، ودولة الكويت ، وسوريا ، والامانة العامة لجامعة الدول العربية . وان إعادة تحديد المواقف مع بعض الحدة هنا وبعض التصعيد هناك لم تكن اكثر من تحضيرات لاجتماعات اللجنة ، وهي تشكل مؤشرا الى الاجواء التي ستسود هذه الاجتماعات .

لقد تحركت السلطات اللبنانية باتجاه دعوة لجنة المتابعة العربية بعد انهاء اعمال مؤتمر القمة في تونس، وجرى الاعلان رسميا عن اول اجتماع لها على ان يتم في (١٢/٧) ويكون في القصر الجمهوري اللبناني برئاسة رئيس الجمهورية الاستاذ الياس سركيس . وفعلا قام رئيس الوزراء الدكتور سليم الحص بابلاغ الدعوة لكل الاطراف المعنيين . وقد أثار البعض الشكوك الكثيرة حول امكانية عقد هذا اجتماع في موعده المحدد ، لان الامين العام للجامعة العربية كان قد اعتذر للجنة المتابعة عن الحضور لارتباطه بمواعيد سابقة ، وكذلك لان السفير السعودي علي الشاعر كان غائبا ، ولعدم تعيين العضو السوري الى قبل الموعد بيومين . ولكن هذه الشكوك تبددت بعد ان تبلغت السلطة رسميا اسم ممثل سوريا وهو محمد غانم ، واسم ممثل الكويت وهو سفيرها في لبنان عبد الحميد البعيجان ، وكذلك بعد تعيين حمادي الصيد ممثلا للجامعة العربية ، وتعيين السفير السعودي علي الشاعر ممثلا للسعودية .

هذا وقد استاثرت المساعي المبذولة لتقريب وجهات النظر بين الحكومة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية باهتمام جميع الاطراف ، خاصة المراجع العليا اللبنانية ، على امل ترجمة مقررات قمة تونس عمليا دون اصطدامها بعراقيل تؤخر التنفيذ او تجهضه .

وما ان وصل ممثل الجامعة العربية حمادي الصيد بيروت ، حتى بدأ بسلسلة من الاتصالات واللقاءات ، سواء على صعيد اعضاء لجنة المتابعة او الاطراف اللبنانية والفلسطينية ، محاولا اجراء استشفاف عام للخطوط العريضة لكل من الموقف اللبناني الرسمي ، وللموقف الفلسطيني .

المصادر الحكومية اللبنانية قالت ان اللجنة ستأخذ مقررات قمة تونس ، وتحاول ايجاد تفسير واحد لها ، ثم تنتقل الى فرز هذه المقررات واختيار الاولويات منها ، التي يمكن تنفيذها نظرا لموافقة كافة الاطراف عليها . والاعتقاد السائد ان هذا التنفيذ سيشيع بالضرورة – اذا حصل – جوا من الارتياح ، ويزيل عوامل الشك بين لبنان الرسمي ، وم . ت . ف ، الامر الذي سيخلق اجواء مؤاتية للبحث في مرحلة لاحقة في القضايا الاصعب ،وفي ما لا يتوفر اتفاق بشانه منذ الآن .

ويتضمن جدول الاعمال الامور التالية .

١ – الابلاغ عن خطة لانتشار الجيش في الجنوب .

٢ – جردة بمقررات مؤتمرات القاهرة والرياض وبيت الدين والاسباب التي عملت على عرقلة تنفيذها .

٣ – الاطلاع على موقف الامين العام للامم المتحدة من لبنان ، وما يمكن ان يطرح على مجلس الامن بهذا الخصوص .

٤ ـ تنظيم التنفيذ والدور الذي يمكن ان تلعبه اللجنة وهي تتحرك من اجل العمل انطلاقا مما تقرر في تونس .

٥ ـ البحث في العقد الباقية ، كالوجود الفلسطيني في منطقة عمليات القوات الدولية . (السفير ، ١٢/٣) .

اما على صعيد المواقف ، فقد لخص الموقف الفلسطيني ، على اساس ان منظمة التحرير الفلسطينية على استعداد للحوار مع السلطة اللبنانية في اي موضوع ، سواء اكان يتعلق بالجنوب او بغير الجنوب ، ولكن بعد ان تسقط السلطة اللبنانية تحفظها على البند الخامس من مقررات تونس المتعلقة بالجنوب (النهار ، ١٢/٧) والذي يؤكد على مشروعية التواجد الفلسطيني المسلح في الجنوب ، بما في ذلك مناطق عمل القوة الدولية ، وتنظيم هذا التواجد بموجب الاتفاق بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية .

اما على الصعيد اللبناني ، فان المصادر القريبة من الحكم تؤكد على ان الموقف اللبناني ينظر الى هذه النقطة بالذات نظرة مغايرة ، وان العودة عن التحفظ على القرار المذكور غير واردة ، ولكن هذه المصادر اوضحت ان التحفظ شأن لبناني ، وهو يرمي الى عدم تنصل لبنان من التزاماته الدولية (النهار ، ٧٩/١٢/٧) .

على اي حال ، عقدت لجنة المتابعة العربية اجتماعها الاول في القصر الجمهوري ، حيث بدأت من حيث انتهت السابقة ، وقد ركز المجتمعون على المواضيع والقضايا ذات الاولوية ، وتقرر في هذا الاجتماع ان تباشر اللجنة اتصالات واسعة مع الاطراف المعنية ، ولا سيما منظمة التحرير الفلسطينية . وذلك من اجل تحديد الاوليات قبل الانتقال الى البحث في طرق تنفيذها في الاجتماعات الدورية التي تقرر ان تعقدها اللجنة لاحقا .

وقالت المصادر المطلعة ان البحث في الاجتماع اخذ عدة منحنيات ، وتناول النتائج التي انتهت اليها اللجنة الرباعية في منتصف ١٩٧٧ ، واسباب فشلها كما تناول موضوع التواجد الفلسطيني ونسبة الـ ٧ في الالف ، وغيرها من المواضيع التي كانت السبب في فشل وطي صفحة اللجنة الرباعية في الماضي . وانتهى الاجتماع على ان تقوم اللجنة بالاجتماع بالاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، الذي تم الاجتماع اليه بحضور احمد صدقي الرجاني عضو اللجنة التنفيذية ، صلاح خلف (ابو اياد) عضو اللجنة المركزية لحركة « فتح » والعميد سعد صايل (ابو الوليد) مدير غرفة العمليات المركزية للقوات المشتركة ، واسفر الاجتماع عن البحث في مقررات قمة تونس المتعلقة بلبنان والذي « تميز بالنظرة الشاملة لهذه المقررات ، وبالروح الايجابية في معالجتها والتعامل معها . كما عبرت م . ت . ف . للجميع عن استعدادها الكامل للعمل من اجل تنفيذ هذه المقررات وانجاح مهمة اللجنة » (وفا ، ٧٩/١٢/١٠) .

بعد هذين الاجتماعين مع كل من سركيس وعرفات غادر ممثل الجامعة العربية في لجنة المتابعة بيروت الى تونس (١٢/١٢) وذلك لوضع الشاذلي القليبي ، الامين العام ، في اجواء الاجتماعين الذين عقدتهما اللجنة مع الجانبين اللبناني والفلسطيني ، ولاطلاعه على الموقفين اللذين عبر عنهما كل من عرفات وسركيس ، ولاجراء مشاورات معه . وقد حمله الامين العام بدوره عدة رسائل الى كل من عرفات وسركيس والحص ، وكذلك فؤاد بطرس ، وزير الخارجية اللبناني . وفي رسالته لبطرس يطلب الامين العام فتح مكتب لجامعة الدول العربية في بيروت تشمل مهماته دول المشرق العربي ، ويبلغه بأن السيد حمادي الصيد سيكون مبعوثا خاصا للجامعة في بيروت ، للاشراف على انشاء المكتب المذكور ، اضافة الى كونه ممثل الجامعة في لجنة المتابعة .

اما اجتماع لجنة المتابعة المقرر في (١٥/ ١٢) فلم تشأ المصادر الحكومية اللبنانية انذاك التكهن بما يمكن ان ينتج عنه ، معربة عن اقتناعها بان الاوراق لا زالت مخفية .ويسود الاعتقاد لدى هذه المصادر بأن على لجنة المتابعة ، كي تنجح في مساعيها ، او على الاقل كي تؤمن عوامل نجاح موازية لعوامل الفشل . ان تعمل فريقا منسجما وان ينسق اعضاؤها فيما بينهم ، ويضعوا الخطط والمقترحات لتجري مناقشتها مع المعنيين .

ولكن ، وبعد الاجتماع الثاني (١٢/١٥) للجنة المتابعة بكامل اعضائها في قصر بعبدا ، فقد قالت المصادر ان الاجتماع لم يحقق اي تقدم ، وان

البحث لم يتجاوز العموميات . في حين اطلع اعضاء اللجنة الجانب اللبناني على حصيلة المناقشات التي اجروها مع رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بشأن مقررات تونس وطرق تنفيذها وقد لخصوها في ثلاث نقاط .

الاولى . ان المطلوب هو البحث مع الحركة الوطنية اللبنانية في مسألة تسهيل دخول الجيش اللبناني الى الجنوب . والمقاومة ترى ان يجري حوار بين السلطة اللبنانية والحركة الوطنية الموجودة عسكريا في الجنوب. وتعتبر م . ت . ف . ان هذه القضية في هذا المجال باتت لبنانية ـ لبنانية . اما فيما يخصها فلقد ابدت المقاومة ترحيبا بدخول الجيش للجنوب ، واستعدادا للمساعدة على انتشاره حين لا يتعارض هذا مع حقها المقرر في التواجد فيه .

الثانية . اثارت المقاومة موضوع الوجود الانعزالي الاسرائيلي القائم في الجنوب ، ودعت اللجنة الى اخذ هذا الامر بعين الاعتبار عند البحث في هذا الموضوع

الثالثة . ضرورة الانطلاق عند البحث في طرق تنفيذ مقررات قمة تونس من كونها كلا يجب البحث فيه جملة (النهار ، ١٢/١٦) .

بعد ذلك جرت في الاجتماع مناقشة خطة عمل اللجنة للمرحلة المقبلة ، وامكانية حصر مهمات اللجنة في البحث في نطاق الجنوب ام الجنوب والشمال . وكذلك الاقتراح بتشكيل لجنة وزارية من اجل استمرارية البحث بينها وبين لجنة المتابعة .

وتم تشكيل اللجنة الوزارية المكلفة بمتابعة البحث والتنسيق مع لجنة المتابعة من وزير الدفاع السيد جوزف سكاف ووزير المال الدكتور علي الخليل ، وبمشاركة قائد قوة الردع العربية العميد سامي الخطيب . وكان اول اجتماع لها في (١٢/١٧)، حيث ناقشت عملها وبحثت في الخطوات الجدية التي تؤدي الى تنفيذ مقررات قمة تونس والتنسيق بين الاطراف المعنية . ومع تكتم المصادر الرسمية عما دار من مناقشات ، فقد فهم ان البحث تناول قضية الجنوب ومقررات تونس وامكانيات تنفيذها جملة او وفقا لاولويات يتم اختيارها بعد التشاور مع جميع الاطراف. ويكون الجنوب وانتشار الجيش في طليعة هذه الاوليات . كما بحثت في امكانية عقد اجتماع ثلاثي بين م . ت . ف . ولجنة المتابعة وكذلك اللجنة الوزارية (النهار ، ١٢/١٨) .

من جهة اخرى اكدت مصادر قريبة ، ان قيادة الجيش اللبناني لن تقبل دخولا رمزيا الى الجنوب ، وقالت ان هناك خطة للدخول والانتشار لا تقبل التجزئة او النقصان وهي تتجاوب مع الموقف السياسي الرسمي لجهة كونه حدا ادنى ، وهذه الخطة ، كما ذكر ، تتألف من مرحلتين ، تقضي المرحلة الاولى بدخول كتيبة معززة من الجيش الى كل من صور والنبطية وجسر القاسمية . واما المرحلة الثانية فتقضي بازالة دولة « سعد حداد » بمعاونة الامم المتحدة ، وان اي دخول بشكل رمزي لن يكون موضع ترحيب من قبل الجيش (النهار ، ١٢/١٨) .

وعلى الرغم من ان بعض اعضاء لجنة المتابعة العربية كان يتوقع ان يعرض الطرف اللبناني الخطة العسكرية لدخول الجيش الى الجنوب الا ان ذلك لم يتم ، لان الخطة ، حسب رأي بعض المصادر ، لم توضع بعد في صيغتها النهائية . ولكن بعض المصادر اوضح أن حرص السلطة على عدم الكشف عن هذه الخطة سببه ما تسعى اليه السلطة اولا من الحصول على ضوء اخضر من منظمة التحرير لدخول الجنوب، وبان تعمد المنظمة من جانبها لتذليل الصعوبات التي تعترض هذا الدخول .

في هذه الاجواء استمر عقد الاجتماعات بين اللجنة الوزارية المكلفة ولجنة المتابعة وحتى الاجتماع الثالث لم يكن قد تحقق شيء ، وانما ارتأى المجتمعون ان لقاءاتهم حتى الآن كانت من اجل وجوب الاستمرار والسعي ومحاولة جمع الفريقين ولتحقيق نوع من الانفراج ولو الظاهري لئلا تتجمد اعمال لجنة المتابعة. ومن هنا كانت فكرة جمع الجانبين اللبناني والفلسطيني . حيث قامت لجنة المتابعة بالاجتماع الى عرفات الذي رحب بالفكرة مثللا العقبات امامها لناحية دخول الجيش الى الجنوب. وقد صرح بعد الاجتماع بقوله . « هناك كتيبتان من الجيش اللبناني في الجنوب ، ونحن نرحب بدخول عشر كتائب اخرى الى جانب كل من الكتيبتين وذلك لمواجهة العدوان الاسرائيلي المستمر. بل نقول بواجب دخول الجيش اللبناني كله ليقوم بواجباته في الدفاع عن الارض اللبنانية والسيادة اللبنانية . وقد ابلغنا هذا الى اللجنة العربية ، واعلنا الى جانب ذلك ترحيبا بعقد لقاء ثلاثي ، فلسطيني ـ لبناني مع لجنة المتابعة العربية » (النهار ، ١٢/٢١) .

اما موعد الاجتماع الثلاثي فقد حدد في ١٢/٣١ ، على ان يعقد في مقر رئاسة الحكومة ، ويحضره من الجانب اللبناني رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص ، وعضوا اللجنة الوزارية جوزف سكاف وعلي الخليل ، وقائد قوة الردع العربية العميد سامي الخطيب .

بعد ذلك ، شهدت الاوساط السياسية تحركا واسعا قام به ممثل الجامعة العربية السيد حمادي الصيد . اما بالنسبة للحوار مع الحركة الوطنية فقد كانت هناك اطراف تشجعه . ومع ان لجنة المتابعة العربية لم تقرر اجراء الاتصالات مع الاطراف اللبنانية غير الرسميين ، وحصر اتصالاتها بالسلطة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، الا انه اتفق على ان يجري مثل هذه الاتصالات الوزيران المكلفان في اللجنة الوزارية، على ان يقوم علي الخليل بالاتصال باطراف الحركة الوطنية ، وان يقوم جوزف سكاف بالاتصال باطراف الجبهة اللبنانية، وقالت المصادر الحكومية كذلك انه بانتظار الاجتماع المشترك اللبناني ـ الفلسطيني المنتظر في (١٢/٣١) مع لجنة المتابعة فان لبنان سيكون قد وضع خطته العسكرية لدخول الجيش الى الجنوب وانتشاره (السفير ، ١٢/٢٢) ، الا ان مصادر اخرى اكدت بأن لبنان لن يطرح في الاجتماع الثلاثي الخطة العسكرية لدخول الجنوب ، وذلك اثر اجتماع امني ضم الياس سركيس ، رئيس الجمهورية ، وكل من قائد الجيش العماد فيكتور خوري ، وقائد قوة الردع العربية العميد سامي الخطيب والمدير العام لقوى الامن الداخلي العميد الركن احمد الحاج ، ومدير المخابرات في الجيش اللبناني المقدم جوني عبده . وفي هذا الاجتماع تركز البحث على عدة اوجه منها مسألة الجنوب وتطبيق مقررات تونس . وكل ما ذكرته هذه المصادر حول الاجتماع الثلاثي المقرر عقده ان يصدر عن الاجتماع بيان مشترك يتضمن النيات الايجابية والصادقة للفريقين والرغبة في العمل لتطبيق قرارات قمة تونس وحل بقية المعضلات التي تتحدث عنها تلك القرارات (النهار ١٢/٢٩) .

على الصعيد الفلسطيني، قالت بعض المصادر الفلسطينية ان لبنان الرسمي حاول في تونس ان يلعب مع المنظمة لعبة مؤذية ولكنه لم ينجح ، وانه كرر هذه اللعبة في مجلس الامن الدولي وكانت اللعبة تقضي باستصدار قرار يتضمن نصا صريحا على وجوب اخراج الفلسطينيين من منطقة العمليات الدولية وكاد لبنان ان ينجح لولا الجهود الضخمة التي بذلتها المنظمة . ولكن المصادر نفسها قالت بان لبنان الرسمي أيضا بدأ منذ فترة قصيرة يميل الى الاعتدال بطريقة يمكن ات تؤدي الى تجاوب المنظمة ، وتعطي النتائج الملموسة على أرض الواقع (النهار ، ١٢/٢٩) .

اما على صعيد الطرف اللبناني فقد اكدت المصادر القريبة من الحكم بان السلطة اللبنانية ليست في وارد البحث في الخطط العسكرية مع الفلسطينيين . وفي اعتقاد الحكم ان على لجنة المتابعة ان تسعى لتحقيق امرين وهما : ١ ـ وضع مهلة زمنية للتفاهم على بعض القضايا الشائكة ، ٢ ـ وضع برنامج عمل تتمكن اللجنة بموجبه من التعاطي مع امور عدة في حال عدم تمكنها من النجاح في امر معين (المصدر نفسه) .

اما على صعيد موقف الحركة الوطنية كما شرحته للجانب اللبناني المكلف بالتنسيق والاتصال مع لجنة المتابعة ، فهو انه لا يجوز ان يكون ثمن دخول الجيش اللبناني للجنوب تخليها عن سلاحها في المنطقة ، في حين ان الفريق المسلح الآخر لا يزال يحمل سلاحه في مناطق اخرى كان قد دخلها الجيش ، وما زال هذا الفريق يقيم الحواجز في هذه المناطق ، واحيانا على مقربة من الجيش . وفي رأي الحركة الوطنية ، ان العدل والتوازن يقضيان بالنظر الى الامور بعينين وليس بعين واحدة . وعليه فان الحركة الوطنية تطلب ان يشمل البحث الجنوب وغير الجنوب ، وان نزع السلاح اذا حدث ، يجب ان يشمل كل الاطراف فلا يختل التوازن الحالي القائم (النهار ، ١٢/٣١) .

على اي حال عقد الاجتماع الثلاثي الذي كان مقررا في(١٢/٣١) في حينه ، وحضره الجانب اللبناني ممثلا بالدكتور سليم الحص والوزيرين جوزف سكاف وعلي الخليل ، وعن لجنة المتابعة حمادي الصيد ممثل الامين العام للجامعة والسفير الكويتي عبد الحميد البعيجان ، والسفير السعودي الفريق علي الشاعر ، اما عن الجانب الفلسطيني فحضره ياسر عرفات ومعه كل من الاخوة فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير وسعد صايل مدير غرفة العمليات المركزية للقوات المشتركة . وقد تم في هذا الاجتماع البحث في قضية الجنوب

ومهمات لجنة المتابعة حيث كرر عرفات مرة اخرى تجاوب واستعداد منظمة التحرير الفلسطينية لتسهيل دخول الجيش وعمل لجنة المتابعة ، ومما قاله في هذا الخصوص ، « ان طبيعة الاجتماع هو بهدف تنسيق وتنظيم ما اتفق عليه في مؤتمر تونس بالنسبة للوضع الفلسطيني اللبناني ككل وبالنسبة للجنوب اللبناني على الاخص. وقد ابلغنا الاخوة باستعداد المقاومة لتقديم كافة التسهيلات كما قدمتها في السابق بالنسبة لدخول الجيش اللبناني ... الذي اتمناه ان تتمكن السلطة اللبنانية والجيش اللبناني من بسط نفوذه على كل الاراضي اللبنانية وحتى الحدود بين فلسطين ولبنان » (التصريح كاملا في وفا ، ١٢/٣١) .

الاجتماع الثالث للجنة المتابعة العربية (٩٨٠/١/٣) برئيس الجمهورية ، والذي عقد بعد اللقاء الثلاثي المذكور، لم يأت بجديد على الصعيد العملي سواء بالنسبة للجنوب او بالنسبة لبقية الموضوعات على الرغم من التصريحات التي ادلى بها عرفات وممثلي المنظمة عن الترحيب لدخول الجيش اللبناني ، وكذلك التاكيدات التي تمت من قبل المقاومة للجنة المتابعة العربية سواء في اللقاءات الجانبية او في الاجتماع الثلاثي .

ولكن ذكر مصدر حكومي لبناني انه تقرر في هذا الاجتماع ان تواصل لجنة المتابعة اتصالاتها مع المجلس الشيعي والحركة الوطنية ، وكذلك الاطراف الاخرى المعنية بقضية الجنوب ، وذلك لبلورة افكار معينة تدور كلها وتتركز حول دخول الجيش وطريقة هذا الدخول وحجمه ، واعرب المصدر عن امله في ان يؤدي الاجتماع المقبل الذي تقرر في(١٢/١) الى خطوات تنفيذية لدخول الجيش . كما قالت مصادر مطلعة اخرى ان البحث تناول في الاجتماع النقاط التالية .

١ ـ عاد المجتمعون الى الاقتراح القديم الذي كانت اللجنة قد تبنته ، والقاضي بان تتحرك اللجنة بشكل جماعي في اتصالاتها مع الاطراف المعنيين بحيث تتم اللقاءات بحضور جميع اعضاء اللجنة .

٢ ـ طرح ممثل الجامعة تشكيل لجنة عسكرية من الدول الاعضاء المشاركة في اللجنة تعمل باشرافها، كي تشارك في البحث عن تفاصيل دخول الجيش وتشرف عليه وتراقب عمليات العرقلة ان وجدت .

٣ ـ ابلاغ سركيس من قبل ممثل الجامعة بان عرفات وعده واكد له انه لن يدع اللجنة تفشل في تحقيق مهماتها الاساسية .

٤ ـ ان سركيس طرح ضرورة ازالة المظاهر المسلحة من امام الجيش قبل دخوله ، وغير ذلك من امور (النهار ، ٩٨٠/١/٤) .

على اي حال وعلى رغم ان تنفيذ مقررات قمة تونس ولا سيما ما يتعلق منها بالجنوب، هو مطلب لبناني ملح حسبما تعلنه السلطة اللبنانية بشكل دائم، الا ان المصادر المطلعة تعتقد ان عدم التنفيذ لن يشكل ازمة في الوقت الحاضر بالنسبة للسلطة خصوصا اذا استمر تجميد الاوضاع . اما اذا عاد الجنوب الى اجواء التفجير ، فان ذلك قد يفرض على المسؤولين طرح قضية تنفيذ المقررات جديا وبالحاح ، وان الحكم قد يجد نفسه مضطرا الى الاقدام على مبادرة ما تستعجل التنفيذ. وتشدد المصادر بان هذه المبادرة اذا حصلت لن تتجاوز الاطار العربي الذي لا يزال الحكم ـ كما تقول المصادر ، يفضله لحل قضية الجنوب (النهار ، ١٢/١٢) .

اما من جهة ما كان مقررا بالنسبة لاجتماع لجنة المتابعة يوم (١٢/١) مع رئيس الجمهورية فقد ارجىء هذا الاجتماع الى اجل غير مسمى بعد ان تقرر ان يغادر ممثل الجامعة الى تونس للاجتماع بالامين العام الشاذلي القليبي، حيث ذكر انه سينتدبه لجولة على بعض الاقطار العربية تشمل الجزائر والعراق والكويت وكذلك دول الخليج العربي . وهذه الجولة تتم من أجل اطلاع المسؤولين العرب على نشاط لجنة المتابعة والصعوبات التي تواجهها ، وربما طلب منهم المساعدة لتوفير عوامل النجاح للجنة ولتنفيذ مقررات قمة تونس . هذا وقد فاتح ممثل الجامعة حمادي الصيد السيد فؤاد بطرس قبل مغادرته بضرورة قيامه بالجولة العربية، وتمنى عليه اجراء اللازم لارجاء موعد اجتماع اللجنة مع رئيس الجمهورية .

وبعد مغادرة حمادي الصيد بيروت ، كثرت التكهنات حول مستقبل لجنة المتابعة ، والاسباب التي دعت الى تأجيل اجتماعاتها ، فمن قائل ، ان ذلك حصل نتيجة تصلب الحركة الوطنية اللبنانية في مواقفها ورأى آخر يقول ان السبب هو تباين موقف لجنة المتابعة وموقف السلطة اللبنانية (النهار ، ١/٩) . بينما اكد مصدر حكومي لبناني ان اللجنة

لن توقف اعمالها وستستمر في بذل المساعي والجهود لدى الاطراف المعنيين من اجل حملهم على تسهيل المهمة الموكلة للجنة . وقال ان استمرار اجتماعات اللجنة يظل افضل من وقفها وانفراط عقدها . وقد تفادت اللجنة منذ اول اجتماع عقدته ان تربط نفسها بمهلة زمنية لتنفيذ المهمة الموكلة لها خوفا من ان تنقضي هذه المهلة قبل ان تكون قد نفذتها، او نفذت شيئاً منها، فتضطر عندئذ الى وقف كل نشاط. ويضيف المصدر ان لجنة المتابعة هي في الواقع امتداد لقمة تونس واستمرار لها ، واذا وجـدت اللجنة نفسها مضطرة الى انهاء مهمتها لاخفاقها في التوصل الى نتائج حاسمة فانها سترفع تقريرا بذلك للامين العام للجامعة (النهار ١٢/١/١٩٨٠) .

ولا زال عمل لجنة المتابعة مستمرا رسميا ، بانتظار عودة السيد حمادي الصيد وكذلك الفريق علي الشاعر الذي غادر لبنان لاسباب يبدو انها تتصل بعمل اللجنة. وكذلك عودة المندوب السوري محمد غانم الذي كان مشغولا في شؤون اخرى في سوريا في المرحلة الاخيرة. لكن الى حين عودة اعضاء اللجنة

واعادة الاتصال بالاطراف المعنيين بالقضية التي يدور البحث فيها، فأن لكل حادث حديثا مع ان كل الدلائل تشير الى الأمل بانجاز شيء هو ضعيف جدا. والخوف هو ان تنتهي لجنة المتابعة العربية الى ما انتهت اليه اللجان السابقة .

صابر موسى

المناطق المحتلة

بين قضيتي بسام الشكعة ، وشركة كهرباء القدس ،

السلطات الاسرائيلية تفقد حرية المناورة امام القدرة السياسية لسكان المناطق المحتلة

تشهد الاراضي العربية المحتلة تطورات هامة على صعيد المؤامرات التي تحاك ضد الشعب الفلسطيني ، وقضيته الوطنية . وتبدو الساحة هناك ، وكأنها ساحة مواجهة دائمة بين سلطات الاحتلال ، والمواطنين الفلسطينيين بقيادة رؤساء البلديات ، والشخصيات الوطنية ، وعلى اكثر من صعيد . فما ان تخسر سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي معركة ، الا وتسارع الى فتح معركة اخرى ، وفي الحال يكون التصدي سريعا وفعالا بمختلف الوسائل والاساليب .

ويمكن القول ، ان قضية بسام الشكعة ، رئيس بلدية نابلس ، قد فتحت الباب على مصراعيه ، امام معركة مكشوفة ومتواصلة ، وفي مجالات عدة ، لم تكن تلك القضية اولها ، كما لن تكون قضية شركة كهرباء القدس العربية أخرها بكل تأكيد .

ومن ناحية ثانية ، دخلت الى ساحة الصراع في المناطق المحتلة ، عناصر جديدة ، تدعم الموقف الاسرائيلي ، ولا تقل خطورتها على مستقبل الاراضي المحتلة من وجود الاحتلال ذاته . ونقصد بذلك المحاولات التي تبذلها السلطات المصرية لاقامة اتصالات مع بعض الشخصيات في المناطق المحتلة ، وفتح مكاتب اتصال مصرية في مدن تلك المناطق ، وتحريك بعض الادوات لتخريب وحدة النضال الفلسطيني في قطاع غزة . كما دخلت الى هذه الساحة ممارسات جديدة للسلطات الاردنية ، تتمثل في اعادة تنشيط بعض الدوائر الرسمية التي كانت قائمة في الضفة الغربية قبل الاحتلال عام ١٩٦٧ ، والتي تتولى تصريف اعمالها حتى الآن الغرف التجارية ، ومخاتير القرى العربية .

الوضع السياسي

كان من أثار قضية الشكعة ، ونتيجة لخسارة السلطات الاسرائيلية احدى المعارك السياسية ضد

القيادات الوطنية الفلسطينية ، ان قررت هذه السلطات ، الرجوع عن اسلوبها المتبع سابقا ، والذي كان يدعو الى « عدم التشدد بشأن حظر النشاط السياسي على رؤساء البلديات ، شرط ا لا يمس هذا النشاط اتفاقيات كامب ديفيد » (ر .إ.إ. ، العدد ١٩٤٢ ، ١٧ ، ١٩٧٩/١٢/١٨ ، ص ١٢) . وتطبيقا لهذا القرار استدعت سلطات الحكم العسكري رؤساء البلديات كي توضح لهم ، انه لن يسمح بالنشاطات السياسية الموجهة ضد اتفاقيات كامب ديفيد . ويعني هذا « تجميد النشاطات السياسية في المناطق ، الموجهة ضد تلك الاتفاقيات ، والحكم الذاتي ، وضد سياسات الاستيطان لحكومة الليكود » (عل همشمار ، ١٩٧٩/١٢/١٩) .

وفي السياق نفسه ، ومن اجل منع استمرار الزخم السياسي الوطني الذي تجسده وحدة العمل المشترك بين الضفة الغربية وقطاع غزة ، قرر الحكم العسكري منع النشاطات المشتركة لزعماء المنطقتين . وكشف رشاد الشوا رئيس بلدية قطاع غزة حقيقة هذا القرار ، عند اجتماعه مع الحاكم العسكري للاحتجاج على قرار منعه من الذهاب الى الضفة الغربية ، وقال « ان هذا المنع يبرهن عن نوايا عزل الضفة عن القطاع ، ومحاولة لفرض الحكم الذاتي على القطاع » . واضاف الشوا « ان خطوات الحكم العسكري لن تغير من معارضة السكان لمشروع الحكم الذاتي ، لانها لا تحتوي على الحد الادنى المقبول للفلسطينيين » (المصدر نفسه) .

والحقيقة ان الاوساط الاسرائيلية المهتمة بشؤون المناطق ، مصابة بالذهول من القدرة العالية لمستوى التصدي لدى سكان المناطق ، الذين يدافعون عن حقهم في ارضهم ضد سياسات الاستيطان ، ومصادرة الاراضي ، وسلبهم لحقوقهم المشروعة . وقد وصل المعنيون بالتطورات الجارية في الضفة والقطاع ، الى نتيجة ملخصها « ان قوة المناورة لدى الحكم العسكري اخذة بالتقلص ... وحقا ، توجد لدى الحكم العسكري مقدرة على منع الاجتماعات ، والاحتجاجات ، والسماح لحرس الحدود بتفريق الطلاب في حرم الجامعة ، او فرض الرقابة على صحف المناطق ، ولا شك في ذلك ، لكن نجاعة هذه الخطوات تقل شيئا فشيئا ، وكثيرا من هذه الاجراءات اعطت عكسها . وكانت قضية الشكعة ، كما هو معروف ، مثالا كلاسيكيا على ذلك ، وهو ليس المثال الوحيد » (امنون كابليوك ، عل همشمار ، ١٩٧٩/١٢/٢٨) .

وقد دفع هذا الوضع الصحافة الاسرائيلية للبحث والتحليل في تركيب القوى السياسية داخل المناطق المحتلة ، ومدى تنظيمها ، ومستواها الفكري ، وقوة تاثيرها بين الجماهير . فرؤساء البلديات الحاليون الذين يقودون العمل الوطني « يمثلون الخط المتطرف ... وقد اعلنوا مرات عديدة ، ان منظمة التحرير هي ممثلهم الشرعي ، وهي التي ستحكم الدولة الفلسطينية المستقلة التي يريدون اقامتها » (يعقوب حكبوك ، ملحق هآرتس ، ١٩٧٩/١٢/٧) . والجانب الايديولوجي عندهم متين ، وهم يختلفون عن سابقيهم « الذين لم يميلوا الى التطرف ، وحافظوا على خط موال للاردن ، اما هؤلاء الجدد ، فانهم يتضامنون بوضوح مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وغالبيتهم يعارضون الاردن » (المصدر نفسه) .

وتوجد الى جانب القيادة الرسمية المعروفة في المناطق ، والتي يمثلها رؤساء البلديات ، مجموعة اخرى « ليست صغيرة ولها اهمية في الضفة وخارجها . وهؤلاء هم العاملون في الخفاء لكي لا يلفتوا انتباها متزايدا اليهم ، ويحملون ايديولوجية هامة . وبناء على ذلك ، فان تاثير هذه المجموعة بارز ، وتوجد لآرائها أهمية خاصة في المناطق ، حتى ان رؤساء البلديات يصغون اليها بانتباه . وابرز شخصيتين في هذه المجموعة هما الدكتور احمد حمزة النتشه ، والصحافي بشير البرغوتي ... كما يعمل مع هذه المجموعة كل من خلدون عبد الحق من نابلس ، والدكتور حيدر عبد الشافي من غزة ...

« والشخصيات النشيطة في هذه المجموعة ، لا تعمل في وظائف رسمية ، مثل رؤساء البلديات ، وهم اما اعضاء في الحزب الشيوعي ، او متضامنون مع الجبهة الوطنية ، وباقي الهيئات ذات التطلعات اليسارية المتطرفة . وتعمل هذه الهيئات في أطر محددة ، منظمة ومتطورة نوعا ما . وهناك أراء في الضفة تقول ان هذه المجموعة مؤثرة اكثر من رؤساء البلديات المعروفين ، وان النتشه

والبرغوتي ، والشافي ، وعبد الحق ورفاقهم هم القوة الحقيقية ، ورؤساء البلديات هم المشهورون في الخارج ... » .

« اما المجموعة الثالثة ، وهي غير رسمية ايضا ، فهي مجموعة معتدلة ، وتؤيد الاردن ، ومعظم شخصياتها كانت تشغل مناصب رسمية ايام الحكم الاردني ، ومنها انور الخطيب ، انور نسيبه ، مصطفى دودين ، عبد الرؤوف فارس ، نهاد جاد الله، حكمت المصري ، نعيم عبد الهادي ، الحاج شفيق بالي ، وغيرهم . ولا يوجد أي وزن لهذه المجموعة في الخارطة السياسية في المناطق ... وقد حافظت ... على علاقات جيدة مع النظام الهاشمي ، على العكس من غالبية رؤساء البلديات ، وممثلي المجموعات المتطرفة الشيوعية التي قطعت كل الجسور مع الملك حسين . ولا يزال هؤلاء ، يحافظون على ثقتهم بالملك ، لانهم يرون حل المشكلة الفلسطينية عبر العلاقة مع الاردن ، تحت زعامة الملك ، رغم انهم لا يستطيعون تجاهل التطورات الاخيرة في العالم العربي ، وفي المناطق [المحتلة] ايضا » (المصدر نفسه) .

وباستثناء هذه القوة الاخيرة والهامشية ، والمكونة من شخصيات كبيرة في السن ، والتي تستمد قوتها من كونها تنتمي الى عائلات كبيرة ، فان الموقف العام في المناطق « موحد ازاء التنسيق المصري ـ الاسرائيلي في كل ما يتعلق بالمسالة الفلسطينية » (امنون كابليوك ، مصدر سبق ذكره) .

اما عن وعي سكان المناطق لمناورات اطراف كامب ديفيد فانه عال جدا . فاذا ما حدثت السكان عن الخلافات في الراي بين وفود مصر واسرائيل حول الحكم الذاتي ، او عن تصريحات المصريين القائلة ان هدفهم تحقيق الاستقلال للفلسطينيين ، فانك تجابه بقول قاطع « اننا لا نؤمن حتى بكلمة واحدة للسادات ، وهؤلاء الذين يحيطون به . لقد باعونا ، ويبحثون عن اسلوب لاخفاء صفقتهم التي عقدوها مع اسرائيل . وسوف نقاطع سفارة السادات التي ستفتح في تل ابيب » . وبالنسبة لمكاتب الاتصال التي يريدون انشاءها في الضفة ، فاننا « لن نقيم علاقات معها ، وهي مرفوضة ايضا ، واننا لا نفهم لماذا يخشى بيغن منها . ان المصريين يقومون بالدعاية من اجل حكمه الذاتي » (المصدر نفسه) .

وتعترف الاوساط الاسرائيلية الان ، بأن النشاطات السياسية التي وصلت الى ذروتها أثناء قضية الشكعة ، لا يمكن كبحها بعد الان « وانها بهذا الاسلوب او ذاك متلائمة مع الظروف والمعطيات ، وهي مستمرة في التعاظم » ، وبالمقابل فان اسرائيل « تفقد قدرتها على التحكم بالاحداث ، فقد كانت في السنوات الاولى بعد حرب حزيران (يوليو) ١٩٦٧ تتمتع بحرية مناورة سياسية ، لكن هذه تبددت مع اوهام وضع خطوط [الحدود] الابدية ، وتقلصت الى الصفر تقريبا بعد ذلك . وبسبب قصر النظر ، والخرافات عن البقاء في ظل الحراب الاسرائيلية ، لم يبق هذا الوضع سرا لدى زعماء المناطق ، فقد بنوا عليه خططهم السياسية . ومن هنا ياتي تفاؤلهم ازاء المستقبل » (المصدر نفسه) .

نشاطات مصرية واردنية

وفي اطار التمهيد للحكم الذاتي ، الذي تريد اطراف كامب ديفيد تطبيقه على الاراضي المحتلة ، كشف مراسل صحيفة عل همشمار الاسرائيلية في القاهرة ، عن محاولات اجراها عدد من الممثلين المصريين في مباحثات الحكم الذاتي ، مع زعماء من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وان احمد عزت عبد اللطيف ، رئيس الوفد المصري لمجموعات العمل في تلك المباحثات ، سافر مرات عديدة خلال الاسابيع الاربعة الاخيرة الى القدس لهذا الهدف . وقد رفضت السلطات المصرية « الافصاح عن اسماء هؤلاء الزعماء الذين التقى معهم عبد اللطيف » (عل همشمار ، ١٣/١٢/١٩٧٩) . وفي وقت لاحق اوضحت الاذاعة الاسرائيلية صفة الشخصيات التي يلتقي معها اعضاء الوفد المصري ، عندما اعلنت ان عزت عبد المجيد عضو الوفد « قام بزيارة احد كبار الموظفين الاردنيين في القدس الشرقية » (ر . إ . إ ، العدد ١٩٥٨ ، ٩ و ١٠/١/١٩٨٠ ، ص ٦) .

وفي هذا السياق ، ذكرت الاذاعة الاسرائيلية ايضا ان موظفي دائرة الجوازات الاردنية ، سوف يعودون الى العمل في الضفة الغربية « بعد موافقة ضمنية من اسرائيل » (ومن المعروف ان هؤلاء الموظفين كانوا قد توقفوا عن اعمالهم منذ حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧) ، ومن المقرر ان يتخذوا مكاتب غرف التجارة مقرا لهم وسيعملون في « مهمة

اصدار جوازات السفر التي كان رؤساء البلديات يقومون بها » (ر . إ . إ ، العدد ١٩٥٩ ، ١٠ و ١٩٨٠/١/١١ ، ص ١٢) . وستكون هذه اول مجموعة من الموظفين تستانف عملها في الضفة الغربية « وسيستانف رجال القضاء وموظفو الضرائب اعمالهم قريبا » (المصدر نفسه) .

ويأتي هذا النشاط مترافقا مع نشاط اخر تقوم به السلطات الاردنية ، فقد ذكرت مصادر امنية اسرائيلية ان حزب الاخوان المسلمين استانف مؤخرا « نشاطه السري في الضفة الغربية ، بالتنسيق مع الاردن . ومما يذكر ان حزب التحرير [الاسلامي] المعادي للاردن يمارس نشاطه هناك . ويعمل الحزبان بشكل مناهض لرؤساء البلديات ذوي الميول الشيوعية » (ر . إ . إ ، العدد ١٩٤٥ ، ٢٠ و ١٩٧٩/١٢/٢١ ، ص ٩) .

وفي الوقت نفسه ، تحركت عناصر مشبوهة في قطاع غزة يوم ١٩٨٠/١/٧ ، وهاجمت مكاتب جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني في المدينة ، عقب قرار ادارة كلية الازهر (التابعة لجامعة الازهر في القاهرة) الذي دعت فيه رئيس الكلية الشيخ محمد عواد للاستقالة من وظيفته . وقد ادعت اوساط الشيخ عواد ، ان هذا القرار جاء « بتأثير من شخصيات في جمعية الهلال الاحمر برئاسة الدكتور حيدر عبد الشافي » (عل همشمار ، ١٩٨٠/١/٨) . ورغم محاولات اظهار الاحداث بأنها قضية دينية وان جزءا منها كان بتأثير احداث افغانستان ، اعترفت المصادر الاسرائيلية ، ان ما حصل ليس خلافا شخصيا ، وانما « عداءات سياسية بين وجهة النظر المصرية (الشيخ عواد) ، وبين وجهة نظر منظمة التحرير الفلسطينية (الدكتور حيدر) . ولم يقبل الجمهور ابعاد عواد ، ورد على ذلك بغضب » (المصدر نفسه) .

وكان تواطؤ سلطات الاحتلال مع مجموعات الشغب واضحا . فقد دعى الدكتور حيدر عبد الشافي لمؤتمر حضره الاكاديميون ، والمثلون الآخرون في المدن الاخرى ، للاحتجاج على الاحداث التي جرت في غزة ، وعبر المحتجون في نهاية المؤتمر ، عن استيائهم « من تصرف الحكم العسكري الذي لم يعمل على وقف المظاهرة قبل انطلاقها » (ر . إ . إ ، العدد ١٩٥٧ ، ٨ و ١٩٨٠/١/٩ ، ص ٨) . كما ان سلطات الحكم العسكري في القطاع منعت الدكتور عبد الشافي ، فيما بعد ، من عقد مؤتمر صحفي ليوضح فيه حقيقة القضية ، ولكشف ابعادها والقوى التي تقف وراءها . وقد تضامنت جميع القوى الوطنية في المناطق المحتلة مع موقف جمعية الهلال الاحمر في غزة . وتلقى الدكتور عبد الشافي رئيس الجمعية ، برقيات استنكار للاعتداء الذي وقع ضد مكاتب الهلال الاحمر من جمعيتي الهلال الاحمر في مدينتي نابلس ، والقدس ، ومن اتحاد النساء العربي في البيرة ، واتحاد الجمعيات الخيرية في نابلس والمؤسسات الوطنية في قطاع غزة . واستنكرت تلك البرقيات الحادث واكدت وقوف مرسليها الى جانب المسؤولين عن الجمعية من اجل استئناف خدماتها لمواطني القطاع .

واصدر مجلس الطلبة في جامعة بيرزيت بيانا ، دعا فيه الى ضرورة تعميق التلاحم بين صفوف الحركة الوطنية لجماهير الارض المحتلة ، وادان البيان بعض الفئات التي تسعى جاهدة لعرقلة مسيرة الجماهير الفلسطينية . واكد ان هذه الفئات تحاول الظهور بمظهر الحريص على الدين ، بعد ان فقدت مبررات وجودها الوطنية والتاريخية (فلسطين الثورة ، ١٩٨٠/١/١٢) .

كما اصدرت الهيئة الاسلامية في مدينة القدس المحتلة بيانا ، ناشدت فيه « جميع المواطنين ، الحفاظ على وحدة الصف لمواجهة المخاطر التي تحدق [بالشعب الفلسطيني] ، حتى يتمكن من افشال جميع المخططات التي تستهدف النيل من وحدته الوطنية ، وفرض المؤامرات عليه » (المصدر نفسه) .

مصادرة شركة كهرباء القدس الوطنية

في يوم ١٩٧٩/١٢/٣١ ، استدعى اسحاق موداعي ، وزير الطاقة الاسرائيلي المحامي انور نسيبة رئيس مجلس ادارة شركة كهرباء القدس العربية ، وابلغه عزم الحكومة الاسرائيلية شراء امتياز الشركة ابتداء من ١٩٨١/١/١ . وقد عللت السلطات الاسرائيلية اسباب اتخاذ قرارها المذكور بعدم قدرة الشركة على الاستمرار في تقديم الخدمات لتتلاءم مع التطويرات الواقعة في مجال امتيازها ، وان « المشتركين اليهود اشتكوا عدة مرات ، من مستوى الخدمات التي تقدمها الشركة »

(هآرتس ، ١٩٨٠/١/١) .

وكانت شركة كهرباء القدس ، تعاني من بعض الازمات المالية والادارية منذ العام ١٩٦٧ ، حيث اخذت تشتري بعد الاحتلال ما يعادل ٥٨ ٪ من طاقتها الكهربائية من شركة الكهرباء القطرية الاسرائيلية ، وذلك لتوفير الاحتياجات المستجدة ، التي فرضها واقع زيادة وتيرة بناء الاحياء السكنية اليهودية ، والمستوطنات التي اقيمت في مجال امتيازها . واجبرها هذا الوضع بالتالي على تلبية الاحتياجات الجديدة ، باسعار تعادل اسعار الكهرباء في اسرائيل ، مع فارق ان شركة الكهرباء الاسرائيلية تتلقى دعما من الحكومة ، بينما لا تحصل الشركة العربية على ذلك ، مما اوقعها في عجز دائم . وبلغت ديونها في العام ١٩٧٩ حوالى ٢٨ مليون ليرة اسرائيلية ، اضافة الى مبلغ ١٠ ملايين ليرة لصالح شركة الوقود الاسرائيلية (باز) .

وفي محاولة لتخليص الشركة من ازمتها ، عقدت ادارتها اجتماعا في اواسط شهر اب الماضي ، برعاية اللجنة الفلسطينية ـ الاردنية المشتركة . وجرى في ذلك الاجتماع تسوية اوضاع الشركة وعين رئيس دائم لمجلس ادارتها ، ومدير عام لها . كما بحث وضع الشركة بشكل عام ، وما تتعرض له من تهديدات وضغوطات من قبل الاجهزة الاسرائيلية المختلفة .

وتقدم شركة كهرباء القدس العربية خدماتها لحوالى ٤٩,٨٣٢ الف مشترك ، يتوزعون على ١٣ مدينة ، و ٤٩ قرية ، و ٥ مخيمات للاجئين . ويشترك فيها ١٣١ مؤسسة صناعية ، وفندقية ، وتجارية ، يعمل فيها ١٠,٠٠٠ موظف . ويبلغ عدد عمال وموظفي الشركة نحو ٤٠٠ وعدد المستفيدين من خدماتها ٣٠,٠٠٠ مواطن . وتساهم في اداراتها بلديات القدس ورام الله والبيرة وبيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا .

ومهما حاولت السلطات الاسرائيلية تبرير القرار بان خلفياته لا تتعدى الاعتبارات التقنية ، والاقتصادية ، فانه لا يمكن إلا ربطه مع القرارات السابقة بشان مدينة القدس ، منذ اعلان ضمها في ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وقد ادت السياسة نفسها ، حتى الآن ، الى حل مجلس امانة القدس ، ونقل دائرة التربية والتعليم الى بيت لحم ، ومحكمة الاستئناف الى رام الله ، وتطبيق المناهج الاسرائيلية على الطلاب العرب ، وتشتيت القرى العربية المحيطة بالقدس ، والحاقها بمناطق بيت لحم ، ومنطقة رام الله ، مع ان تلك القرى هي من احياء القدس العربية والملاصقة لها .

ردود الفعل على القرار

أثار قرار وزير الطاقة الاسرائيلي ، امتلاك شركة كهرباء القدس العربية ، ردود فعل واسعة في الاراضي المحتلة . وراحت المؤسسات والهيئات الوطنية تستعد لمعركة طويلة مع سلطات الاحتلال ، لن تقل اهميتها عن قضية الشكعة ، لان الضفة الغربية كما يقول الياس فريج رئيس بلدية بيت لحم لن « تجيب بالسكوت ، وهذا قرار تحريضي ، وغير ضروري ، وهو سيؤدي الى مواجهة حادة بين السكان العرب ، والحكم العسكري ، وسيكون اخطر بكثير من قضية الشكعة » (يديعوت احرونوت ، ١٩٨٠/١/١) . ودعت الصحافة الاسرائيلية ، من جانبها ، حكومة اسرائيل الى اخذ العبر من تجاربها السابقة مع الزعامة الفلسطينية في الداخل التي تريد تحويل قضية شركة الكهرباء الى « معركة سياسية ، والى طبعة جديدة لقضية الشكعة ... وان تتعلم الدرس الصحيح من تلك القضية على الاقل ، لكي لا تجد نفسها من جديد في وضع يثير الضحك » (معاريف ، ١٩٨٠/١/٢) .

ورد المحامي انور نسيبه على ادعاءات وزير الطاقة الاسرائيلي بشان الشركة ، ورفضها رفضا قاطعا . واوضح انه من الناحية المالية ، تواصل الشركة الوفاء بجميع التزاماتها ، ومن الناحية الفنية ، فانها تتقيد بجميع واجباتها . « صحيح ان الشركة كانت في السابق تواجه الصعوبات ، ولكننا عقدنا العزم على مواجهة هذه المشاكل بنجاح » (ر . إ . إ ، العدد ١٩٤٥ ، ٤ و ١٩٨٠/١/٥ ، ص ١٠) وحدد نسيبه بصورة قاطعة ، ان الدوافع « السياسية هي التي تقف خلف قرار الحكومة » (المصدر نفسه) .

وفي يوم ١٩٨٠/١/٥ عقد في القدس اجتماع بمبادرة لجنة التوجيه الوطني ، خصص للبحث في موضوع شركة الكهرباء . ورغم منع سلطات الاحتلال لرؤساء البلديات من حضور الاجتماع ، فان رئيسي بلديتي نابلس وحلحول نجحا في الوصول اليه والاشتراك فيه . وتحدث انور نسيبه في الاجتماع ، وقال « ان مزارعا من منطقة القدس

ابلغه ، انه يفضل البقاء في الظلام ، على تلقي الكهرباء من شركة الكهرباء الاسرائيلية » (هآرتس ، ٦/١/١٩٨٠) .

وأصدر المؤتمر بيانا ، أكد فيه ان الاحتلال الصهيوني قام بعد الانتصار في قضية الشكعة بهجمة على المؤسسات الوطنية ، مثل الاقتحام العسكري لجامعة بيرزيت ، واقتحام قاعة المعلمات في البيرة ، ومصادرة الحريات ، وفرض الاقامة الجبرية ، وتطبيق العقوبات الجماعية . وتوج الاحتلال ممارساته هذه بقرار الاستيلاء على شركة كهرباء القدس ، وهي مؤسسة اقتصادية فلسطينية ، تعود ملكيتها لجماهير الشعب الفلسطيني . وجدد البيان الرفض القاطع لاتفاقيات كامب ديفيد ، والسيطرة على الاراضي ، وطالب الانظمة العربية الالتزام بمقررات قمتي بغداد وتونس لمواجهة تلك الاتفاقيات ، واسقاط النهج المعادي للشعب الفلسطيني (وفا ، ٥/١/١٩٨٠ ، ص ١٠ و ١١) .

وادان مجلس بلدية غزة في بيان اصدره ، القرار الاسرائيلي الذي لم يكن ابدا « لمصلحة المواطن كما تزعم السلطات ، بل هو حلقة في سلسلة احكام القبضة على القدس العربية ، وسلخها عن الضفة الغربية ، ولتثبيت الامر الواقع الذي فرضته ، تاكيدا لما تسميه توحيد القدس ، وجعلها عاصمة ازلية لاسرائيل » (الرأي الاردنية ، ٨/١/١٩٨٠) . وربط البيان بين هذا الاجراء ، والاجراءات الاخرى التي تمارسها سلطات الاحتلال ، من مصادرة الاراضي ، واقامة المستوطنات ، واكد ان « الضفة الغربية ، وقطاع غزة جزء من شعب واحد ، ذي مصير واحد ، وان ما يهدد ارضنا او اية مؤسسة عربية في الاراضي المحتلة ، انما هو عدوان علينا جميعا .... وما زالت ماثلة للاذهان قضية رئيس بلدية نابلس ، وما أكدته من أهمية وحدة القوى الوطنية في هذا الصدد » (المصدر نفسه)

الاستيطان ومصادرة الاراضي

استمرارا لسياسة السيطرة على الاراضي العربية ، واقامة المستوطنات ، يخطط قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية لاقامة ست مستوطنات في منطقة أريحا . وهذه المستوطنات هي ، نعيمه أ و ج ، الموج ب و ج ، ومتسفه يريحوب . وسوف تعتمد هذه المستوطنات اساسا على « الصناعة والسياحة ، وقليلا على الزراعة بسبب نقص المياه والاراضي الزراعية في هذه المنطقة » (هآرتس ، ٢٤/١٢/١٩٧٩) . وستقام اربع من هذه المستوطنات بين أريحا والسياج المقام على نهر الاردن . ووفقا لهذا التخطيط ستحاط مدينة أريحا من كل جوانبها بالمستوطنات الاسرائيلية . وتجدر الاشارة الى ان هذه الخطة تلغي عمليا ممر أريحا الذي يشكل « الاساس الهام في مشروع الون ، والذي يضمن الربط المادي بين الاردن ، والضفة الغربية » (المصدر نفسه) .

وفي مجال تعزيز المستوطنات القائمة حاليا ، يخطط وزير الزراعة ارئيل شارون لبناء ٦٢٠٠ وحدة سكنية من ميزانية العام القادم ، التي تبدأ في نيسان (ابريل) ١٩٨٠ . ويكلف هذا البناء ١٥ مليار ليرة اسرائيلية . الا ان مئتياهو دروبلس رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية قدر تكاليف بناء هذه الوحدات السكنية « بميزانية مضاعفة تبلغ ٣٠ مليار ليرة اسرائيلية » (دافار ٢٦/١٢/١٩٧٩) . وحسب هذه الخطة ستبنى ٣٢٠٠ وحدة سكنية من قبل وزارة الاسكان في مستوطنات مدينية ، و٣٠٠٠ وحدة سكنية من قبل وزارة الزراعة في مستوطنات ريفية . وسيكون نصيب مستوطنات الضفة الغربية وغور الاردن ٨٥٪ من هذه المساكن . ونصيب مدينة كاترين في مرتفعات الجولان ٥٠٠ وحدة سكنية ، وستبنى المساكن الباقية في مستوطنات قطاع غزة ، وغوش قطيف .

وكشفت وزارة الزراعة الاسرائيلية عن بنود الميزانية المخصصة للاستيطان خلال العام الحالي التي تنتهي في اذار (مارس) ١٩٨٠ ، وهي لا تشمل المبالغ التي « تخصصها وزارة الدفاع لمواقع الناحال ، وحماية المستوطنات والاتصال ، الخ » (دافار ، ٢٠/١٢/١٩٧٩) . وسيصرف حسب الميزانية مبلغ ٣٠٢ مليون ليرة على مستوطنات غور الاردن ، و ٢٢٤ مليون ليرة لمستوطنات مشارف رفح ومشارف سيناء .

وفي منطقة نابلس ، قررت لجنة وزارية اقامة مستوطنة جديدة تدعى لبونه ، وستقام هذه المستوطنة على بعد ٧ كلم غربي مستوطنة نوفه تسوف ، قرب الخط الاخضر ، « وتتألف النواة المخصصة للاستيطان في لبونة ، من عاملي

الصناعة الجوية في اسرائيل » (معاريف ، ١٩٨٠/١/٤) .

وفي هذا الاطار ، تعمل السلطات الاسرائيلية على منح المستوطنات الاسرائيلية نوعا من الحكم الذاتي في الاراضي المحتلة ، باقامة مجالس اقليمية للمستوطنات . ففي يوم ١٩٨٠/١/٢ اقيم في غور الاردن مجلس اقليمي يهودي تقع منطقته بين سهل بيسان شمالا ، واريحا جنوبا ، ومجرى نهر الاردن شرقا . ويبلغ طول المنطقة التي يشرف عليها المجلس حوالى ٦٥ كلم ، وعرضها ٢٠ كلم « وتضم خمس عشرة مستوطنة زراعية ، ومستوطنة مدينية واحدة ، وستة مواقع استيطانية للناحال » (ر . إ ، العدد ١٩٥٢ ، ٢ و ١٩٨٠/١/٣ ، ص ١١) .

وفي الكلمة التي القاها يسرائيل نديفي ، رئيس المجلس الاقليمي للمستوطنات ، بمناسبة الاحتفال بانشاء المجلس ، عبر عن مدى القلق الذي يسود بين المستوطنين ، بسبب المشكلات الاقتصادية الخانقة ، التي تدفعهم للنزوح الى داخل اسرائيل : اضافة الى « شعورهم بالخوف من اقامة الحكم الذاتي » . واقترح نديفي حلا يقضي بضم غور الاردن الى اسرائيل ، لان المستوطنين ليسوا على استعداد للعيش هناك ، ومسألة « الحكم الذاتي مسلطة فوق رؤوسهم » . ورد عليه يوسف بورغ وزير الداخلية ، الذي كان يحضر الاحتفال (وهو رئيس الوفد الاسرائيلي المفاوض في مباحثات الحكم الذاتي مع المصريين) . « ان الحكم الذاتي مشروع اسرائيلي يهدف الى خلق امكانية تعايش بين اسرائيل ، وابناء اسماعيل في هذه المنطقة . انها محاولة نبذلها » (المصدر نفسه) .

وفي مجال مصادرة الاراضي العربية ، قامت سلطات الاحتلال بمصادرة اراضي قرية بني نعيم في منطقة تل الخزف قرب مستوطنة كريات اربع . « وتشمل هذه الاراضي ٦٠٠ دونم ، يطالب اهالي كريات اربع باقامة مبان سكنية عليها » (ر . إ . إ ، العدد ١٩٥١ ، ١ و ١٩٨٠/١/٢، ص ٦) . وذكرت المصادر الاسرائيلية ، ان العمل ببناء الحي الجديد « سيبدأ في شهر نيسان (ابريل) القادم ، وسيبنى في المرحلة الاولى ٢٠٠ وحدة سكنية » (هارتس ، ١٩٨٠/١/٣) .

وأمام موجة الاستيطان الجديدة ، وللرد على مواصلة انتهاك حقوق المواطنين العرب في ارضهم ، عقد اجتماعان لرؤساء البلديات ، والمجالس المحلية ، في كل من مدينتي نابلس ورام الله ، اصدر المجتمعون في اعقابهما « بيانا بصيغة واحدة . وقد منع اجتماع ثالث كان مقررا عقده في الخليل ، من قبل الحكم العسكري » (هآرتس، ١٩٧٩/١٢/١٨). واتهم البيان المشترك ، كلا من مصر والولايات المتحدة ، بتشجيع اقامة المستوطنات الجديدة . واضاف ان « التمييز الذي تدعيه حكومة اسرائيل بين الاراضي الحكومية ، والاراضي الخاصة في الضفة الغربية ليس صحيحا . حيث ان كل الاراضي هي اراض خاصة ، وهي ملك الشعب الفلسطيني » (المصدر نفسه) .

اعتقالات جديدة في صفوف المواطنين العرب

اعلنت المصادر الامنية الاسرائيلية ، انها اعتقلت ٣٠ شابا من منطقة رام الله ونابلس ، بتهمة القيام « باعمال معادية ، وتنفيذ عمليات عسكرية . وينتمي المتهمون الى منظمة فتح » (يديعوت احرونوت ، ١٩٧٩/١٢/٢٣) . واضافت تلك المصادر ، أنها كشفت كميات كبيرة من الاسلحة والمواد التخريبية ، وان قسما من المتهمين اعترفوا بتنفيذ عمليات اطلاق النار على وسائط النقل العسكرية الاسرائيلية على طرق الضفة الغربية . وتعتقد سلطات الامن ان المتهمين كانوا يقصدون بالاساس القيام بعمليات ضد قوات الامن ، او قتل الاسرائيليين ، او العرب المتهمين بالتعاون مع السلطات . وذكر ايضا ان المتهمين نفذوا سلسلة من العمليات منها :

١ ـ وضع عبوة ناسفة بجانب عامود الكهرباء بالقرب من مستوطنة شيلا .

٢ ـ محاولة قتل مختار احدى القرى العربية ، بتهمة تعاونه مع السلطات الاسرائيلية .

٣ ـ اغتيال ثلاثة مواطنين من قرية سنغال ، بتهمة تعاونهم مع السلطات .

٤ ـ نفذ المتهمون سلسلة طويلة من اعمال التخريب في القدس ، وعلى جانبي الخط الاخضر .

وأكد المصدر الامني الاسرائيلي ، ان هذه

الشبكة هي من « اخطر ما تم كشفه في السنوات الاخيرة . وان المجموعة كانت مقسمة الى زمر فرعية . عملت كل واحدة منها بشكل مستقل . وبالتنسيق مع التعليمات الصادرة من قيادة عليا » (المصدر نفسه) .

محمد عبد الرحمن

اسرائيليات

نتائج زيارة بيغن الى اسوان

اتفاق على تعزيز العلاقات بين مصر واسرائيل في ظل احداث ايران وافغانستان

تواصل اسرائيل ، مع حلول السنة الجديدة ، التركيز على تطبيق معاهدة السلام المنفردة مع مصر ، خصوصا ما يتعلق بموضوع تطبيع العلاقات وتبادل التمثيل الدبلوماسي ، وفتح الحدود بين البلدين . ويلاحظ ان الجهود التي تبذلها الحكومة الاسرائيلية في هذا المجال ، والتي تكثفت مع مطلع السنة الجديدة ، قد بدأت تعطي ثمارها بفعل التجاوب المصري ، رغم العوامل غير المشجعة لعملية تطبيع العلاقات ، واولها عدم احراز اي تقدم في مفاوضات الحكم الذاتي حتى الان . وربما تكون العوامل الخارجية ، واهمها التطورات الاخيرة في المنطقة ، التي تحاول اسرائيل استثمارها لتقوية تحالفها مع الولايات المتحدة، والحصول على المزيد من المساعدات العسكرية والاقتصادية ، هي الحافز الاكبر على تطبيق معاهدة السلام ، بهدف تقوية محور القاهرة ــ تل ابيب ، بتشجيع من الولايات المتحدة . وسنتناول ، فيما يلي ، الموقف الاسرائيلي في مسار تطبيق بنود المعاهدة مع مصر ، وفي مفاوضات الحكم الذاتي ، ثم علاقات اسرائيل مع الولايات المتحدة ، على خلفية التطورات الجارية في المنطقة ، خصوصا في ايران وافغانستان، ومحاولات اسرائيل الاستفادة منها على جميع المستويات . اقتصاديا وسياسيا وعسكريا .

قمة أسوان : تقدم في تطبيع العلاقات

لم تسفر الزيارة الرسمية التي قام بها رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن الى مصر ، في السابع من كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ ، والتي استغرقت اربعة ايام متتالية ، عن تقدم يذكر في المواضيع المختلف عليها بين البلدين ، والمتعلقة اساسا في مفاوضات الحكم الذاتي ومستقبل القدس الشرقية . فقد اقتصرت نتائج تلك الزيارة على التأكيد المجدد على مسار تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل ، ابتداءا من اواخر كانون الثاني (يناير) الماضي . ولخصت المصادر الاسرائيلية هذه النتائج بالقول . « لم تحدث ازمة ، ولم يكسر الجمود ، هذه هي محصلة اسوان ... ووعد السادات بازالة العقبات التي اعترضت مفاوضات تنفيذ تطبيع العلاقات ، بما في ذلك فتح الحدود الجوية والبرية والبحرية بين البلدين » (ر أ أ ، العدد ١٩٥٩ ، ١٠و ١١/١/١٩٨٠ ، ص ٣) . وكشف السادات وبيغن ، في المؤتمر الصحفي الذي عقداه في نهاية المفاوضات بينهما ، ان الخلافات في وجهات النظر حول الحكم الذاتي مستمرة . وقد اقترح السادات خطة على مرحلتين تقضي بوضع مبادىء الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ثم بدء التطبيق في غزة اولا ، اذ حسب قوله (اي السادات) ، « هناك مسؤولية خاصة [لمصر]

تجاه غزة ، فقد كانت لنا قبل سنة ٢٩٦٧ ، واشعر ان واجبنا انهاء احتلالـــها ، وجعل سكانها يتمتعون بالحكم الذاتي الكامل » (المصدر نفسه ، ص٤) . وبذلك يكون السادات قد احيا فكرة قديمة ، هي اقامة حكم ذاتي في قطاع غزة اولا ، بعد الاتفاق على طبيعته وجوهره ،خصوصا وانه يعتقد ان الحصول على تأييد السكان الفلسطينيين في القطاع اسهل منه في الضفة الغربية .

لكن يبدو ان بيغن لم يتحمس لهذه الفكرة ، وقد وعد بطرحها للنقاش امـام حكومتـه ، لاتخـاذ قرار بشأنها . ولخص بيغن نتائج قمة اسوان بقوله « لم نتوصل الى شيء ، في بعض المواضيع الاساسية جدا ، كموضوع القدس ، الذي سبق ان عبـر السادات عن موقفه منه في الكنيست . وقد سألني عدة مرات حول هذا الموضوع ، واجبته للمـرة السادسة او السابعة ان القدس عاصمة اسرائيل ، وهي مدينة واحدة غير قابلة للتقسيم ، ولجميع الاديان حرية تامة في دخولها وزيـــارة الاماكن المقدسة بها .. غير اننا توصلنا الى اتفاق هام جدا ، حيث قررنا تطبيق البنود [الخاصة بتطبيع العلاقات بين اسرائيل ومصر] ، وبدء العمل بها اعتبارا من ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ ... وسنعتاد بعد قليل على استقبال الطائرات المصرية في مطار بن ــ غوريون ، وسيعتاد المصريون على استقبال طائرات الـ ــعال في مطار القاهرة . وملاحظتي حول هذا الموضوع انه غير مسجل في معاهدة ا السلام ، وقد تم بنـــاء على وعد شخصي من السادات » (المصدر نفسه ، ص٥) .

وعلى صعيد العلاقات الديبلوماسية ، تخطـط اسرائيل لافتتاح سفارتها في القاهرة مع بدء مرحلة تطبيع العلاقات مع مصر ، وذلك بالاضافـة الى قنصلية في الاسكندرية . وقد تم اختيار مدير مكتـب رئيس الحكومة الياهو بن ــ اليسار ، كأول سفير اسرائيلي في مصر .

وتشير المصادر الاسرائيلية الى ان المحادثات بين بيغن والسادات قد تجاوزت حدود العلاقات المتبادلة بين البلدين ، لتشمل الوضع في المنطقة ، والقضايا الدولية ككل ، حيث وجد الطرفان لغة مشتركة بينهما ازاءها ، خصوصا فيما يتعلق بأحداث افغانستان ، وايران ، والدور الاميركي في المنطقة .

انطلاقا من هذه النتائج التي اسفرت عنها زيارة بيغن الى اسوان ، يلاحظ ان تطور العلاقات بين مصر واسرائيل مرهون بمسارين مختلفين اولهما يتعلق بالمفاوضات حول الحكم الذاتي ، الذي لم يحرز اي تقدم جوهري حتى الان في شأن المسائل المختلف عليها ، الامر الذي من شأنه ان يؤثر على تنفيذ معاهدة السلام بين الطرفين بصورة كاملة . اما المسار الثاني فيتعلق بالاهداف الاستراتيجية لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، وقد برزت اهميته الخاصة الان ، في ظل التطورات الاخيرة في المنطقة . وسنتناول هنا الموقف الاسرائيلي تجاه هذين المسارين .

مفاوضات الحكم الذاتي تراوح في مكانها

على صعيد مفاوضات الحكم الذاتي ، انتهت حتى الان الجولة السابعة منها ، التي كانت قد عقدت في القاهرة يوم ١٩/١٢/١٩٧٩ بحضـور الوفود الثلاثة المصرية والاسرائيلية والاميركية ، دون ان تسفر عن اي تقدم فيما يتعلق بالقضايا الاساسية المختلف عليها . وقد تقرر خلال هذه الجولة تمكين مجموعات العمل التي تبحث في موضوع صلاحيات ومسؤولية المجلس الاداري ، من البدء في البحث الجدي حول المواضيع المختلف عليها ، ومحاولة بناء نموذج لصلاحيـات المجلس الاداري ومجالات عمله . كذلك تقرر تفويض مجموعة العمل الخاصة البحث في شؤون الانتخابات ، بأنهاء قانـون الانتخابات ، حتى انعقاد الجولة الثامنـة من المفاوضات ، التي تقرر عقدها في اسرائيل في نهاية الشهر الماضي (هارتس ، ٢٠/١٢/١٩٧٩) .

وخلال انعقاد الجولة الاخيرة من مفاوضـات الحكم الذاتي في القاهرة، أعلن وزير الدولة المصري للشؤون الخارجية ، بطرس غالي ، في مقابلة مع احدى الصحف الاسرائيلية ، ان مصر تطلب ان يكون لها وجود في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وذلك بواسطة فتح « مكاتب ارتباط » في تلك المناطق ، تكون بمثابة فروع تمثيلية لسفارتها في تل ابيب . واضاف غالي ان طلب مصر هذا يمكن حصره « في اطار جهودها الرامية الى مساعدة الفلسطينيين » . وردا على سؤال حول ماهية مكتـب الارتبـاط ، ومركزه ، اعلن غالي ان هذا لا يعني فرعا للسفارة او قنصلية ، وانما شيئا ما في الوسط ، يستطيـع

الفلسطينيون التوجه اليه (هارتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٠). وكانت لجنة مصرية خاصة برئاسة بطرس غالي ، قد قدمت تقريرا الى الرئيس السادات حول مسالةتطبيع العلاقات مع اسرائيل ومفاوضات الحكم الذاتي ، ورد فيه ان « مكاتب الارتباط » هذه هي في الحقيقة نواة للتمثيل الديبلوماسي المصري لدى الكيان الفلسطيني المستقل الذي سيقوم مستقبلا .«وستتحول هذه المكاتب الى سفارات لدى الدولة الفلسطينية بعد انتهاء الفترة الانتقالية للحكم الذاتي ، التي ستدوم

خمس سنوات. واشارت اللجنة الى ان صيغة مكاتب الارتباط هذه لها سابقة في العلاقات بين الولايات المتحدة والصين الشعبية » (المصدر نفسه ، ١٩٧٩/١٢/٢١) .

وقد ردت مصادر حكومية في القدس بتحفظ واضح على اقتراح مصر هذا ، الرامي الى فتح مكاتب ارتباط في الضفة الغربية وقطاع غزة ، معلنة ان اسرائيل ستنفذ معاهدة السلام نصا وروحا ، ويمكنها البحث في الطلبات المصرية بقدر ملائمتها وصيغة المعاهدة (هارتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٠).

وعلى اي حال ، فقد اعلن رئيس الوفد الاسرائيلي لمفاوضات الحكم الذاتي الوزير بورغ ، امام لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست ، عقب انتهاء الجولة الاخيرة من المفاوضات ، ان مصر ترغب في ان تكون المفاوضات حول اقامة الحكم الذاتي جوهرية ، وتتعلق بنقل الصلاحيات من الحكم العسكري الاسرائيلي الى الفلسطينيين . واضاف بورغ ان اسرائيل عارضت اقتراحا كهذا ، « موضحة ان البحث يجب ان يكون عمليا ، ويتناول التفاصيل ، حيث يمكن تقسيم المواضيع الى ثلاثة اجزاء . اولا ، المواضيع التي لا يمكن ان توافق اسرائيل على نقلها الى ادارة الحكم الذاتي على غرار الامن والسياسة الخارجية . ثانيا ، المواضيع التي ستنقلها ، مثل القضايا الاجتماعية والتعليم والقضايا الداخلية . ثالثا ، المواضيع التي سيبقى الاهتمام بها مشتركا ما بين اسرائيل وادارة الحكم

الذاتي » (هارتس ،١٩٧٩/١٢/٢٥) . واضاف بورغ ان مصر رغبت في زيادة عدد اعضاء مجلس ادارة الحكم الذاتي ببضعة عشرات من الاعضاء ، الا ان اسرائيل رفضت ذلك ، خوفا من ان تؤدي زيادة عددهم الى خلق الانطباع حول انشاء برلمان ، ولا زالت تؤيد تحديد عددهم بـ١١ عضوا فقط (المصدر نفسه) .

ولخصت وسائل الاعلام الاسرائيلية نتائج مفاوضات الحكم الذاتي حتى الجولة الاخيرة منها ، المذكورة سابقا ، بالقول ان الحكومة الاسرائيلية اصبحت مطالبة الان بتحديد موقفها من القضايا الاساسية المختلف عليها في هذه المفاوضات ، وهي . مصدر صلاحيات ومجالات عمل المجلس الاداري ، وعدد اعضائه ، ثم مسالة حق السكان العرب في القدس في المشاركة في انتخاباته . واضافت تلك المصادر تقول ان مجمل المفاوضات حول الحكم الذاتي ، كما دارت حتى الان ، يدل على ان تفاهما كبيرا قد تحقق بين اسرائيل ومصر حول اسلوب ادارة الانتخابات للمجلس الاداري ، رغم وجود بعض الخلافات حول هذه النقطة ايضا ، على غرار ما اذا كان يجب انتخاب ممثل واحد ، او اكثر ، للمجلس في كل قضاء انتخابي . كذلك هنالك مشكلة صعبة جدا في هذا المجال تتعلق ، بطلب مصر تمكين سكان القدس الشرقية من المشاركة في الانتخابات (هارتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٤) . والواضح ان المشكلات الاساسية ، التي لم تجد حلولا لها حتى الان ، والمتعلقة بمجال عمل وصلاحيات المجلس الاداري هي التالية . اولا ، مصدر صلاحيات الحكم الذاتي ، حيث يصر الوفد الاسرائيلي في المفاوضات على ان يكون الحكم العسكري هو مصدر الصلاحية لنشاطات المجلس الاداري ، بينما تطالب مصر ان يكون الاتفاق حول انشاء الحكم الذاتي هو مصدر الصلاحية لنشاطات المجلس . ثانيا ، عدد اعضاء المجلس الاداري ، حيث تصر اسرائيل على الا يتجاوز عدد اعضاء المجلس احد عشر عضوا ،«من اجل ضمان طابعه الاداري » ، بينما تطالب مصر بمجلس مؤلف من عشرات الاعضاء ، من اجل اضفاء طابع مؤسسة تشريعية عليه . ثالثا ، صلاحيات المجلس ، اذ تقترح اسرائيل تقسيمها الى مجالات ثلاثة . اولها المواضيع التي ستحول بصورة دائمة اليه (زراعة ، صحة ، عمالة ، الخ) . وثانيها ، المواضيع التي ستخضع للادارة المشتركة للمجلس الاداري والسلطات الاسرائيلية (مثل توزيع الاراضي ، وتوزيع كميات المياه) . اما ثالثها فهي تلك التي ستسلم بصورة دائمة الى اسرائيل (الامن والسياسة الخارجية) . اما مصر فتطالب في المقابل

منح المجلس الاداري الصلاحيات نفسها الممنوحة اليوم للحكم العسكري الاسرائيلي (المصدر نفسه) .

انطلاقا من هذه الخلافات العميقة في مفاوضات الحكم الذاتي ، بدأ القلق يساور بعض الاوساط الاسرائيلية ، بسبب عدم تحقيق اي تقدم جوهري في المفاوضات حتى الان ، الامر الذي لا يؤدي – يحسب رأي هذه الاوساط – الى خلق جو سياسي مريح بين مصر واسرائيل . « فليس هناك احتمالات مشجعة لقيام علاقات تجارية وسياحية ، ولتبادل ثقافي وما شابه ذلك ، اذا بقي الجو السياسي فاترا ... وثمة اساس للاعتقاد بأن القاهرة غير مهتمة بنشوء ازمة بينها وبين القدس ، الا انه ما من شك في ان المصريين يشعرون بعدم الراحة ازاء الحقيقة بأن مفاوضات الحكم الذاتي لم تحقق اي تقدم ملموس في المواضيع الاساسية » (افتتاحية هارتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٤) .

ويتزعم هذه الاوساط وزير الخارجية الاسرائيلي السابق موشي دايان ، الذي عاد يطرح مشروعه القديم بخصوص تنفيذ مشروع الحكم الذاتي من جانب واحد ، بواسطة اخراج الحكم العسكري الاسرائيلي من المناطق المحتلة . وبهذه الطريقة يمكن ، حسب اعتقاده ، تجاوز معارضة الفلسطينيين لهذا المشروع . وحسب قول دايان ، يجب على اسرائيل فقط ان تضمن مصالحها في المناطق المحتلة ، والمتمثلة في عدم قيام دولة فلسطينية ، وبقاء الجيش الاسرائيلي داخل المناطق وعلى الحدود، ثم استمرار الاستيطان في اماكن محددة . ويذكر دايان دوافعه لتنفيذ خطوة كهذه بقوله : « على ضوء تيار اليقظة القومية في الشرق الاوسط ، يجب تنفيذ الحكم الذاتي دون شروط ، ودون اشتراط اشتراك العرب الفلسطينيين، أو وقف المفاوضات مع مصر والولايات المتحدة . [كما] ان اتفاق كامب ديفيد ليس اتفاقا هاما فحسب ، وانما افضل اتفاق حققته اسرائيل مع الولايات المتحدة ومصر . واذا لم ينفذ هذا الاتفاق ، ثمة خوف من ان يتحول الى مادة محفوظة في السجلات، لا اهمية لها» (من مقابلة مع دايان في يديعوت احرونوت ، ١٩٧٩/١٢/٢١) . ورغم تشاؤم دايان فيما يتعلق باحتمال اشتراك الفلسطينيين في تنفيذ مشروع الحكم الذاتي ، فأنه متفائل في امكانية الوصول الى اتفاق مع المصريين حول هذا المشروع . « فالمصريون لن يندفعوا نحو الاعتراف بالفشل ،وسيتوصلون الى اتفاق مع اسرائيل ، معلنين للفلسطينيين هذا هو الحد الاقصى الذي استطعنا تحقيقه من اجلكم ، ولو شاركتم لحققنا المزيد... [كذلك] فالمصريون لن يشرطوا تحقيق اتفاق السلام بتنفيذ الحكم الذاتي ، خصوصا وانهم مهتمين بالانسحاب الكامل من سيناء الذي سيستمر سنتين اضافيتين ... كذلك الاميركيون ايضا ، لاعتباراتهم الخاصة ، يمكنهم القول الفلسطينيون لم يوافقوا ، اذن لنترك هذا الامر » (المصدر نفسه) .

الا ان اراء دايان هذه ، التي تتعلق بتطبيق الحكم الذاتي في المناطق المحتلة ، من جانب واحد ، والتي لا تعني في الحقيقة سوى تجميل وجه الاحتلال ، انطلاقا من المصلحة الاسرائيلية ، تبدو الآن بعيدة كل البعد عن الموقف السياسي الاسرائيلي الآخذ بالتصلب حيال مصير المناطق المحتلة ، وافضل تعبير لهذا التصلب ، ازدياد نفوذ الاوساط المتطرفة المنتمية إلى حركة غوش إيمونيم، أو المقربة منها ، داخل الحكومة ، وفي الكنيست . فقضية عدم اخلاء مستوطنة ايلون موريه ، حتى الآن ، من قبل مستوطني حركة غوش ايمونيم ، وفق قرار صادر عن محكمة العدل العليا ، اصبحت دليلا قاطعا على عدم جدية سياسة الحكومة الاسرائيلية ، في توفير الحد الادنى من الشروط الضرورية لتطبيق مشروع الحكم الذاتي ، وبالتالي تشجيع الاوساط المتطرفة على تنفيذ مخططاتها الاستيطانية داخل المناطق المحتلة . وقد تجاوبت هذه الاوساط مع سياسة الحكومة هذه ، بواسطة دفع مؤيديها في الكنيست الى تقديم مشروع عاجل ، يقضي بتطبيق القانون والقضاء ، وادارة الدولة على جميع المناطق المحتلة ، وبذلك يمكن حل المشكلة القانونية للمستوطنات الاسرائيلية، في هذه المناطق، ويتمكن مستوطنو ايلون موريه من البقاء في اماكنهم (هآرتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٧) .

واعلن النائب موشي شمير ، من زعماء حركة هتحياه ، في معرض تقديمه لمشروع القرار هذا ، ان «سيادة اسرائيل على ارض – اسرائيل ، اما ان تكون أو لا تكون » ، مضيفا ان « الاستيطان اليهودي في اي مكان في عهد هذه الحكومة غير مضمون من [خطر] الاخلاء » (المصدر نفسه) .

وردا على مشروع القرار هذا ، اعلن بيغن ان الحكومة الاسرائيلية لم تعترف ابدا بالضفة الغربية وقطاع غزة كمناطق محتلة ، وان « حق الشعب اليهودي في ارض ــ اسرائيل غير قابل للطعن » . ولكن بيغن اضاف ان الحكومة الاسرائيلية لم تقدم على خطوة كهذه ، اي ضم المناطق ، رغم ملاءمة هذه الخطوة ومبادىء الحكومة الاساسية ، « طالما ان المفاوضات حول معاهدة سلام جارية بين اسرائيل وجيرانها » (المصدر نفسه) .

ورغم فشل مشروع القرار هذا في الكنيست ، فان مستوطني ايلون موريه لا زالوا مصرين على تغيير الوضع القانوني للمناطق المحتلة ، كحل لمشكلة مستوطنتهم ، رافضين الانتقال الى الجبل الكبير ، رغم عشرات الملايين من الليرات التي انفقتها الحكومة الحالية من اجل اعداد هذه المنطقة ، لانتقال مستوطنة ايلون موريه اليها . وقد قررت الحكومة الاسرائيلية تأجيل موعد الانتقال الى اجل غير محدد بسبب معارضة المستوطنين ، الامر الذي دعا بعض اصحاب الاراضي العرب في قرية رجيب العربية الى تقديم شكوى جديدة لمحكمة العدل العليا ، التي اصدرت امرا مؤقتا ، يطالب الحكومة بتقديم تعليل لعدم اخلاء المستوطنة ، خلال عشرة ايام (ر.إ.إ ، العدد ١٩٥٦ ، ٧ و ٨ /١/ ١٩٨٠ ، ص١٠ و ١٥) .

في ظل هذا التصلب الداخلي ، يبدو ان اي تغيير في الموقف الاسرائيلي المتصلب ازاء القضايا المختلف عليها في مفاوضات الحكم الذاتي ، يكاد يكون شبه مستحيل ، وبالتالي فان نجاح المفاوضات حول هذا المشروع يتطلب المزيد من التنازلات المصرية ، وفق الاسلوب الذي اتبعه النظام المصري حتى الان . وعلى اي حال ، فان عدم التقدم في المفاوضات حتى الان ، لم يؤثر على ما يبدو ، في مجرى تنفيذ معاهدة السلام بين الطرفين ، خصوصا فيما يتعلق ببدء تطبيع العلاقات بينهما ، الامر الذي اكتسب دفعا جديدا بعد زيارة بيغن الى اسوان . ويبدو ان المسار الاخر ، المذكور سابقا ، والمتعلق بالهدف الاستراتيجي العام لمعاهدة السلام ، ومدى تأثره بالتطورات الاخيرة في المنطقة ، هو الدافع الاساسي المؤثر على مجرى تنفيذ المعاهدة .

الترحيب الاسرائيلي والمصري بالقواعد الاميركية

عرف الوزير الاسرائيلي عيزر وايزمان ، في مقابلة له مع التلفزيون الاميركي اثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة ، معاهدة السلام بين اسرائيل ومصر ، « بأنها ليست معاهدة عادية ، اساسها التقليل من عمليات القتل بين العرب واسرائيل ــ وهو امر جيد في حد ذاته ــ وانما هي بداية انشاء تكتل ، على اساس معاد للسوفييت ، بدأه السادات ونحن نؤيده برعاية الولايات المتحدة » (نشر نص المقابلة في معاريف ، ٤/١/١٩٨٠) . واضاف وايزمان قائلا « انني اعتقد ان [معاهدة السلام] هي احدى الحلقات الاولى في سلسلة ... اميركية ، تصلح لمصر واسرائيل ولدول اخرى ، ربما الاردن والمغرب ، وامل ايضا [ان تصلح] للسودان والسعودية . فخلال الاشهر المقبلة .. ستكون هذه الدول صاحبة مصلحة وعامل مشترك مع الولايات المتحدة ، الى حد تكون معه استمرارا لجدار وموقع ضد ما يحدث في افغانستان وطهران » (المصدر نفسه) . وفي مناسبة اخرى اعلن وايزمان « علينا الا نصاب بالذهول ... انني لا ارى الجميع مع الخميني ، ولا ارى العالم العربي الموحد . علينا ان نقرر ما هو جيد بالنسبة لنا ، فمحور اسرائيل ــ مصر هو اساس هام ، ويلزم تطوير السلام ، ليس بأي ثمن ، وانما من خلال رؤية ما يحدث حولنا ، ليس كجيران فقط ، وانما كجزء من هذه المنطقة التي يجب ان يكون الوضع المتغير بها امام انظارنا دائما ... ان خروج ايران (من المحور الاوسع الذي سعت اليه الولايات المتحدة) لا يهدم [اسس هذه السياسة] ، وانما على العكس (كما نقلها عن يوسف حوريف ، معاريف ، ٢١/١٢/١٩٧٩) .

انطلاقا من حديث وايزمان هذا ، يبدو ان مسألة استمرار تنفيذ معاهدة السلام مع مصر ، باتت امرا مفروغا منه ، بينما المراهنة على فشل مفاوضات الحكم الذاتي ، لعرقلة تنفيذ المعاهدة ، تبدو قليلة الاحتمالات . ومن هذا المنطلق ينبغي النظر الى نتائج قمة اسوان التي نجحت في دفع العلاقات الثنائية بين اسرائيل ومصر الى مرحلة التطبيع الكامل تقريبا ، وفشلت في ايجاد حد ادنى من التفاهم حول القضايا المختلف عليها في مشروع الحكم الذاتي .

كذلك يبدو ان التطورات الاخيرة ، في افغانستان

وايران ، تعتبر الحافز الاكبر لاستمرار تنفيذ المعاهدة بين اسرائيل ومصر ، بهدف تقوية مواقع الولايات المتحدة في المنطقة . فالتوافق في الاراء بين بيغن والسادات في اسوان ، حول هذه الاحداث ، وترحيبهما المشترك بالقواعد الاميركية في بلديهما ، انما يعكس الهدف الاكبر للتحالف بينهما ، الا وهو خدمة المصالح الاميركية . فالنظام المصري عبر عن ترحيبه بالقواعد الاميركية بأن « وضع تحت تصرف الولايات المتحدة مطاراً عسكرياً في مصر العليا ، كي تتمكن طائرات سلاح الجو الاميركي من الهبوط به ، والحصول على خدمات ستمكنها من الاقلاع للقيام بمهامها » (زئيف شيف ، هآرتس ، ١٩٨٠/١/٧) . وبالنسبة لاسرائيل ، فقد حاولت اقصى جهدها لاستثمار التطورات في المنطقة لصالحها .

فاسرائيل تحاول اقصى جهدها ، استغلال احداث ايران وافغانستان لتقوية تحالفها مع الولايات المتحدة ، كما ذكرنا لتحسين مواقعها في السياسة الاميركية ، الى درجة لن يكون بعدها في اسرائيل اي نقاش « حول ضرورة اعتراف اميركا بأهمية اسرائيل القومية والعالمية الكبرى . فهذا الاعتراف الاميركي – وليس الالتزام التاريخي ، العاطفي او الانتخابي ، هو الذي يحدد ، اكثر من اي عامل اخر ، اية مساعدات عسكرية تحصل عليها اسرائيل ، واية مساعدات يحصل عليها العرب (بما في ذلك السعودية ومصر) بالمقارنة مع اسرائيل » (مردخاي بركائي ، دافار ، ١٩٧٩/١٢/٢١) . ولقد كانت اسرائيل تتوقع ، على خلفية الاحداث الجارية في المنطقة ، تغييراً جذرياً في الولايات المتحدة لصالحها ، يتمثل اساسا في تسليم الادارة الاميركية بسياستها ، خصوصا فيما يتعلق بالموضوع الفلسطيني ومفاوضات الحكم الذاتي ، او بقضية الاستيطان . وادركت ان الفرصة ملائمة لتقوية تحالفها السياسي والعسكري بالولايات المتحدة، واكبر دليل على ذلك ترحيبها المتزايد بالقواعد الاميركية.فقد أعلن وزير الدفاع وايزمان اثناء زيارته الى الولايات المتحدة . « ان اسرائيل ليست بحاجة لكي تقترح ، لان هناك تعاون عميق الجذور بينها وبين الولايات المتحدة . واذا ما احتاجت هذه الى مساعدة أو تعاون أو تبادل في المعلومات ، فان اسرائيل هي واحدة من أكثر البلدان صداقة لها في الشرق الأوسط » (معاريف ، ١٩٨٠/١/٤) .

كذلك اعلن رئيس الحكومة السابق اسحاق رابين ان هدف اسرائيل الاساسي يجب ان يكون ايجاد جبهة موحدة مع الولايات المتحدة ، لمنع الاتحاد السوفييتي من دخول المنطقة ، وانه اذا طلبت الولايات المتحدة استخدام قواعد عسكرية في اسرائيل لحماية مصالحها الخاصة ، فمن غير المنطقي الا نستجيب لذلك (ر.إ.إ ، العدد ١٩٥٦ ، ٧ و ٨ /١/ ٨٠ ، ص٦) . كذلك اعلن رابين ان « افتراض [اسرائيل] هو انه عندما يسود تفاهم استراتيجي وسياسي بينها وبين الولايات المتحدة، فأن التنسيق في النشاطات العملياتية المختلفة ، يكون امراً طبيعياً ومفهوما » (من مقابلة مع رابين ، معاريف ، ١٩٨٠/١/٤) .

ويلاحظ ان الموقف الاسرائيلي ، على صعيد الحكومة والبرلمان ، وحتى في وسائط الاعلام يحبذ جدا قيام الولايات المتحدة بعمل عسكري في الشرق الاوسط ، لان ذلك من شأنه ان يخدم المصالح الاسرائيلية على اكمل وجه . فمن جهة يخفف مثل هذا العمل عزلة الموقف الاسرائيلي في الصراع مع العرب ، حيث يتحول هذا الصراع الى امر ثانوي في المنطقة ، « فالحقيقة هي ان كل تطور في الشرق الاوسط ليست له اية صلة بالنزاع الاسرائيلي – العربي . فالعالم يواجه اليوم اخطارا ناجمة عن تصادم بين مجتمعات من القرون الوسطى ، تملك ثروات هائلة ، وبين القرن العشرين . لم يعد النزاع الاسرائيلي – العربي المشكلة الاساسية في الشرق الاوسط ، في كل ما يتعلق بالسلام العالمي » (حاييم هيرتسوغ ، معاريف ، ١٩٨٠/١/٤) . ومن جهة اخرى ، يعزز التدخل العسكري الاميركي في المنطقة التحالف الاسرائيلي مع الولايات المتحدة ، الأمر الذي يعود بالفائدة الكبيرة على اسرائيل. وانطلاقا من هذا الموقف فقد اعلن وزير الخارجية الاسرائيلي السابق ، موشي دايان ، اثناء زيارته الاخيرة الى الولايات المتحدة ، في اواخر السنة الماضية ، انه « اذا ارادت الولايات المتحدة ان تختار العمل العسكري ضد ايران ، فأن اسرائيل مستعدة لتقديم العون لها ... اذ خلافا لذلك ، اي حليف نكون بالنسبة لها ؟ » (دايان في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ١٩٧٩/١٢/٢١) .

كذلك فان التحريض ضد دول المنطقة وشعوبها، لا يتوقف على وسائط الاعلام الاسرائيلية. فحسب قول رابين ، « على الولايات المتحدة ان تعترف بحقيقة مرة ، وهي انه عندما يدور الحديث حول الدول العربية والاسلامية في الشرق الاوسط ، فان الخيار ليس بين انظمة حكم سلطوية فاسدة ، واخرى تقدمية صالحة . هذا الخيار غير قائم ، لا حاضرا ولا مستقبلا . الخيار الحقيقي هو بين نظام سلطوي ، وربما حتى فاسد ، يؤيد الولايات المتحدة ويتعاون معها ، وبين نظام شبيه اخر يطرد الولايات المتحدة ويتعاون مع الاتحاد السوفييتي » (من مقابلة مع رابين ، معاريف ، ١٩٨٠/١/٤) . ويضيف رابين محذراً من خطورة الوضع في المنطقة التي تعتبر « بئر نفط العالم الحر » ، حسب قوله « لقد نجح الاتحاد السوفييتي في هدم « الجدار الشمالي » الذي بنته الولايات المتحدة لحماية الشرق الأوسط. فتركيا محيدة ؛ وايران ابعدت الولايات المتحدة وتحولت الى معاداتها ، اما افغانستان فقد احتلتها القوات السوفياتية . ومن اجل اكمال الهدف السوفيتي فالمطلوب الان فقط تغيير نظام الحكم في السعودية . واذا ما حدث ذلك، فستحسم المصالح الاميركية الحيوية في الشرق الاوسط » (المصدر نفسه) .

تحفظ أميركي

يلاحظ ان الدعوة والترحيب الاسرائيلي بالقواعد الاميركية وبالتعاون العسكري مع الولايات المتحدة، لم تلقيا استجابة ـ علينا على الأقل ـ لدى الادارة الاميركية . فقد ذكر الناطق بلسان وزارة الخارجية الاميركية هودينغ كارتر ، ان الولايات المتحدة قررت عدم الاستجابة لمقترحات اسرائيل ومصر ، بالنسبة لاستخدام قواعد عسكرية في اراضيهما ، حيث ستقوم بأستخدام قواعد دائمة ، في عمان وكينيا والصومال (ر.إ.إ ، العدد ١٩٥٨ ، ٩ و ١٠/١/١٩٨٠ ، ص٣) .

وسبق هذا الاعلان الاميركي بنحو شهر تقريباً، قرار حول زيادة امداد السعودية بالاسلحة وتنشيط مجرى التحديث في الجيش المصري وتزويده بالاسلحة ، « وهي الامور التي تشير الى الاهداف الجديدة للسياسة الاميركية في منطقة الخليج الفارسي ، بعد ثورة الخميني في ايران » (شموئيل سيغف ، معاريف ، ١٩٧٩/١٢/١٦) . وترى بعض الدوائر الاسرائيلية ان اهمية السعودية قد ازدادت في نظر الولايات المتحدة ، « ليس فقط كمصدر نفط هام ، ورخيص نسبيا ، وانما ايضا كقاعدة لنشاط المخابرات [الاميركية] ضد الاتحاد السوفيتي ، وكمدخل الى منطقة الخليج . ولهذه الاسباب قررت الولايات المتحدة فصل قضية امداد السعودية بالاسلحة عن مسألة ميزان القوى بين الدول العربية واسرائيل ، ودمج عملية الامداد هذه في اطار ميزان القوى في الخليج الفارسي وحده . وبعبارة أخرى . سياسة امداد الاسلحة غير المحددة ، التي انهارت قبل فترة قصيرة في إيران ، بدأت تنفذ نفسها في السعودية » (المصدر نفسه) .

وتضيف تلك المصادر ايضا ان تبني « الاتجاه السعودي » في السياسة الاميركية ، جاء بسبب اعتبارين برزا واضحين خلال الازمة الايرانية . اولهما ، يتعلق بأسرائيل وبمركزها في الشرق الاوسط « حيث ادت السياسة الايرانية المتطرفة تجاه اسرائيل في عهد الخميني ، الى استبعاد كل استعانة من جانب اميركا بأسرائيل ، كقاعدة لعمل عسكري ممكن ضد ايران ... لان هذه الاستعانة من شأنها ان تؤثر على العلاقات مع السعودية بصورة خطرة ، وتلزم تواجدا اميركيا ضخما للمحافظة على ممرات النفط ، ثم تشجع ارتباطا ايرانيا بعناصر راديكالية اخرى في العالم العربي . وهذا التطور من شأنه ان يشكل خطرا على انظمة الحكم في السعودية ومصر ، ويزيد من التوتر بين الدول العربية واسرائيل... [لذلك] منذ اللحظة التي ادركت بها الولايات المتحدة ان الاعتماد على اسرائيل لا يخدم مصالحها في منطقة الخليج ، لم تصبح فقط الاستشارة المسبقة بين اسرائيل واميركا حول هذه القضية ، غير ممكنة ، بل انه حتى اعلان مسبق حول قرار تزويد السعودية بالسلاح ، لم يسلم الى اسرائيل » (المصدر نفسه) .

لذلك تعتقد بعض الاوساط الاسرائيلية ، انه ليست هناك اية فائدة تستطيع اسرائيل تحقيقها من وراء استغلال الاحداث الاخيرة في المنطقة ، خصوصا وانه لا يوجد احد ـ على حد قول هذه الاوساط ـ في الولايات المتحدة «يرغب في تلقي المساعدة من اسرائيل او [سماع] نصائحها ، او [استخدام] قواعدها . لم يرغب الاميركيون فيها

قبل ازمة ايران ، وليسوا راغبين فيها الآن . ومن السخف الاعتقاد ان ازمة ايران لم تغير شيئا في الشرق الاوسط ... فالاستنتاج الذي توصلت اليه الادارة الاميركية ، يقضي بضرورة اتباع الحذر السياسي الكبير ، في حال اضطرار الولايات المتحدة للقيام بعمل عسكري ما . اي بعدما تتاكد اميركا فقط ، بان هذا العمل الذي ينفذ في ظروف وشكل معين ، يجري التسليم به من قبل جزء من العالم الاسلامي . وهذا الاستنتاج الاساسي يستثني منذ البداية كل استعانة باسرائيل ، بقواعدها وبخدماتها الاخرى ... اي ان اسرائيل الصالحة ، والمخلصة ، لا زالت تعتبر ملكا استراتيجيا غير قابل للاستعمال بالنسبة للاميركيين » (يونيل ماركوس ، هآرتس ، ١٩٧٩/١٢/٢١) .

لذلك فان الحديث ، في اسرائيل حول اهمية التكتل الموالي للولايات المتحدة ، الذي يمكن ان يتحقق بعد تطبيق معاهدة السلام مع مصر ، ومع انضمام الاردن والسعودية بوجه خاص الى « جهود السلام » في المنطقة ، يقابله تخوف من ان تؤدي الجهود الاميركية الى « تحجيم » مركز اسرائيل في المنطقة . ومن هنا ينبع تساؤل رئيس لجنة الخارجية والامن في الكنيست ، حول ما اذا كانت الولايات المتحدة معنية باحياء حلف بغداد من جديد في الثمانينات ، بعد ان فشل في الخمسينات (ر . إ . إ ، العدد ١٩٥٦ ٧ و ١٩٨٠/١/٨ ، ص ٨) .

ويبدو ان لهذا التخوف الاسرائيلي ما يبرره ، خصوصا بعدما رفض الرئيس الاميركي كارتر منح اسرائيل مساعدات اقتصادية وعسكرية كبيرة للسنة المقبلة (١٩٨١) . فقد طلبت اسرائيل منحها ٣,٤٥ مليار دولار ، بينما وافق الرئيس كارتر على مبلغ مليار دولار كمساعدات عسكرية و ٧٨٥ مليون دولار مساعدات اقتصادية ــ اي نفس القيمة التي ستحصل عليها خلال هذه السنة ــ وقرض بقيمة ٢٠٠ مليون دولار ، بفائدة قدرها ٩٪ (هآرتس ، ١٩٨٠/١/١) . وقد حاول وزير الدفاع الاسرائيلي عيزر وايزمان ، التاثير على الادارة الاميركية لرفع المساعدات لاسرائيل ، عندما اجتمع الى الرئيس كارتر والى وزير الدفاع الاميركي براون وكبار المسؤولين في الادارة الاميركية ، خلال زيارته للولايات المتحدة في اواخر السنة الماضية ، الا ان جهوده هذه لم تجد نفعا كما يبدو . وتفيد المصادر الاسرائيلية ان كارتر اعلن لوايزمن ان اسرائيل اكثر تسليحا واقوى من الدول العربية ، وان الحكم الاميركي مضطر لتخصيص موارد اكثر للدفاع عن الولايات المتحدة وتمويل مشاريع اجتماعية وغيرها ، ولذلك لا يمكن الاستجابة لطلب اسرائيل البالغ ٣,٤٥ مليار دولار (هآرتس ، ١٩٧٩/١٢/٣٠) . وعلى اي حال ، لقد اثار قرار الرئيس كارتر هذا حول المساعدات للسنة المقبلة ، استياءا شديدا في اسرائيل ، حيث اتهمت مختلف الاوساط وزير الدفاع بالفشل في مهمته ، اي الفشل في اقناع الادارة الاميركية بزيادة المساعدات .

حنة شاهين

قضايا دولية

افغانستان .. وأزمة الشرق الاوسط

في العادة تكون الاسابيع التي تربط بين عام ينقضي ، وعام يبدأ ــ خاصة اذا كانت تربط بين عقد ينقضي وعقد يبدأ ــ فترة تقييم لاحداث أكثر منها فترة احداث آنية ذات دوي كبير .

وبالفعل فان اسابيع ما بين كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ وكانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ شغلت بالتحليلات لأحداث السبعينات ، والتوقعات لاتجاهات الثمانينات . وبطبيعة الحال فان الشرق

الاوسط كان أحد أهم محاور الاهتمام في التحليلات والتوقعات على السواء ، فثمة ثورتان في المنطقة تشغلان الرأي العام العالمي ، وتشغلان بصفة خاصة كل أجهزة صنع القرار في عواصم العالم . الثورة الفلسطينية والثورة الايرانية ، وكلاهما موقعها في الشرق الاوسط . وكلاهما تمتد تأثيراتهما الى عالم الطاقة ، عالم النفط الذي طبع السبيعنات بصبغة لونت الاحداث ابتداء من حرب اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ الى احداث طهران ١٩٧٩ . وكلا الثورتين الفلسطينية والايرانية تستقطبان التزام العالم الاسلامي ، الذي شهدت نهاية السبعينات ما يشبه « اعادة اكتشاف » له في الغرب سواء من جانب المتحمسين لانبعاثه او المحذرين من خطر نهضته . فالثورة الايرانية فجرت اقوى حركة اسلامية ثورية في النصف الثاني من القرن الحالي ، ومن خلال تحالفها الوثيق مع الثورة الفلسطينية ، وهو ليس وليد انتصار الثورة الايرانية انما هو احد عوامل هذا الانتصار ــ كشفت عن بعد للثورة الفلسطينية لم يكن قد حظي بالاهتمام الكافي وهو البعد الممتد في الالتزام الاسلامي بالقضية الفلسطينية والالتزام الفلسطيني بالحق الاسلامي ، الذي ترمز اليه القدس .

وادراك تأثير هذا التحالف الثوري في تطورات الشرق الاوسط ليس غائبا عن اذهان الاعداء الاساسيين لهذا التحالف ، انما نظرتهم اليه تختلف في زاوية الرؤية . في مقابلة اجرتها مجلة « يو . اس . نيوز أند وورلد ريبورت » (الوثيقة الصلة بوزارة الدفاع الاميركية) مع زبغنيو برجنسكي مستشار الرئيس الاميركي لشؤون الامن القومي ــ وهي مقابلة جرت في العدد الاخير للمجلة من العام ١٩٧٩ في الاول من العام ١٩٨٠ (١٢/٣١ ــ ١/٧) ــ سألت المجلة برجنسكي . « هل ستكون للحمى الدينية في الشرق الاوسط آثار ضارة بصورة خطيرة على مفاوضات السلام العربية ــ الاسرائيلية ؟ » . والسؤال يكشف زاوية الرؤية الاميركية الى اتجاهات الاحداث في الشرق الاوسط ، وهي زاوية طريق السلام الاميركي ومصيره .

برجنسكي أجاب على هذا السؤال بقوله «نعم انها يمكن ان تكون لها مثل هذه الاثار ، ولكنني لا اعتقد بضرورة اصدار حكم مسبق بهذا . فهي قد تسهم ايضا في الادراك بان هذا الصراع الذي استمر ثلاثين عاما حتى الان هو بالفعل امر لا لزوم له وان الوقت قد حان لتنحيته جانبا . وهي قد تسهم في الادراك بان هناك اخطارا اخرى ــ داخلية وخارجية ــ تواجهها المنطقة ، وهي اكثر اهمية واشد خطورة » .

وهذه الاجابة لا تكشف عن زاوية الرؤية الاميركية لاتجاهات الاحداث فحسب .. انها تتناول الخطوط الرئيسية التي تحدد التفكير الاميركي الراهن في الامر . فهناك الخوف من ان تؤدي « الحمى الدينية » (كتعبير المجلة الاميركية الذي لا تخفى دلالته) الى الاضرار بالسلام الاميركي ــ اي بمخطط كامب ديفيد ــ ولكن هناك الى جانب هذا الخوف نقيضه . هناك الرغبة في الصعود فوق موجة المد الديني الاسلامية في الشرق الاوسط واستخدامها وتوجيهها في هذا الاتجاه نفسه ، اتجاه السلام الاميركي بين العرب واسرائيل . اما كيف يكون ذلك ، فاجابة برجنسكي واضحة تماما . دفع القوى الاسلامية في المنطقة الى « الادراك » ــ الى الاعتقاد ــ بان هناك اخطارا داخلية وخارجية تهددها وتستوجب منها ان تنحي جانبا خطر الصهيونية واسرائيل لتتفرغ لمواجهة هذه الاخطار . فما هي طبيعة هذه الاخطار ؟ لا يحتاج المرء الى جهد كبير ليفهم ان برجنسكي يعني خطر « الثورة » في الداخل وخطر « الشيوعية » من الخارج . وهو ما يصرح به في المقابلة نفسها في مواضيع اخرى .

واحداث اسابيع ما بين عقد السبعينات وعقد الثمانينات تقدم اجابات حسية على هذه التساؤلات .

ففيما العالم منهمك في تحليلاته وتوقعاته انقض صوت جديد كان له وقع مزلزل في العالم وفي الشرق الاوسط بوجه خاص . ويمكن القول بان هذا الحدث ــ بردود الفعل الحادة التي استقبلته واضافت اليه ثقلا وخطورة ــ قد اكد بالفعل ان الشرق الاوسط قد دخل ثمانينات ساخنة . ثمانينات المواجهات الخطرة والمعقدة بين قوى الثورة والتحرر وقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية .

في ٢٧ كانون الاول (ديسمبر) وقع انقلاب عسكري في افغانستان اطاح برئيسها حفيظ الله امين ، واعلن رسميا تولي بابراك كارمال نائب رئيس الوزراء في عهد الرئيس الاسبق نور محمد طرقي رئاسة الجمهورية . واعلن الرئيس الجديد في رسالة وجهها في اليوم التالي الى الشعب من راديو كابول ان حكمه سيعمل على اعادة كافة الحريات الديمقراطية

الى الشعب الافغاني واطلاق سراح جميع المسجونين السياسيين ، والبحث عن حل سلمي للمشكلات مع رجال القبائل المتمردين .

واعلن رئيس افغانستان الجديد ـ على صعيد السياسة الخارجية ـ نقطتين محددتين . تأييد افغانستان للثورة الايرانية والثورة الفلسطينية ، وطلبه تأييد هاتين الثورتين لبلاده .

قبل هذا الانقلاب بيومين اثنين (اي في ٢٥/١٢) كانت وزارة الخارجية الاميركية قد اعلنت ان الاتحاد السوفياتي نقل بجسر جوي عددا ضخما من القوات الضاربة السوفياتية الى كابول وحشد في الوقت نفسه خمس فرق من قواته على حدود افغانستان . وبدا من بيان الخارجية الاميركية وقتها انها كانت تعتقد ان هذا الحشد العسكري يقصد به مساعدة الرئيس الافغاني حفيظ الله في مواجهة المتمردين من رجال القبائل . ولكنها اعلنت فور الانقلاب ان الجسر الجوي السوفياتي الى افغانستان لم يكن سوى « حصان طروادة » للتمكين للانقلاب من الاطاحة بامين وتولية كارمال .

اعلن الاتحاد السوفياتي من جانبه (٢٨/١٢) ان الحكومة الافغانية ناشدت الحكومة السوفياتية بالحاح تقديم مساعدة سياسية ومعنوية واقتصادية وعسكرية عاجلة ، وان الاتحاد السوفياتي لبى طلب الجانب الافغاني على اساس معاهدة الصداقة والتعاون التي كانت قد وقعت بين البلدين قبل عام واحد ، وبهدف مواجهة تهديدات خارجية ضد استقلال افغانستان ومصالح شعبها .

بعد هذا الحدث الخاطف في افغانستان ، الذي اكتسب اهميته بالنسبة للعالم الغربي في فترة متأخرة للغاية نتيجة للتطورات الثورية في ايران ، ثم في اطار رغبة الولايات المتحدة الملحة في السيطرة على مناطق منابع النفط في الشرق الاوسط ككل ، بما في ذلك منطقة الخليج العربي ، بدا من ردود الفعل الحادة والمتصاعدة من جانب الولايات المتحدة ، ووراءها العالم العربي وكل النظم والحكومات الخاضعة للنفوذ الاميركي باشكاله المختلفة ، ان الولايات المتحدة تدفع الامور نحو ازمة حادة في منطقة الشرق الاوسط بالذات .. في تخوم ايران وفلسطين ، وفي نطاق المنطقة النفطية الاساسية في العالم . ذلك ان احدا ما كان يمكن ان يتوقع تصعيدا في ردود الفعل والحملات الاعلامية الاميركية ـ والغربية عامة ـ الى الحد الذي شهدته وتشهده المنطقة بسبب انقلاب عسكري في افغانستان ودخول قوات سوفياتية في هذا البلد الذي يقوم فيه منذ نيسان (ابريل) ١٩٧٨ نظام اشتراكي ويرتبط بالاتحاد السوفياتي بمعاهدة صداقة وتعاون ، وتمتد بينهما حدود مشتركة طولها ١٢٠٠ كيلومتر .

وهكذا نستعيد اجابة برجنسكي في مقابلته مع مجلة « يو . اس . نيوز » .. فالمطلوب في الاستراتيجية الاميركية للشرق الاوسط ان يحدث « ادراك » بان هناك اخطارا اخرى غير اخطار اسرائيل والصهيونية والامبريالية .. هناك الخطر السوفياتي . واذا كان السوفيات قد دخلوا افغانستان قبل ان يتمكن الغرب من اسقاط النظام الاشتراكي فيها (وليس اسقاط رئيس معين فحسب) فلا بد ان يحدث « ادراك » لدى شعوب المنطقة بان السوفيات يريدون الاستيلاء على الخليج العربي لانهم يريدون نفطه ، ويريدون الانقضاض على النظم القائمة في المنطقة وتغييرها ، بل ويريدون المساس بمقدسات الاسلام والمسلمين .

تصاعدت ردود الفعل ـ ليس يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد ساعة ـ بدءا من تشبيه العمل العسكري السوفياتي في افغانستان بالعمل العسكري السوفياتي في تشيكوسلوفاكيا في العام ١٩٦٨ الى اعتبار هذا العمل حملة شيوعية لاخضاع العالم الاسلامي (...) وعندما وصلت ردود الفعل الغربية الى هذه الذروة ، استقرت عندها . ولم يعد ثمة حديث عن شيء الا عن الخطر السوفياتي على المقدسات الاسلامية وعلى المسلمين ونظمهم وتقاليدهم . واصبح المعنى الوحيد الذي يمكن الخروج به من ردود الفعل الغربية هو ان العالم الغربي كله يجند نفسه للدفاع عن الاسلام والمقدسات الاسلامية وعن شعوب المسلمين ، ولا شيء غير ذلك . وان المعركة من اجل هذا كله هي هناك في افغانستان .

في هذا الخضم الهائل من ردود الفعل ازاء العمل السوفياتي في افغانستان ، وخلال اقل من ثلاثة اسابيع من بدايته كانت بداية الثمانينات تتكشف عن احداث جديدة لها دلالتها العميقة بالنسبة للشرق الاوسط ، خاصة بالنسبة للثورة الفلسطينية والثورة الايرانية ، وبوجه عام بالنسبة لمصير الثورة في المنطقة ككل .

الاتحاد السوفياتي

لقد اجمعت الآراء على ان الاتحاد السوفياتي بالخطوة التي اتخذها في افغانستان وبخطوته الى « الحل العسكري » قد اتخذ قرارا خطيرا بالقياس الى معايير القرارات السوفياتية ، وان القرار يوازي في خطورته بالنسبة للقيادة السوفياتية (المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي واللجنة المركزية للحزب) حجم التهديدات التي يتعرض لها الاتحاد السوفياتي مباشرة او المصالح السوفياتية غير المباشرة .

ليونيد برجنيف الرئيس السوفياتي والامين العام للحزب الشيوعي وصف بنفسه القرار السوفياتي (مقابلة مع برافدا في ١٢/١) بالخطورة حيث قال «ان التجميد المفاجيء للعلاقات بين الشرق والغرب هو احد اخطر المخاطر التي واجهتها الحكومة السوفياتية » .«ان القرار لم يكن سهلا ، ولكن عدم ارسال قوات سوفياتية الى كابول كان سيعني ترك افغانستان فريسة للامبريالية ويسمح للقوى العدوانية بتكرار ما حدث في تشيلي حيث تم اغراق حرية الشعب بالدم » .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي ايضا لم يخف ان الاحداث التي اطاحت بافغانستان قبيل دخول القوات السوفياتية كانت مصدر قلق شديد بالنسبة لما يمكن ان يكون لها من آثار في الجمهوريات السوفياتية في آسيا الوسطى . وفي هذا الصدد قول برجنيف . « ان التدخل المسلح الذي لم يتوقف والمؤامرة المحبوكة جيدا من قبل القوى الخارجية شكلت تهديدا جديا بخسارة افغانستان لاستقلالها وتحولها الى رأس جسر امبريالي على الحدود الجنوبية لبلادنا .. ان التصرف على نحو مغاير كان معناه ان ننظر متقاعسين كيف تنشأ على حدودنا الجنوبية بؤرة الخطر الشديد على امن الدولة السوفياتية » .

يضاف الى هذا ان الاتحاد السوفياتي لم يعتبر دخوله افغانستان السبب الحقيقي لتأزم الوضع الدولي . ووفقا للتحليل الذي قدمه برجنيف « ان رد الفعل العدائي للقوى الامبريالية على احداث افغانستان ليس مفاجأة . فجوهر الامر هو ان الامبرياليين واعوانهم قد خسروا الورقة التي راهنوا عليها هناك . وباختصار ليست الاحداث في افغانستان بالسبب الحقيقي لتأزم الوضع الدولي الراهن . فلو لم تكن افغانستان لوجدت الاوساط المعنية في الولايات المتحدة وفي حلف الاطلسي بكل تأكيد ذريعة اخرى لتأزيم الحالة في العالم » .

من ناحية اخرى لم يترك الاتحاد السوفياتي محاولة الغرب الضرب على وتر الاسلام والدول الاسلامية تمر دون ايضاح موقفه منها . فقد ذكرت وكالة « نوفوستي » السوفياتية الرسمية ، في تعليق لها (١٢/١) على الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي لبحث الموقف في افغانستان ، ان مثل هذا المؤتمر « سيكون موجها ضد الثورتين الايرانية والافغانية لخدمة الامبريالية الاميركية».وقالت «نوفوستي» في هذا السياق ان « مصر تحولت الى مركز تنسيق اميركي لاحتلال الشرق الادنى العربي عسكريا .. ان الولايات المتحدة استطاعت بحجة انقاذ الرهائن في طهران ، وتحت ستار الدفاع عن الاسلام ان تجعل من الشرقين الادنى والاوسط الاسلاميين رهينة لها وان تشق صفوفهما وحتى ان تلقي جزءا منهما في احضان الامبريالية العالمية والصهيونية» .

الولايات المتحدة

كان ابرز ما ميز سلوك الولايات المتحدة ازاء العمل السوفياتي في افغانستان هو نقلها دفة الاهتمام بصورة تكاد تكون كاملة من التركيز على ازمة « الرهائن » الاميركيين في طهران الى ما وصفته في البداية بانه « مستوى جديد عبر اليه الانتشار العسكري السوفياتي في افغانستان (١٢/٢٦) . ثم ما لبث هذا الوصف ان تحول مع تصعيد الحملة ضد الخطوة السوفياتية الى اخطر عرض للتدخل العسكري السوفياتي منذ العام ١٩٦٨ ، حينما غزا الاتحاد السوفياتي تشيكوسلوفاكيا لازالة حكومة اعتبرها حكومة لا يمكن الارتكان اليها .. ومن المؤكد انه سيؤثر على العلاقات السوفياتية ـ الاميركية عبر عدد كبير من المسائل » . (تصريحات مسؤولة في الحكومة الاميركية في ١٢/٢٨) .

ولعله يجدر بالملاحظة انه طوال الايام من تاريخ بدء الجسر الجوي السوفياتي الى افغانستان حتى اليوم التالي للانقلاب العسكري الذي اطاح بحفيظ الله امين ، ونصب بابراك كارمال رئيسا لأفغانستان ـ اي طوال ستة ايام ـ لم يحتل « التدخل السوفياتي » في افغانستان ايا من افتتاحيات الصحف الاميركية الرئيسية ، وخاصة

« نيويورك تايمز » و« واشنطن بوست » و« لوس انجيلوس تايمز » و« هيرالد تريبيون » . ولكن ابواب الحملة الاعلامية فتحت كلها دفعة واحدة ، وعلى اوسع نطاق ، مع تحرك الدبلوماسية الاميركية ، وتصاعد حملات الرئيس الاميركي كانت نفسها ضد الخطوة السوفياتية ، وانتقال مبعوثين عن الادارة الاميركية الى اوروبا الغربية والى باكستان والصين لبحث « الازمة » . وقد بدأت الحملة تكتسب طابعها الحاد ببيان اصدره كارتر في اولى ايام العام الجديد وصفته الصحف الاميركية بانه يشير الى تدهور كبير في العلاقات السوفياتية — الاميركية ، حيث قال كارتر ان التحرك السوفياتي في افغانستان « ادخل تغييرا اشد دراماتيكية على رأيي في ماهية الاهداف النهائية للسوفيات من اي تغيير طرأ عليه منذ ان توليت الرئاسة » .

لكن كان من اسرع التعقيبات التي ظهرت في الولايات المتحدة على الخطوة السوفياتية في افغانستان ذلك الذي عالج الجانب العسكري . فقد كتب « درو ميلتون » المحرر العسكري لصحيفة « نيويورك تايمز » تحليلا اخباريا (١٢/٣١) قال فيه ان الاتحاد السوفياتي اظهر براعة في سرعة نقل القوات . « ان الدرس العسكري الاول للولايات المتحدة وحلفائها في تحرك الاتحاد السوفياتي السريع المحمول جوا الى داخل افغانستان هو ان الروس لديهم قدرة على نقل اعداد كبيرة من القوات في وقت قصير نسبيا . وهذا الدرس يمكن ان يطبق على مناطق اخرى واوضاع اخرى في تخوم الاتحاد السوفياتي » .

وذكر « ميلتون » من ناحية اخرى « ان امتلاك السوفيات مطارات في افغانستان يمكن ان يكون يكون له تأثير حرج على مصالح الولايات المتحدة والمصالح الغربية في المنطقة . فوجود الطائرات السوفياتية في افغانستان يقلص فرص المفاجأة في اي تحرك عسكري (اميركي) في ايران .. » .

واشار المحلل العسكري الاميركي الى ان التحركات العسكرية السوفياتية « ربما نتجت عن تصور موسكو للتهديد الاميركي بالتدخل في ايران » .

واخيرا فان هذا التحليل قد حمل ايضا الرأي القائل بان التدخل السوفياتي العسكري في افغانستان انما يهدد بان تتحول افغانستان الى فيتنام سوفياتية ، على اساس ان الصراع قد يطول مع رجال القبائل المسلمين المسلحين ، وان الاتحاد السوفياتي قد يضطر الى دفع المزيد والمزيد من قواته الى هذا الصراع . ولكنه اشار الى وجهة النظر المعاكسة التي تذهب الى ان السوفيات سيتمكنون من قمع « الثوار » بسرعة ، وقال انه « اذا نجح السوفيات في ذلك فان ميزان القوى في الشرق الاوسط وفي جنوب آسيا سيشهد مزيدا من التحول ضد الولايات المتحدة » .

اما على الصعيد السياسي فان اتجاه المعالجات الاميركية للموقف في افغانستان كان تأكيدا على ان العلاقات الاميركية — السوفياتية قد انتكست من وفاق السبعينات الى حالة الحرب الباردة التي سادت بينهما في الاربعينات والخمسينات . لكن الواضح ان ردود الفعل الاعلامية في الولايات المتحدة لم تكن ردود فعل مباشرة ازاء التدخل السوفياتي انما كانت ردود فعل تصنعها ردود الفعل الرسمية المتمثلة في اجراءات ادارة كارتر وبياناتها .

في ٤ كانون الثاني (يناير) بدأ مسلسل « العقوبات » الاميركية ضد الاتحاد السوفياتي بان طلب الرئيس كارتر من مجلس الشيوخ الاميركي تأجيل مناقشة المعاهدة الثانية للحد من الاسلحة الاستراتيجية (سالت — ٢) التي ابرمت بين الولايات المتحدا والاتحاد السوفياتي في فيينا في حزيران (يونيو) ١٩٧٩ . وفي صدد هذه الخطوة كان المعلق الاميركي جيمس ريستون (نيويورك تايمز) قد سبق ان قال (١٢/٣١) ان الخطوة التي اتخذها الاتحاد السوفياتي في افغانستان تعني انه توصل الى قناعة بان مجلس الشيوخ الاميركي لن يصدق على معاهدة (سالت — ٢) .

شملت « العقوبات » الاميركية التي اعلنت بعد ذلك ضد الاتحاد السوفياتي وقف تصدير القمح والمعدات والتجهيزات التكنولوجية . والحد من عدد رحلات الطائرات السوفياتية الى مدن الولايات المتحدة ، والحد من حقوق الصيد للسفن السوفياتية في المياه القريبة من السواحل الاميركية ، وتأجيل افتتاح قنصليات جديدة للبلدين (خطاب كارتر في ١/٦) .

لكن فرض هذه العقوبات على الاتحاد السوفياتي لم يكن الجانب الاهم في رد الفعل الاميركي — خاصة وان موسكو اعلنت ان هذه العقوبات لن تصيبها باي ضرر ، وبصفة اخص ما اسفرت عنه

هذه العقوبات ، وهو منع تصدير القمح الاميركي ، اثار لدى منتجيه الاميركيين من الضيق اكثر مما اصاب السوفيات . إن الجانب الاهم في رد الفعل الاميركي ، هو الانطلاق تحت قواعد عسكرية في المنطقة ، في الشرق الاوسط والقرن الإفريقي وفي الخليج العربي مباشرة ، تحت ذريعة التصدي للسوفيات . هذا بالاضافة الى ما اعلنته واشنطن (١/١٤)الى تقديم صفقة مساعدات عسكرية واقتصادية قيمتها ٤٠٠ مليون دولار لباكستان « لتواجه التهديد الناجم عن التدخل العسكري السوفياتي » .

نشرت صحيفة « لويس انجيلوس تايمز » (في ١/٤) انها علمت ان الرئيس كارتر قرر « السعي للحصول على تسهيلات طويلة الاجل جوية وبحرية في عمان والصومال مطلة على بحر العرب . ولكن الصحيفة كشفت ان هذا المسعى الجديد لم يبدأ بعد « الغزو السوفياتي » لافغانستان انما بدأ قبل شهر حيث قبلت عمان والصومال اقتراحات اميركية قدمها مسؤولون من وزارتي الخارجية والدفاع اليهما في الشهر الماضي .. وهي اقتراحات قدمت على انها طلب تسهيلات مؤقتة لقوة الطوارىء الاميركية بعد احتجاز الرهائن الاميركيين في طهران يوم ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) . وقد زار فريق المسؤولين الاميركيين ذاته ايضا كينيا للغرض نفسه . وتقبل الكينيون المقترحات .

(في الوقت نفسه اعلنت كل من مصر واسرائيل استعدادهما لتقديم التسهيلات اللازمة للقوات الاميركية اذا ارادت « حماية » منطقة الخليج العربي والتصدي للخطر السوفياتي الزاحف من افغانستان) .

المسؤولون الاميركيون الذين اعلنوا امر طلب الولايات المتحدة القواعد الدائمة قالوا ان القوات السوفياتية في افغانستان « فرضت نوعا جديدا من التهديد على باكستان وشبه القارة الهندية وكذلك على ايران والبلدان العربية » ، (لوس انجيلوس تايمز في ١/٤) . ورد هؤلاء المسؤولون أنفسهم على الفكرة القائلة ، بان افغانستان ستكون بمثابة فيتنام سوفياتية مؤكدين ان هناك اختلافات كثيرة اهمها ان افغانستان لها حدود مشتركة طويلة مع الاتحاد السوفياتي ، اي انه ليست هناك مشكلة خطوط تموين طويلة ، كما كان الحال بالنسبة للولايات المتحدة في حرب فيتنام ، كذلك فان الاتحاد السوفياتي لا يواجه ضغطا داخليا ضد تدخله في افغانستان ، كما حدث مع الولايات المتحدة بالنسبة لحربها في فيتنام .

ونقلت الصحيفة الاميركية نفسها عن مسؤول اميركي قوله « ان دماء كثيرة ستراق لوقت طويل هناك (في افغانستان) ، ولكن في النهاية – ربما بارسال عدد كبير من الافغان الى سيبيريا وادخال ضعف القوات السوفياتية الحالية الى افغانستان على الاقل – من المتوقع ان تسيطر موسكو على البلاد » .

ويتضح الاهتمام بمسألة القواعد في مقابلة اجراها جيمس ريستون كبير معلقي صحيفة « نيويورك تايمز » ، مع وزير الخارجية الاميركي السابق هنري كيسنجر . وفي هذه المقابلة (١/٥) ، يقول كيسنجر بالتحديد « ان المسألة ليست مسألة افغانستان . انما هي مسألة ما يمكن ان تتوقعه منا (من الولايات المتحدة) البلدان التي تعتمد علينا ، وماذا نستطيع ان نتوقع منهم ، وأية بلدان تملك حقا أو توقعا معقولا في ان تعتمد علينا . تلك هي المسألة التي يتعين علينا ان نناقشها » . ويقول ريستون – معبرا عن رأي كيسنجر في المقابلة « ان الازمة الاخيرة (افغانستان) ، هي فرصته للتصدي للمشكلة الاعمق والاوسع ، مشكلة اقامة سياسة عسكرية وسياسية مستقرة لحماية المصادر النفطية الجوهرية للامة (الاميركية) في الشرق الاوسط » .

قال جوزيف كرافت ، المعلق الاستراتيجي في مؤسسة « انتر برايز فيلد » (هيرالد تريبيون ١/٨) . الاختبار الحقيقي هو اين ستكون الولايات المتحدة بعد ستة اشهر من الان حينما سيعود الروس – بالتاكيد – الى طريق هجوم السلام . الامر الذي له وزنه هو اذا كانت الولايات المتحدة عندئذ ستكون قد اقامت وجودا بحريا دائما لها في المحيط الهندي ، وقواعد حول الخليج ، ونوع ما من القدرة السياسية في ايران .

مع ذلك فقد ساد ادراك داخل الولايات المتحدة بان رد الفعل الذي تمارسه ادارة كارتر ازاء الخطوة السوفياتية مبالغ فيه ، وفي الوقت نفسه ان « العقوبات » الاميركية ليست ذات وقع خطير في حد ذاتها . وقد كتب « ستيفن روز نفيلد » – وهو من المعلقين الذين سبق لهم العمل كمستشارين في مجلس الامن القومي الاميركي – في صحيفة

« واشنطن بوست » (١/٦) ، يقول . « ان التيار الصاعد للرأي العام الآن يعتقد ان تحرك الكرملين الى داخل افغانستان ينذر او يسجل تحولا في ميزان القوة الدولي .. ان التحرك السوفياتي هو واحد من تحركات كثيرة يقوم بها ممثلون عديدون في عالم متعدد الالوان . بعض العمل ضدنا ، وبعضه لنا . ولدينا ما يكفي من اشياء مشروعة تثير قلقنا دون ان نراكم المبالغة في القلق ، الامر الذي قد تكون له آثار ضارة تدفعنا الى ممارسات استراتيجية مشكوك فيها تضيف كميات جديدة الى يأسنا». ويضيف «روزنفيلد» محققا من مبالغات ردود الفعل ، فيتساءل . « من منا كان يمكن ان يشعر انه في حالة احسن لو ان موسكو اقامت علاقات افضل مع بكين . وحصلنا نحن على كابول ؟ » .

في الوقت نفسه قال « جيمس ريستون » (١/٦) ، « ان خطاب كارتر الذي اعلن فيه فرض العقوبات على الاتحاد السوفياتي ــ كان ردا موزونا بعناية ، ولكنه بدا اكثر تشددا مما هو في الحقيقة . فان عقوباته المقترحة لا تتلاءم مع الجريمة ولا هي تصلح الضرر » . ويقول ريستون ايضا « ان من المهم ان لا نبالغ في المأساة . لقد شجع الرئيس كارتر في خطابه الفكرة القائلة بان الغزو السوفياتي لافغانستان ليس اكثر من بداية لتحرك اوسع كثيرا واشد خطورة للسيطرة على نفط الشرق الاوسط .. ان التحليل الأكثر عقلانية والمقبول بصورة عامة للتحرك السوفياتي هو ان موسكو خشيت اسقاط الحكومة الماركسية في كابول واحلال حكومة اسلامية متشددة محلها ، الامر الذي قد يؤدي ــ مع الوضع الديني الملتهب في ايران الان ــ الى الهاب حماس السكان المسلمين الكثيرين على الجانب السوفياتي من الحدود الافغانية والايرانية .. واذا كان هذا التحليل صحيحا ، فانه لا حرب عامة على حقول النفط تثير خوفنا ، انما عالم اكثر انقساما واشد خطورة ، يملك ميزانيات عسكرية اضخم (تكلف الامم الان اكثر من ٦٠٠ مليار دولار سنويا) ومزيد من التضخم ، ومساعدة اقل للاعضاء الافقر في الاسرة البشرية . هذه هي المأساة الاكبر في افغانستان » .

واذا كانت قد صدرت في الولايات المتحدة اصوات وتحليلات اكثر هدوءا من ردود الفعل الرسمية للادارة الاميركية ، فذلك لان كثيرين من المعلقين والمحللين ادركوا ان ادارة كارتر انما تمارس في تشكيل سياستها ازاء « التدخل السوفياتي » في افغانستان جزءا من حملة انتخابات الرئاسة الاميركية ، بما يوحي انها اعتبرت ان ازمة افغانستان جاءت دعما جديدا لحملة كارتر الانتخابية يضاف الى الدعم الانتخابي الذي حصل عليه نتيجة ازمة احتجاز الرهائن في السفارة الاميركية في طهران . فكارتر يجرب من جديد رفع اسهمه لدى الناخبين من خلال « ازمة » خارجية جديدة جاءته من السماء ، بعد ان افادته معالجته لازمة الرهائن في رفع اسهمه الشعبية على الرغم من انه لم يتوصل الى حل وحتى لم يقدم اقتراحات بحلول لهذه الازمة . وهو بالنسبة لازمة افغانستان يكرر التكتيكات الانتخابية ذاتها .

الصين

لم تدخل الصين طرفا في الصراع الاميركي ــ السوفياتي من قبل ، كما دخلته في الصراع الذي اثاره الدخول السوفياتي الى افغانستان . حتى عندما دخلت القوات الصينية الاقاليم الشمالية من فيتنام في شباط (فبراير) ١٩٧٩ في « حملة تأديبية » ، بسبب دور فيتنام في اسقاط نظام بول بوت الموالي لبكين في كمبوديا ، لم يكن الموقف الصيني جزءا من صراع اميركي ــ سوفياتي ، انما كان جزءا من الصراع السوفياتي ــ الصيني ، وان كانت الولايات المتحدة قد ايدت بكين انذاك .

لكن موقف الصين من التحرك السوفياتي في افغانستان تأييدا للخطوات الاميركية ، يتجاوز كثيرا حجم التأييد الذي لقيه التحرك الصيني ضد فيتنام .

ذروة الموقف الصيني في ازمة افغانستان بدت في دعوة ونغ شياو ــ بنغ ، نائب رئيس الوزراء و« رجل الصين القوي » ــ كما يسمى في الغرب ــ الى اقامة « حلف من جميع البلدان لوقف توسع القوة السوفياتية » . هذه الدعوة ازالتها ــ في وقت واحد ، كل من وكالة انباء الصين الجديدة و« البنتاغون » (وزارة الدفاع الاميركية) نظرا لانها صدرت عن ونغ شياو ــ بنغ ، اثناء اجتماع له مع هارولد براون وزير الدفاع الاميركي (١/٨) ، الذي كان يزور الصين رسميا . براون رد على الدعوة بقوله ان على الولايات المتحدة والصين الشعبية ان تنسقا تحركاتهما في ما يتعلق بالاتحاد السوفياتي ،

وقالت وكالة « يونايتدبرس » الاميركية ان براون تحاشى تقديم رد مباشر على الاقتراح الصيني باقامة « حلف عالمي » . لكن براون كان قد صرح في الصين ــ واثناء هذه الزيارة نفسها ــ بان الولايات المتحدة تريد اتصالات اوثق مع الصين حول المسائل الاستراتيجية والعسكرية .

وذكرت وكالات الانباء ان وزير الدفاع الاميركي استمع الى مزيد من الاقتراحات من اجل اقامة تحالف ضد الاتحاد السوفياتي حينما كان يزور الاكاديمية العسكرية للجيش الصيني بعد محادثاته مع ونغ شياو ــ بنغ ، فقد القى الجنرال « شياو كي » قائد الاكاديمية كلمة ترحيب بوزير الدفاع الاميركي قال فيها . « ان الطريقة الوحيدة للتعامل مع نزعة الهيمنة السوفياتية هي ان تنهض الشعوب باسرها لمقاومتها » .

مع ذلك فقد ذكر الدبلوماسيون الغربيون في بكين واثناء زيارة هارولد براون لها (نيويورك تايمز ١/٧) ان الصين استبعدت التدخل المباشر لمواجهة التحرك السوفياتي العسكري في افغانستان . « فان الصينيين يدركون انهم يملكون قدرة محدودة للغاية في مواجهة الاتحاد السوفياتي ، ولهذا يتطلعون بدلا من ذلك الى رد فعل قوي من جانب الولايات المتحدة واوروبا الغربية وبلدان العالم الثالث » . كذلك فان الصينيين ــ وفقا لمعلومات الدبلوماسيين الغربيين في بكين ــ مستعدون لتقديم مساعدات « سخية » لباكستان وتنسيق هذه المساعدات مع ما ستقدمه الولايات المتحدة من مساعدات لباكستان ايضا .

في نهاية زيارة وزير الدفاع الاميركي لبكين (١/٩) التي استمرت اربعة ايام اعلن براون ان الولايات المتحدة والصين الشعبية ستتحركان كل على حدة لتقوية البلدان المحيطة بافغانستان ، وان وفدا عسكريا صينيا على مستوى عال سيزور الولايات المتحدة . كما اعلن براون ان الولايات المتحدة ، ستتلقى باهتمام في المستقبل طلبات الصين لشراء تجهيزات تكنولوجية متقدمة مثل الحاسبات الالكترونية (الكمبيوتر) التي قد تكون لها استخدامات عسكرية .

وقد عقبت صحيفة « واشنطن بوست » على نتائج زيارة وزير الدفاع الاميركي للصين في ضوء ازمة افغانستان فقالت . « ان لدى الصينيين شكوكهم الخاصة المستمرة حول قوة الولايات المتحدة وحول حكمة التعويل بشدة على اي بلد اجنبي ، ولهذا فانهم ليسوا متلهفين ــ حتى في الوقت الحاضر ــ على الدخول في حلف صريح مع الولايات المتحدة .

وكانت حكومة بكين قد سملت ي. شيرباكوف السفير السوفياتي لديها مذكرة احتجاج رسمية (١/١) طالبت فيها بسحب القوات السوفياتية فورا من افغانستان ، ووصفت وجود هذه القوات في افغانستان المجاورة لها بانه يشكل تهديدا لامن الصين .

والتقت وكالة انباء الصين الجديدة مع التفسيرات الغربية للعمل السوفياتي في افغانستان في وصفه (١/١) بانه « جزء من استراتيجية ، تهدف الى الاستيلاء على المناطق المنتجة للنفط والسيطرة على الممرات البحرية والالتفاف على اوروبا » .

باكستان

من بين الاطراف الدولية التي دخلت ازمة افغانستان دخولا مباشرا وعميقا يمكن ان نعتبر ان باكستان قد دخلت في الازمة الى عمق اشد من كل الاطراف الاخرى . ولا يرجع هذا الى مجرد حقيقة ان باكستان لعبت منذ فترة طويلة دور قاعدة تجمع وانطلاق رجال القبائل المتمردين على السلطة الافغانية .. انما لان ظروفا كثيرة داخلية تحيط بنظام الرئيس الباكستاني الجنرال ضياء الحق جعلت البحث عن اخطار خارجية احد المخارج الممكنة من ازمات داخلية لا توجد لها حلول مقبولة في المدى القصير .

وقد انتقل مستوى العلاقات بين باكستان والولايات المتحدة من نقطة تقترب من الصفر ــ بسبب حظر الاسلحة الاميركية ــ عن باكستان وبسبب ما يشاع عن انهماك باكستان في محاولة انتاج قنبلة ذرية ــ الى نقطة اخرى اقرب ما تكون الى ايام التحالف القديم حينما كانت باكستان عضوا في حلفين غربيين الحلف المركزي (السنتو) ، وحلف جنوب غربي آسيا (السياتو) .

وبدا من خلال تركيز ردود الفعل الاميركية على اهمية تقوية باكستان عسكريا امران . اولهما فرضية تذهب الى ان « الخطوة السوفياتية التالية

بعد افغانستان ستكون هي باكستان » ، وثانيهما ان دعم باكستان بالاسلحة يمكن ان يساعدها على التصدي لقوات الاتحاد السوفياتي . ومن الواضح ان الفرضيتين لا تقومان على اساس متين ، ولا تستندان الى قدر كاف من الواقعية .

في مقابلة صحفية مع ارنو دو بورشغراف (نيوزويك ١/٧) قال الجنرال ضياء الحق « ان باكستان وافغانستان تشكلان الباب الخلفي للخليج والممر المباشر الى المحيط الهندي .. واهداف موسكو في المدى البعيد هي تحييد اوروبا الغربية عن طريق الاستحواذ على السيطرة الاستراتيجية في المناطق التي يعتمد عليها الغرب من اجل بقائه . الى هذا الحد فالامر واضح لي . ولكنني اجد نفسي ضائعا حين احاول فهم الاعيب سياسات القوى العظمى » .

وقال الجنرال ضياء الحق ايضا « ان القوة السوفياتية هي السائدة الان في المنطقة والولايات المتحدة غير فعالة، سواء عن قصد او عن غير قصد ، ولكننا لا بد ان ننظر الى الامر نظرة واقعية .. » .

لكن حديث الجنرال الباكستاني لم يتناول دور حكومته في ايواء المتمردين الافغان ، وهو الدور الذي اعتبره الاتحاد السوفياتي تحويلا لباكستان الى « قاعدة لاستعدادات العدوان الامبريالي ضد افغانستان » (برافدا في ١/٧) . وقد اكدت « برافدا » ان الخطط العدوانية التي يضعها مؤيدو المتمردين ــ الولايات المتحدة والصين تقضي بتوريط باكستان على نحو اعمق في ورطة خطرة . « ان المشاركة في مثل هذه المغامرات لا تتفق باي حال مع مصالح الشعب الباكستاني ولا مع مبادىء علاقات حسن الجوار » . وقد وصفت الوكالات الغربية (الاميركية خاصة) مقال « برافدا » هذا بانه اخطر تحذير وجهه الاتحاد السوفياتي حتى الان الى باكستان ، بعد ان اعلنت موسكو ان المعسكرات الباكستانية للاجئين الافغان هي في الحقيقة مراكز تدريب ، وان بعض جوانب التدريب فيها يقوم به ضباط في الجيش الباكستاني .

وقد حرصت الولايات المتحدة على دفع باكستان الى عمق المشكلة الافغانية من الناحيتين العسكرية والدعائية . ومن الناحية العسكرية اعلنت « مصادر دبلوماسية » (غير معلومة الهوية) نقلت عنها الصحف والوكالات الاميركية (١/١٣) ان القوات السوفياتية « دفعت بقوافل من مدفعيتها وامداداتها من كابول في اتجاه الحدود الباكستانية في محاولة لسحق التمرد ضد الحكومة الافغانية التي يساندها السوفيات » . ونقل عن دبلوماسيين من اوروبا الغربية في كابول قولهم ان القيادة السوفياتية قد حركت بالفعل فرقتين من خمس فرق عسكرية لها في افغانستان نحو الجنوب .

من الناحية السياسية دفعت باكستان للعب دور اساسي في الدعوة الى عقد مؤتمر لوزراء خارجية الدول الاسلامية بصورة استثنائية في عاصمتها « اسلام اباد » يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) لبحث الوضع في افغانستان . كما دفعت الى لعب دور رئيسي في الدعوة الى اجتماع مجلس الامن لبحث الموضوع نفسه ، وهو الاجتماع الذي استمر ثلاثة ايام وانتهى (١/١٧) باستخدام الاتحاد السوفياتي حق النقض (الفيتو) ضد مشروع قرار يدعو الى « الانسحاب الفوري وغير المشروط لجميع القوات الاجنبية من افغانستان » . ولعبت باكستان الدور نفسه في الدعوة الى اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة الذي استمرت بمناقشته اربعة ايام وانتهت (١/١٤) بقرار ايدته اغلبية ١٠٤ ضد ١٨ امتناع ١٨ عن التصويت يدعو الى « الانسحاب الفوري وغير المشروط والكامل للقوات الاجنبية من افغانستان » . ولحظ ان القرار لم يذكر الاتحاد السوفياتي بالاسم (على غرار القرار الذي اتخذته الجمعية العامة في اذار الماضي بشأن انسحاب القوات الصينية من فيتنام) .

اما ان قرار الجمعية العامة هذا قد كسب الى صفه كل هذا العدد من الاصوات (١٠٤ اصوات) ــ الامر الذي يدل على ان النسبة الاكبر من دول العالم الثالث وقفت مع هذا القرار ــ فان له دلالته الاكيدة على مدى فعل الدبلوماسية الاميركية والغربية في العالم .. وعلى ان العمل السوفياتي في افغانستان سيحتاج الى وقت اطول قبل ان تتأكد اهميته بالنسبة لدول العالم الثالث نفسها . او يتأكد العكس .

سمير كرم

قضايا عسكرية

شهدت المرحلة الاخيرة من العام الماضي ، ١٩٧٩ ، تصعيدا خطيرا للصراع القائم بين الولايات المتحدة الأميركية والثورة الايرانية ، ما زال مستمرا حتى الان . فاثر قيام الطلبة الايرانيين باحتجاز الرهائن الاميركيين في السفارة الأميركية بطهران ، يوم ٧٩/١١/٤ ، بدأت الولايات المتحدة تتخذ سلسلة من الاجراءات والتحركات العسكرية المعادية لايران . كان أبرزها تكثيف الوجود البحري الأميركي في المحيط الهندي وبحر العرب ، بحيث اصبح يضم نحو ٢١ سفينة حربية ، من بينها حاملتا الطائرات « كيتي هوك » و« ميدواي » اللتان تضمان معا ١٦٠ طائرة قتال من مختلف الانواع (اهمها ٤٨ مقاتلة متعددة المهام من طراز « ف ـ ٤ فانتوم » أو « ف ـ ١٤ توم كات » و« ٣٦ ـ ٤٨ مقاتلة هجومية من طراز « أ ـ ٧ اي كورسير ـ ٢ ») . بالاضافة الى سفينة القيادة « لاسال » (الموجودة اصلا في المنطقة منذ العام ١٩٧٢ وتتوفر لها تسهيلات في البحرين) المخصصة لقائد قوة الشرق الأوسط الأميركية ، ولديها قدرات توجيه وقيادة تشكيلات بحرية وجوية وبرمائية كبيرة .

وما زالت عملية تعزيز وتطوير القوة البحرية الأميركية ، في المحيط الهندي وبحر العرب ، مستمرة في جميع النواحي ، سواء من حيث زيادة عدد السفن الحربية وتحسين نوعيتها ، أو من حيث تدعيم قواعدها الأصلية في المحيط الهندي ، او السعي من اجل الحصول على قواعد وتسهيلات جديدة من دول عدة في المنطقة ، او من حيث تدعيم الغطاء السياسي والاعلامي اللازم لتحركاتها واستخدامها .

ففي ٧٩/١٢/١٦ ، غادر واشنطن وفد اميركي في مهمة في الشرق الأوسط وافريقيا غايتها الحصول على موافقة بعض الدول على أن تستعمل القوات الأميركية قواعد قائمة فيها ، في حالة نشوب ازمة في المنطقة تتطلب تدخل هذه القوات ، وذلك بناء على قرار الرئيس « كارتر » الخاص بانشاء قوة التدخل السريع في المناطق البعيدة عن الولايات المتحدة ، وهي القوة التي ستضم ١٠٠ ـ ١١٠ الاف جندي ، والتى عين الجنرال « بول كيلي » (احد قادة مشاة البحرية الأميركية) رئيسا لأركانها الموحدة في ١٩٧٩/١٢/٢٨ .

وفي ١٩٨٠/١/٤ صرح مصدر مطلع في وزارة الدفاع الأميركية ، بأن الولايات المتحدة تلقت اجوبة مشجعة من عمان وكينيا والصومال على طلبها استخدام القواعد العسكرية في الدول الثلاث . كما صرح بأن خبراء عسكريين اميركيين سيتوجهون الى عواصم الدول المذكورة للبحث في القواعد التي تناسب البحرية وسلاح الطيران الأميركيين .

والقواعد المرشحة للاستخدام الاميركي في الدول الثلاث هي

قاعدة « مومباسا » في كينيا وقاعدة جزيرة « مصيرة » في عمان وميناء بربرة في الصومال ، بالاضافة الى القاعدة الجوية القريبة منه .

وفي الوقت ذاته اعلنت كل من مصر واسرائيل موافقتها على اعطاء تسهيلات جوية وبحرية (بالنسبة للأولى) ، وقواعد جوية وبحرية (بالنسبة للثانية . وصرح ناطق باسم الخارجية الأميركية ، في ١٩٨٠/١/٣ بأن الولايات المتحدة تدرس مسألة اقامة قواعد عسكرية في مصر واسرائيل ، ضمن الدراسة التي تجريها حاليا من حيث احتمال اقامة قواعد في بلدان صديقة . وفي ١٩٨٠/١/٧ صرح الفريق اول « كمال حسن علي » ، وزير الدفاع المصري ، بأن سلطات بلاده مستعدة لاعطاء تسهيلات للولايات المتحدة اذا طلبت احدى الدول العربية مساعدتها ، او اذا طلبتها الولايات المتحدة نفسها للتدخل في ايران من أجل اطلاق الرهائن المحتجزين هناك ، او من أجل التدخل في أفغانستان . وكان بذلك يفسر ويؤكد تصريحات الرئيس السادات بهذا الخصوص ، التي كان قد أدلى بها في ١٩٧٩/١٢/٢٩ في حديث له مع مجلة « اكتوبر » المصرية .

وفي ١٩٨٠/١/٦ أكد التلفزيون الاسرائيلي ان الولايات المتحدة تنشىء سرا قاعدة جوية ضخمة في مصر ، وان هذه القاعدة ستعطي للولايات المتحدة حرية التحرك الاستراتيجي في الشرق الأوسط . وقد أعلن الناطق باسم الخارجية الأميركية في

١٩٨٠/١/٨ ، « هودينغ كارتر » ان طائرات اميركية تقوم منذ أسابيع بمهمات تدريبية انطلاقا من قواعد جوية مصرية ، وذلك ضمن تمارين للتنسيق مع القوات المصرية . وفي ١٩٨٠/١/٩ كشفت مصادر حكومية اميركية ان طائرتي رصد وانذار مبكر وادارة عمليات جوية من طراز « بوينغ ـ ٧٠٧ » ، « اواكس » ، موجودتين في مصر منذ ٣ أسابيع ، في قاعدة قرب الأقصر ، لارشاد القوات الأميركية حال تدخلها عكسريا في المنطقة ، وانهما تقومان بتدريبات تتعلق بالتعاون مع القانفات والمقاتلات والسفن الحربية في ظروف احتمال فرض حصار بحري على ايران .

هذا بالنسبة للجهود الأميركية الخاصة بتأمين القواعد العسكرية والتسهيلات اللازمة في حالة التدخل العسكري ضد ايران أو افغانستان . وبالاضافة الى ذلك ذكرت مصادر وزارة الدفاع الأميركية ، في ١٩٨٠/١/٩ ، ان الولايات المتحدة تعتزم تطوير قاعدة « دييغو غارسيا » البريطانية في المحيط الهندي لخدمة السفن الحربية الأميركية ، والتي يوجد بشأنها اتفاق موقع بين الدولتين في العام ١٩٦٦ ، كما اعلنت ، في اليوم ذاته ، مصادر البحرية الأميركية في « سان دييغو » بكاليفورنيا، ان ١٢ قطعة بحرية حربية ابحرت او ستبحر من القاعدة المذكورة ، ويتوقع ان يتوجه بعضها الى المحيط الهندي ، حيث ستكون مستعدة لمواجهة أي طارىء في ايران . وفي ١٩٨٠/١/١٥ أعلنت السلطات البحرية في جنوب افريقيا أن حاملة الطائرات الأميركية « نيمتيز » ترافقها سفينة اخرى ، دخلت يوم ١/١٤ المحيط الهندي في طريقها نحو الشرق الأوسط . ويقال انها ستحل محل الحاملة « كيتي هوك » الموجودة في بحر العرب حاليا . والجدير بالذكر ان الحاملة « نيمتيز » كانت تعمل من قبل ضمن الأسطول السادس الأميركي في البحر الأبيض المتوسط ، وقد قامت بزيارة الى ميناء حيفا الاسرائيلي في ١٩٧٨/٤/٦ . وهي واحدة من ثلاث حاملات طائرات تمتلكها البحرية الأميركية تعمل بالطاقة النووية . ويبلغ وزنها ، بحمولة القتال ، ٩٣,٤٠٠ طن . وطولها الاجمالي ٣٣٢ مترا ، وعرض مهبطها ٧٦,٨ مترا ، وعمق غاطسها ١١,١ مترا ، وتدفعها محركات تبلغ قوتها ٢٦٠ ألف حصان ، وتزيد سرعتها القصوى عن ٥٥ كلم/ساعة . وهي تحمل نحو ١٠٠ طائرة قتال من مختلف الانواع . ويبلغ عدد الطاقم البحري لها ٣٣٠٠ رجل ، وعدد الطاقم الجوي ٢٨٠٠ رجل . اي ما مجموعه ٦١٠٠ رجل .

وهكذا يتضح لنا مدى الخطر الامبريالي الأميركي الذي يهدد الثورة الايرانية ومنطقة الشرق الأوسط الغنية بالنفط ، وذات الأهمية الاستراتيجية الكبرى . وتسعى الولايات المتحدة عبر هذه التحركات السياسية والعسكرية والاعلامية ، الى تأكيد سيطرتها على المنطقة ، واعادتها الى عصر القواعد العسكرية والسيطرة الاستعمارية المباشرة ، بدعوى الافراج عن الرهائن الاميركيين المحتجزين في طهران ، والتصدي للوجود السوفييتي في افغانستان . وانهاء السياسة العربية المعارضة لاتفاقات « كامب دافيد » من خلال ادخال بعض الدول العربية في حلف غير مباشر مع اسرائيل تحت شعار التصدي للخطر الخارجي المهدد للنفط في منطقة الخليج .

« مقاتلات « ف ـ ١٦ » تصل الى اسرائيل »

قالت مصادر عسكرية في « تل ابيب » ، يوم ١٩٨٠/١/١٤ ، أن اسرائيل ستتلقى في اواخر كانون الثاني (يناير) ، من العام ذاته ، أول دفعة من صفقة الـ ٧٥ طائرة مقاتلة اميركية من طراز « ف ـ ١٦ » ، قبل عامين من الموعد المحدد سابقا لحصولها على هذه الطائرات . وفي اليوم ذاته صرح ناطق باسم شركة « جنرال داينا ميكس » في نيويورك ، التي تصنع طائرات « ف ـ ١٦ » ، ان اسرائيل ستحصل اواخر هذا الشهر على أول طائرة « ف ـ ١٦ » ، كما ستحصل قبل اخر السنة الحالية على ٣٥ طائرة من النوع ذاته . وذكر الناطق ان سبب التعجيل في تسليم اسرائيل هذه الطائرات هو انها جزء من صفقة وقعت اصلا مع ايران ، والغيت بعد تغيير نظام الحكم فيها .

والجدير بالذكر ان وزير الدفاع الأميركي ، « هارولد براون » ، كان قد وافق خلال زيارته لاسرائيل التي جرت في منتصف شباط (فبراير) ١٩٧٩ ، ضمن جولته على عدة دول في الشرق الأوسط (السعودية والاردن واسرائيل ومصر) اثر وقوع ثورة ايران ، على التعجيل بتسليم اسرائيل نحو ٦٠ طائرة « ف ـ ١٦ » (من جملة صفقة الـ ٧٥ طائرة) ، وذلك من اصل ١٦٠ طائرة « ف ـ ١٦ » كان من المقرر بيعها لايران ، باعتبار ان التعجيل

بتسليم اسرائيل هذه الطائرات يشكل احدى الوسائل الكفيلة بتعزيز امن الاخيرة ، في مواجهة التحولات الاستراتيجية التي ستطرأ على المنطقة نتيجة للثورة في ايران . (راجع شؤون فلسطينية نيسان ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٢ وما بعدها) . والمعروف ان الـ ٧٥ طائرة « ف ـ ١٦ » المذكورة ستحل محل جزء من الـ ٢٧٥ طائرة « أ ـ ٤ سكاي هوك » الموجودة حاليا لدى السلاح الجوي الاسرائيلي ، ضمن عملية التجديد الجارية في تسليحه منذ العام ١٩٧٥ ، حين بدأت مقاتلات « كفيرسي ـ ٢ » تدخل الخدمة العملية في اسراب الطيران اسرائيلي. وسوف تستمر هذه العملية خلال الثمانينات ، حتى يتم استبدال كافة طائرات « السكاي هوك » والـ « ف ـ ٤ فانتوم » بطائرات « كفير » و« ف ـ ١٥ » و« ف ـ ١٦ » و« ف ـ ١٨ » (على الارجح) . والـ «ف ـ ١٦ » مقاتلة قتال جوي (اي اشتباك قريب) ذات مقعد واحد، متعددة المهمات في جميع الاحوال الجوية ، وتستخدم في القتال الجوي والاعتراض والمطاردة والقصف التكتيكي . وهي مزودة بمحرك نفاث توربوفان من نوع « برات اند ويتني ف ـ ١٠٠ » (الذي تزود طائرات « ف ـ ١٥ » بمحركين منه) ، تبلغ قوة دفعه العادية ٦٥٠٠ كلغ ترتفع الى ١١٣٧٠ كلغ ضغط مع الحارق الخلفي الاضافي بعد تشغيله .

ويبلغ وزن الطائرة العادية (في مهمة قتال جوي عند الاقلاع ١٠,٣٤٥ كلغ ، ويصل وزنها الاقصى (في مهمة قصف ارضي) عند الاقلاع ١٤,٩٨٥ كلغ . ويكفل لها محركها القوي نسبة قوة دفع الى وزنها في حالة المهمة القتالية الجوية المخفضة التسليح والوقود (وزن الطائرة فارغة يبلغ ٦٦١٣ كلغ ، و١٥٨٠ كلغ وزن نصف كمية الوقود الداخلي ، و١٦٩ كلغ وزن صاروخان جو ـ جو ، و٢٠٠ كلغ وزن الطيار ومعداته ، اي ما جملته ٨٥٦٢ كلغ)، تبلغ ١,٣٢ كلغ دفع كل كلغ وزن . وهي نسبة جيدة تماما توفر لها قدرات اشتباك جوي ومناورة ممتازة ، خاصة وان معدل التسلق الابتدائي لها يبلغ ٣٧٠ مترا/ثانية ، ونصف القطر الادنى للدوران يبلغ نحو ٤٥٠ مترا ، ومعدل التفافها الاقصى ١٢,٥ درجة ثانية ، وقدرة تحملها للجاذبية ٩ أضعاف جاذبية الارض ، ولذلك تعتبر الـ « ف ـ ١٦ » ذات قدرات ممتازة على المناورة في القتال الجوي . وتبلغ سرعتها القصوى على ارتفاع ١٢ الف متر ٢١٥٠ كلم/ساعة (٢,٠٢ ماك) ، وسرعتها القصوى على ارتفاع سطح البحر (أي ٣٠٠ متر) ١٤٥٠ كلم/ساعة (١,٢ مات) . وسرعتها القتالية على ارتفاع ١٢ ألف متر ٢٠٧٥ كلم/ساعة (١,٩٥ مات) . وتستطيع ان تصل الى ارتفاع ١١ ألف متر خلال ١,١ دقيقة فقط . ويصل مداها القتالي في حالة القتال الجوي (٤ صواريخ جو ـ جو ، بدون خزان وقود اضافي) نحو ٣٧٥ كلم ، وفي حالة القصف الارضي (١٢٦٠ كلغ قنابل + صاروخين جو ـ جو + خزاني وقود اضافي) يبلغ نحو ١١٠٠ كلم على ارتفاع عال و٦٤٠ كلم على ارتفاع منخفض . وهي مسلحة بمدفع دوراني سداسي الفوهات « م ـ ٦١ فولكان » عيار ٢٠ مم مزود بـ ٥١٥ طلقة ، بالاضافة الى ٤ ـ ٦ صواريخ جو ـ جو قصيرة المدى موجهة بالاشعة تحت الحمراء من طراز « سايدوينذر » الاميركي ، او « شافرير » الاسرائيلي الصنع (الاول اقصى مدى له ١٠ كلم والثاني ٥ كلم) . أما في حالة استخدامها في مهمة قصف ارضي فيمكن لها أن تحمل ٤٩٩٠ كلغ حمولات هجومية (مع وقود داخلي كامل) ، على ٩ نقاط تعليق وهي مزودة بجهاز رادار متطور صالح لمهام الاعتراض والقتال الجوي ضمن مدى قريب في ظروف الرؤية الجوية الحسنة اساسا ، وذلك بالاضافة لصلاحيته في مهام الهجوم الارضي بصورة ثانوية . وله قدرة كشف اهداف جوية ، ضمن رؤيته الامامية ، حتى مسافة ٤٠ كلم ، وقدرة متابعة لها حتى مسافة ٢٠ كلم . كما أن له قدرة رؤية الى اسفل وكشف اهداف تطير على ارتفاع منخفض حتى مسافة ٢٠ كلم ، ومتابعتها حتى مسافة ١٠ كلم .

وقد حلق النموذجان التجريبيان للطائرة المذكورة للمرة الاولى في ١٩٧٤/١/٢٠ ، ثم حلقت ٨ نماذج ما قبل الانتاج في ١٩٧٦/١٢/٨ ، ثم حلق أول نموذج انتاجي كامل في ١٩٧٨/٨/٧ . وسوف يشتري سلاح الجو الاميركي ١٣٨٨ طائرة منها . كما ستصنع منها بترخيص في اوروبا نحو ٣٥٠ طائرة لحساب هولندا وبلجيكا والدانمارك والنرويج . وكان من المفروض أن تشتري ايران ١٦٠ طائرة منها ، بالاضافة الى ٧٥ طائرة مقرر بيعها الى اسرائيل ، التي طلبت في بادىء الامر حوالى ١٥٠ طائرة كصفقة اولى ، على أن يرتفع العدد الى ٢٥٠ ـ ٣٠٠ طائرة فيما بعد . وذلك على امل أن توافق الحكومة الاميركية على الترخيص بانتاج

الطائرة ، أو أجزاء رئيسية منها ، في اسرائيل . ولكن الحكومة الاميركية رفضت ، حتى الآن الترخيص المذكور ، واعلنت موافقتها على بيع اسرائيل ٧٥ طائرة ، ضمن صفقة الطائرات الثلاثية المعلنة في ١٩٧٨/٢/١٤ . ويعتبر سلاح الجو الاسرائيلي هذه الطائرة طرازا يلائم احتياجاته العملية في الثمانيات ، نظرا لميزاتها القتالية المتعددة (ضمن ظروف الرؤية الحسنة السائدة في منطقة الشرق الاوسط) ، ورخص تكاليفها نسبيا بالقياس الى بقية المقاتلات المتطورة الحديثة ، اذ يتراوح سعرها حتى الان ما بين ٧,٦ و ١٢,٣ مليون دولار (وفقا لنوعية تجهيزها) ، وهو سعر منخفض نسبيا بالقياس لسعر الطائرة « ف ـ ١٥ » التي كلفت اسرائيل ٢٤ مليون دولار للطائرة الواحدة عام ١٩٧٥ (صفقة ضمت ٢٥ طائرة) . كما أن نفقات تشغيلها تعتبر منخفضة نسبيا . وسوف تزود الطائرات « ف ـ ١٦ » الاسرائيلية باجهزة رادار ومعدات الكترونية تصنع في اسرائيل لجعلها قادرة على استخدام صواريخ « شافرير » الاسرائيلية .

اذ تبلغ قوة دفع « الميغ ـ ٢١ » المذكورة ٧٥٠٠ كلغ ضغط (مع الخزان الخلفي) ، ووزنها القتالي (في حالة تزودها بنصف الوقود الداخلي وصاروخين جو ـ جو ، من طراز « ١٠١ ـ ٨ افيد » ، أي في الحالة ذاتها التي حسبت على اساسها نسبة قوة الدفع الى الوزن للطائرة « ف ـ ١٦ ») نحو ٦٧١٠ كلغ (وزن الطائرة فارغة قدر بـ ٥٢٠٠ كلغ ، ونصف كمية الوقود الداخلي ١٢٠٠ كلغ ، والصاروخين ١١٠ كلغ ، والطيار ٢٠٠ كلغ) ، ومن ثم تكون نسبة قوة الدفع الى الوزن نحو ١,١٢ الى ١ (الـ « ف ـ ١٦ » نسبتها ١,٣٢ الى ١) . وسرعتها القصوى ٢٢٣٥ كلم/ساعة على ارتفاع ١١ الف (ف ـ ١٦ سرعتها المماثلة ٢١٥٠ كلم) ، وسرعتها القصوى على ارتفاع سطح البحر ١٣٠٠ كلم/ساعة (١٤٥٠ كلم « ف ـ ١٦ ») . ويعطي مدخل الهواء ذو المخروط المتحرك ، الموجود في « الميغ ـ ٢١ » ، ميزة لها بالنسبة لـ « ف ـ ١٦ » في حالة السرعات ١,٨ ـ ١,٩ ماك (وان كان ذلك لا يتحقق اثناء القتال الا لفترات قصيرة) . ومعدل تسلقها ٢١٠ امتار/ثانية (مقابل ٢٧٠ متر/ثانية) ، ونصف قطر دورانها الادنى ٦٠٠ متر (٤٥٠ مترا في الـ « ف ـ ١٦ ») ، وقدرة تحملها للجاذبية ٨ أضعاف جاذبية الارض (مقابل ٩ أضعاف) . والطائرتان على مستوى واحد تقريبا من حيث امكانية كشفهما بالرادار أو بالعين المجردة ، ومن ثم من حيث قابليتهما للاصابة .

و « الميغ ـ ٢١ » مسلحة بمدفع ثنائي الفوهات عيار ٢٣ مم مزود بـ ٢٠٠ طلقة . ورغم أن مدفع الـ « ف ـ ١٦ » أكثر غزارة في الرمي (معدل الرمي النظري ٦٠٠٠ طلقة/دقيقة ، مقابل ٣٠٠٠ طلقة/دقيقة) ، اذ يستطيع ان يرمي الـ ٥١٥ طلقة عيار ٢٠ مم في ٥ ثوان تقريبا ، مقابل ٢٠٠ طلقة في ٤ ثوان لمدفع « الميغ ـ ٢١ » عيار ٢٣ مم الا ان الفارق الكبير في وزن قذائف (١١٠ غرام للمدفع ٢٠ مم و ١٨٠ مم للمدفع ٢٣ مم) كلا المدفعين يجعل نسبة اوزان القذائف المرمية بالوحدة الزمنية ليست سوى ٦٦ الى ٥٤ لصالح الـ « ف ـ ١٦ » وفي حالة تسلح « الميغ ـ ٢١ » بالصواريخ جو ـ جو الحديثة « آ ـ آ ـ ٨ افيد » (تسلح بأربعة صواريخ) فانها تصبح متكافئة في تسليح الـ « ف ـ ١٦ » بصواريخ « سايدونـدر ٩ ل » الحديثة ، من حيث قدرة المناورة ومدى الاصابة تقريبا (١٠ كلم بالنسبة للأول و٨ كلم بالنسبة للثاني) ، ويبقى الاختلاف الاساسي بين الطائرتين في زيادة قدرة مناورة الـ « ف ـ ١٦ » بالنسبة «للميغ ـ ٢١ » . ولكن يمكن اجراء تعديل في تصميم جناح «الميغ ـ ٢١ » بحيث يصبح بزاوية ٤٠ درجة تقريبا ، بالاضافة لبعض تعديلات تقنية اخرى ، تؤدي الى زيادة فاعلية « الميغ ـ ٢١ » في المناورة الى حد الـ « ف ـ ١٦ » ، وهو ما يعتقد بعض الخبراء في الغرب انه يجري حاليا في الاتحاد السوفياتي .

ويبلغ المدى القتالي للميغ ـ ٢١ بيس (في حالة التسلح بأربعة صواريخ جو ـ جو وحمل خزان وقود اضافي) نحو ٦٥٠ كلم ، مقابل نحو ٦٠٠ كلم للطائرة « ف ـ ١٦ » (وهي مسلحة باربعة صواريخ جو ـ جو ، وخزاني وقود اضافي) . وعلى كل حال فان الأسلحة الجوية العربية تواجه مهمة تطوير قدراتها التقنية والتدريبية لمواجهة تحدي كل من الـ « ف ـ ١٥ » والـ « ف ـ ١٦ » في العام ١٩٨٠ .

محمود عزمي

صدر حديثاً
عن مركز الابحاث

الكيانية الفلسطينية
الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي
١٩٤٧ ـ ١٩٧٧

تأليف
عيسى الشعيبي

يطلب من قسم التوزيع ص.ب ١٦٩١

يصدر قريباً
عن مركز الابحاث

القضية الفلسطينية في ايديولوجية
البورجوازية اللبنانية
مدخل الى نقض الفكر الطائفي

تأليف
مهدي عامل

Palestine Affairs

No. 99, February 1980

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center
P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon (Tel. 351260, Cables : MARABHATH).

Editor : Mahmoud Darwish

Annual Subscription

Air Mail : Lebanon and Syria - L. L. 60 ($ 24) ; other Arab countries - L. L. 75 ($ 30) ; Europe - L. L. 100 ($ 40) ; elsewhere - L. L.125 ($ 50) .

Surface Mail : L. L. 65 ($ 26) .

السعـــر: ٥ ل.ل. في لبـــنان
٦ ل.س. في سوريـا
٦٥٠ فلسـاً في الكويت والعـراق
١٠ دراهم في دولـة الامارات العَربية
٦ ل.ل. في سـائر الاقطـار العَربيـة
٧٥٠ درهـماً في ج.ع.ل.
٧,٥٠ درهم في المغرب